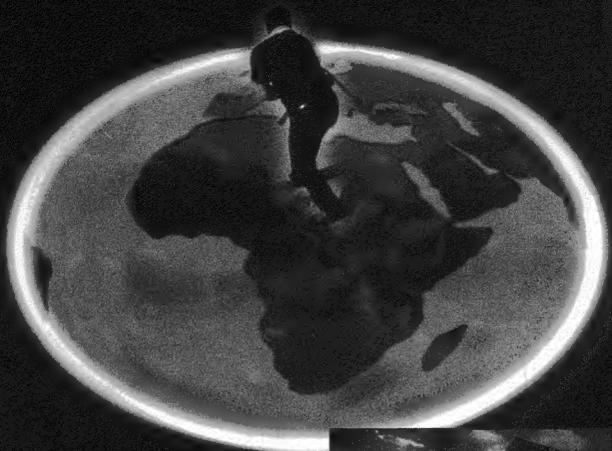


سؤال عمره الإصلاح عندما كانت الإسكندرية أوروبية

- ثقافة المـوالاة
- بين جمرو وماد
- صناعة الرئيس
- حرية الصراخ



لأننا نعيش نفس الآمال ... لدينا نفس الرؤى
... نملك نفس الطموحات

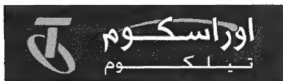


فقد اخترنا أن نبقى دائماً على
اتصال
ما دامت هناك حياة ...



تعتبر أوراسكوم تيليكوم أكبر مشغل لشبكات المحمول في الشرق الأوسط وإفريقيا والتي تعمل بنظام (جي. إس. إم)، ويفضل خبراتها في إدارة شبكات المحمول والمعلومات أصبحت تقدم خدماتها في البلدان الآتية: مصر، الجزائر، تونس، باكستان، العراق وعدة بلاد إفريقية أهمها: كونغو برازافيل، الكونغو الديمقراطية وزيمبابوي.

والآن في بنجلادش



The Communication Community of the Middle East

www.orascomtelecom.com

الكتاب
وجهات نظر

في الثقافة والمياسة والفكر

تصدر عن:



الشركة المصرية

للنشر

العربي والدولي

رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم المعلم

رئيس التحرير
سلامة أحمد سلامة
رئيس التحرير الفني
حلمي التوتوني
مدير التحرير
أيمن الصبياد



كتاب العدد :

- ١. أيمن الصبياد .. صحن.
- ٢. أيمن السليمان .. كاتب، من أحدث مؤلفاته يهود ألمانيا قبل هتلر.
- ٣. بشير موسى نافع .. أستاذ مساعد بجامعة لندن - فلسطين.
- ٤. رجاء النقاش .. ناقد أدبي.
- ٥. سلامة أحمد سلامة .. صحفي.
- ٦. عبد الرزاق الريدي .. فقيه مصر الأسبق في واشنطن.
- ٧. عزة عزت .. مدرس الصحافة بجامعة القاهرة.
- ٨. علاء الدين وحيد .. كاتب.
- ٩. فاروق عبدالقادر .. كاتب.
- ١٠. محمد عمارة .. كاتب ومفكر إسلامي.
- ١١. محمد المهدي .. مستشار دار الآثار الإسلامية بالكويت.
- ١٢. مصطفى ليبي عبد الفتاح .. أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة.
- ١٣. نادر فرجاني .. مدير مركز الشكاية والمُظالم الرئيسي، لتقرير «التمية الإنسانية العربية».

رسوم العدد للفنانين

محمد حجي - أحمد البباد

يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعوات ورقية
أو غير الحسابات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء
منها، بغض النظر إن كانت مسجلة مسبقاً من الناشر.

المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربي والدولي
٣ ميدان طلعت حرب، القاهرة، جمهورية مصر العربية
ت : ٤٩٠ - ٤٩١ / ٤٩٢ - ٤٩٣ / ٤٩٤ - ٤٩٥ فاكس ٤٩٨ - ٤٩٩ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

الاشتراكات :

السنة الواحدة (أثنا عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري -
التجارة برية : عربي : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وإفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا
وكندا : ٨٠ دولاراً أمريكياً . باقي دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكي .
إدارة الاشتراكات : شارع سيدي صبري المصري، ص. ب. : ٢٢ البلقوراما، مدينة نصر
هاتف : ٢٢٢٢٩٩ - ٤٠٠٨٥٦٦ فاكس : ٤٠٠٨٥٦٦ subscription@weghatanazar.com

ثمن النسخة :

في مصر : ١٠ جنيهات مصرية . السعودية : ١٥ ريالاً . الكويت : ١.٥ دينار - الإمارات
١٥ درهماً - مملكة البحرين : ١.٥ دينار - قطر : ١٥ ريالاً - سلطنة عُمان : ١.٥ ريال - لبنان
٥٠٠٠ ليرة - سوريا : ١٥٠ ليرة - الأردن : ديناران ونصف - ليبيا : ديناران - الجزائر : ٣٠٠ دينار
- المغرب : ٣٠ درهماً - تونس : ٤ دنانير - اليمن : ٣٠٠ ريال - فلسطين : ٣ دولارات .
Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$ 5.

طبع بمطابع الشرق بالقاهرة

محتويات العدد :

- ٤ • سلامة أحمد سلامة ..
- ٥ • التراث الحضاري وثقافة المولاة،
- ٦ • محمد عمارة ..
- ٧ • محمد عبده .. مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام،
- ١٢ • بشير موسى نافع ..
- ١٣ • الإحياء الإسلامي : تاريخ وميراث،
- ١٨ • مصطفى ليبي عبد الفتاح ..
- ١٩ • فتاوى الإمام : سؤال وأجيب،
- ٢٠ • فتاوى الإمام محمد عبده، إعداد : الدكتور علي جمعة
- ٢٢ • نادر فرجاني ..
- ٢٣ • بين الجرم والرماد .. الحرية في الوطن العربي ،
- ٢٤ • تقرير التنمية الإنسانية العربية .. المؤلف الرئيسي : نادر فرجاني
- ٢٦ • فاروق عبد القادر ..
- ٢٧ • وجود من ثقافة الاستسلام،
- ٢٨ • ثقافة الاستسلام .. قراءة نقدية في كتابات : كتعان مكية ، حازم صاغية .
- ٢٩ • صالح بشير .. العفيف الأخضر .. أمين المهدي
- ٣٢ • محمد المهدي ..
- ٣٣ • الإنجليزية تدعى الفضيلة .. والأمريكية تستعرض الفضيلة .. فيكتوريا،
- ٣٨ • رجاء النقاش ..
- ٣٩ • عندما يقضيه طه حسين،
- ٤٤ • أيمن السليمان ..
- ٤٥ • عندما كانت الإسكندرية .. أوروبية (مدينة الذكرى)،
- ٤٦ • Alexandria: City of Memory، تأليف : ميشيل هاج
- ٥٢ • علاء الدين وحيد ..
- ٥٣ • صحراء إبراهيم الكوني،
- ٥٤ • شجرة الرثم، تأليف : إبراهيم الكوني
- ٥٦ • عزة عزت ..
- ٥٧ • حرفة لها خبراءها .. صناعة الرئيس،
- ٦٤ • عبد الرزاق الريدي ..
- ٦٥ • باندونج .. في مشوار العمر مع المعلوماتية المصرية،
- ٦٨ • أحمد زويل ..
- ٦٩ • مشروع مبادرة .. من أجل العلوم والتكنولوجيا في مصر،
- ٧٠ • (عصر العلم، تأليف أحمد زويل)
- ٧٢ • إصدارات جديدة ..
- ٧٣ • رسائل ..
- ٨٠ • أيمن الصبياد ..
- ٨٢ • قراءة : حرية الصراخ .. فقط،

تعبير المقالات المنشورة عن آراء مؤلفيها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي وجهات نظر، إلا إذا أشرت إلى ذلك صراحة

التراث الحضارى وثقافة المواولة

[١]

■ ■ ■ عندما يتأمل المرء درجة التطور الحضارى الذى حققته شعوب أخرى ذات ميراث حضارى قديم مثل الهند أو الصين، وكيف نجحت فى استعادة إلى طرق التقدم بمقاييس العصر، فلا بد أن تصيب الدهشة مما ألت إليه أحوال شعوب عربية امتدت جذورها فى التاريخ ربما أبعد من شعوب الهند والصين، ولابد أن نشور لديه أسئلة محيرة: كيف ولماذا بقيت شعوب ذات منجزات حضارية قديمة مثل مصر وسوريا والعراق واليمن عصية على التطور، عاجزة عن الإمسك بمقاييس العصر، بينما حققت شعوب الهند والصين، على ضخامة أعدادها وثقافة سكانها ونقل أعيانها، فزرات هائلة، يمكن القول إنها استطاعت أن تتجاوز حاجز التخلف وتشق طريقها صاعدة، سواء على مستوى التقدم العلمى والتكنولوجى، أو على المستوى الاقتصادى... بل أيضا على مستوى المكانة الاستراتيجية فى موازين القوة والمنعة والدفاع عن النفس؟ ثم ننظر إلى ما جرى من تحولات ديمقراطية فى شرق أوروبا وفى أمريكا اللاتينية التى كانت إلى عهد قريب مضرب المثل فى الفقر والتخلف وبغاب الحريات، فلا تجد سببا مقنعا لتخلف الأمة العربية، فلا هى شبت من الطوق اقتصاديا وتكنولوجيا كما إسر الاستبداد ويحش الأنظمة الشمولية كما فى شرق أوروبا وأمريكا اللاتينية ودول أسبوعية مثل اليابان وكوريا الجنوبية والماليزيا.

[٢]

لا يقتصر الأمر على أن الأمة العربية هى من أقدم الأمم حضارة،

ولكنها، وللغرابية، من أكبر الأمم فى عصرنا الحديث التى لم تحصل على حقها فى الحياة الحرة، وبناء الدولة الديمقراطية، وحصول ابنائها على فرص متساوية فى ظل مبدأ المواطنة وعدم الاستثناء بالثروة والسلطة، الأعلى نسب البطالة والفقر والأمية، مع انهيار نظم التعليم الجامعى وما قبله وما بعده، والنزوع إلى الطائفية والفئوية والعشائرية، وإهدار حقوق المرأة، واتساع الهوة بين الطبقات فى الثروة كما فى الحقوق والواجبات، وعدم احترام حقوق الإنسان، وتغلغل الفساد فى الأجهزة والمؤسسات، كلها قواسم مشتركة لأمراض شائعة بين دول المنطقة التى لا تكف عن الشفاخر بتاريخيتها وأفضالها وآثارها على البشرية. أما السلطة والحكم والقيادة فى الأمة العربية، فقد اقتصرت بتاريخ حافل بالظلم والاستبداد، والصراع على الحكم حتى بين أبناء الأسرة الواحدة والعشيرة الواحدة، وامتلأت أدبياتها بمرصع التآمر والاقتتال وسفك الدماء باسم الدين، أو بغرزة الملك والسلطان، على نحو ما كان يحدث فى أوروبا قبل قرون، أكثر مما عرفت من التحالفات ضد عدو مشترك، أو تبادل للمنافع والتعاون الاقتصادى والسياسى. وعلى كثرة ما شهدت الأمة العربية على مر تاريخها من حركات إصلاحية وثورات على الظلم والفساد، واقتلات ضد الطغاة، فلم تلغ هذه الانفجارات والتقلبات فى إصلاح أوضاع الشعوب والاقتتال بها من مرحلة إلى مرحلة، والنهوض بها من عثراتها، بل تزايدت أساليب القمع واستحكمت واقتضت النظم ويرعت فى إشلاق الأجواء وبناء السجون والعقالات، وفرضت أحكام الطوارئ والقوانين الاستثنائية وانتهاك قدسية العدالة. ثم تحصنت وراء ادعاءات الحفاظ على الهوية

والخصوصية، والدفاع عن الكرامة الوطنية والمصالح العليا. وقد أضحت هذه الحالة جزءا من واقع حاضر نشهده ونعايشه، وساعدت وسائل الإعلام وانهيار العوازل على إسقاط ستار السرية الذى كان الحكام يختفون وراءه... وتسربت إلى الصحف والفضائيات صور الفضائل والانتهاكات وأساليب التعذيب الوحشية التى تمارس فى السجون والمعتقلات وأماكن الاحتجاز... إلى الدرجة التى جعلت من بعض العواصم العربية ملاذاً آمناً لأجهزة التحقيق الأجنبية، حيث يجرى شحن المتهمين والشتبه فيهم إليها لإجبارهم على الاعتراف. وهى أوضاع فريدة من نوعها وغير مسبوقة فى التاريخ... إن قيام معسكرات اعتقال وتعذيب فى بلد لحساب بلد أجنبى آخر، قد يصف فى خانة الأعداء والخصوم!

[٣]

هناك افتراضات عديدة، تحاول تفسير أسباب هذا المنحدر التاريخى، أولها وأقربها إلى الناكرة، خضوع المنطقة العربية للسيطرة الاستعمارية قرونا طويلة. منذ كانت جزءا من الإمبراطورية العثمانية إلى أن جرى تقسيمها والنتائج عليها بين الاستعمارية الفرنسى والاستعمار البريطانى. وعلى الرغم مما حملته قوى الاستعمار معها من عناصر التنوير، وما حاولت فرضه من ثقافتها وطرائق تفكيرها العلمى، إلا أن درجة استيعاب المجتمعات العربية لعناصر الحضارة الغربية ظلت مقصورة على شرائح محدودة من الطبقات العليا. ولم تلبث أن اصطبغت بقاعدة صلبة من الأفكار الدينية المحافظة التى زرعه الإرث المملوكى فى عصور الاحتطاط والتخلف، فلم تشتعل

شرارة التحديث، التى عادة ما تقع عند احتكاك الحضارات والثقافات فى لحظة تاريخية معينة.

ولعل هذا يقودنا إلى السبب الثانى، وهو فشل محاولات التحديث فى الفكر الدينى على امتداد القرنين الأخيرين، والمقاومة الشديدة التى أجهضت محاولات الأفغانى ومحمد عبده وغيرهما من دعاة التحديث، وأصبحتنا ونحن فى القرن الواحد والعشرين نتحسر على أيام النهضة الفكرية والدينية التى قادها الإمام منذ مائة عام فى الفقه والتشريع والفلسفة، وانتصرت الأصولية السلفية فى نهاية الأمر انحصارا سافحا بفشل تحالفها مع النظم الحاكمة من ناحية، وانكسار حركة النهضة من ناحية أخرى.

وجاء ظهور النفط فى المنطقة العربية مع انهيار الثورة الصناعية فى الغرب، ليوقظ أطماع الرأسمالية الغربية فى ضرورة إبقاء نفوذها الاستعمارى ولو بأشكال وأنماط جديدة، تستهدف استمرار الشروط الكفيلة بالحفاظ على مصالح الغرب فى تدفق البترول وتأمين آبارها وطرق نقله ومعامل تكريره، وبالتالي حماية القوى الإقليمية الحاكمة وكسب ثقتها واقتسام الثروة معها.

وكان طبيعيا أن يؤدى ذلك إلى نشوء دول ريعية تعتمد فى مداخيلها على الثروة النفطية التى تقوم شركات غربية بإنتاجها وتسويقها، الأمر الذى أدى إلى إيقاف نمو الشعوب العربية فكريا وسياسيا، وأسقطها فى بئر الاعتماد على ثروة تتدفق من باطن الأرض لا بد لها هفيا، فلم تنشأ طبقات عاملة ولا مجتمعات صناعية ولا مراكز علمية، بل ظلت على حالها من المهادنة عن نفسها شراء مهول ثم تتعب فى الحصول عليه. وانعكس ذلك على تنشئة مواطنين عربى ضعيف الشخصية فائق للقدرة على المبادرة والتكيف مع متغيرات

العصر والاعتماد على النفس ومواجهة المصاعب.

ولا حاجة إلى القول بأن إقامة الدولة اليهودية في قلب المنطقة العربية، وما نجم عنها من صراعات وحروب، أضافت آخر إلى سلسلة عوامل الانحدار والسقوط الشامل. وتزامن انتعاش الدولة اليهودية وتوسعها مع اعتماد الغرب الصناعي على النفط العربي بعد اكتشافه بكميات هائلة. وبدأ واضحاً أن مساندة الغرب لإسرائيل وتمكينها بلوغ درجة من التفوق العسكري والاقتصادي على جميع الدول العربية، مسألة وطنية لا علاقة لها باضطراد النازية لليهود ولا بإقامة وطن قومي لهم.

[٤]

هذه العوامل مجتمعة وغيرها مما يضيئ المقام من ذكره، أسهمت بغير شك في تشويه عمالة الإنسان العربي ومؤسسات الحكم العربي، التي ساعدت بطورها في توليد نخب عربية عاجزة لا تعتمد على شعوبها ولا يأخذها في الحسبان، ولا تؤمن بمفهوم المواطنة كمرجعية لتشريعاتها، بل تعتمد على مساندة قوى خارجية وتكريتها عنصرية، وحتى في الحالات التي تصدى الجيش فيها للقيام بدور نهوضي (إصلاح)، لم تلبث أن غلبت النزعة العسكرية في الاستئثار بالسلطة والاستماع بمنافعها. وفي معظم الحالات، لم تتحول الدول العربية بعد مرحلة الاستقلال إلى وطن للجميع أو إلى دولة - أمة - تعطى فرصاً متكافئة في ظل بناء ديمقراطي، بل تحولت إلى «نظام» يستمد شرعيته إما من مرجعية دينية وزائفة، أو مرجعية ثورية أيديولوجية، أو مرجعية قبلية عشائرية. وفي كل الأحوال ظل بناء الوطن والمواطن على أسس حديثة ديمقراطية مساندة مؤهلة، وظلت الأولوية للحفاظ على الاستقرار والنظام. ولهذا بقيت الإصلاحات التي تقوم بها الحكومات العربية (حاكمة شكلية في مجملها، تعتمد في صياغتها وأهدافها على رؤية من الخارج، أو على منح ومعونات مالية وفنية تأتي من دول أخرى ذات مصالح، وفي أحيان كثيرة تكون في شكل صفقات أو مقايضات للتنازل عن مواقف معينة في مواجهة الهيمنة الأمريكية والتفوق الغربي، أو في مقاومة التوسع الصهيوني وإضفاء الشرعية عليه.

وبالمقارنة مع النهضة التي



الأمة العربية هي من أقدم الأمم حضارة ولكنها - للحرابة - من أكبر الأمم في عصرنا الحديث التي لم تحصل على حقها في الحياة الحرة، وبناء الدولة الديمقراطية، وحصول أبنائها على فرص متساوية في ظل مبدأ المواطنة



تحققت في الصين أو الهند على سبيل المثال، فصفوف تكشف عن هذه الشعوب اعتمدت على نفسها بالدرجة الأولى. واستغنت عن أي مساعدات خارجية ارتبطت بشروط أو قيود. واستقلت كل فرصة لبناء قوتها الذاتية اقتصادياً وتكنولوجياً، واستغاثت من طاقاتها البشرية الهائلة دون أن تتنازل قيد أنملة عن استقلالها ومصالحها. وعلى الرغم من اختلاف الفلسفة السياسية في كل من البلدين، فلم يكن «النظام» وشخص الحاكم الذي يجسده هو المرجعية الأساسية للتشريع. بل قامت في الهند على توافق ديمقراطي برلماني، وفي الصين على برامج ثورية أيديولوجية شعبية. فما إن اجتاحت العوالة أرجاء العالم، حتى وجدنا شعوبها مع أمة النظام لمواجهة التحديات والوقوف في وجه الهيمنة السياسية والعسكرية.

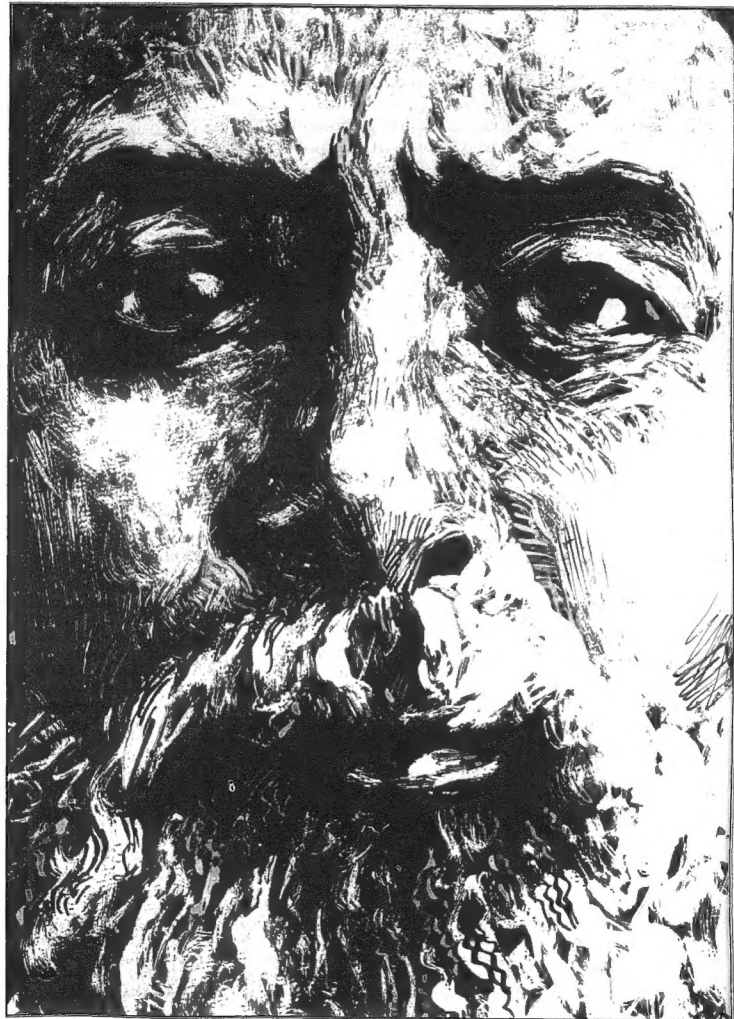
[٥]

«النظام» في العالم العربي ثابت لا يتغير. ربما تتغير الأشخاص بالوقت أو بالأفكار، ولكن يبقى «النظام» برموزه وآلياته وأفكاره، مغلقة على نفسه، مغشوقة بالحفاظ على استمراره، يمارس سيطرته على المجتمع، ويقاوم التغيير إلا في أضيق الحدود. ويهدد النطق في نظام الخالد في مصر في جوره كما هو طوال نصف قرن حتى بعد أن انتهت الثورة. وفي سوريا بقي نفس النظام الخالد الذي لا يتغير لدرجة أنه عندما تم الاستفتاء عن عبد الحليم خدام في المؤتمر العاشر لحزب البعث اعتبر ذلك تطوراً مثيراً، وفي تونس وفي الجزائر وفي ليبيا والسودان واليمن... تتوالى التغيرات والتقسيمات على

التعامل مع الشعوب تعاملأً أمناً في كل شيء، فالتعلم الجامعي قضية أمن قومي، واستشفال الأحزاب والجماعات السياسية أمن قومي... والحركات الشبابية، ومباريات كرة القدم، ووسائل الإعلام والعروض المسرحية ونشر الكتب واستخدام الإنترنت والكمبيوتر... كلها أمور لا بد أن يقول فيها الأمن كلمته التي لا مرد لها.

[٦]

تشهد المجتمعات العربية هذه الأيام مصحوة في سبيل الحرية والديمقراطية تبدو متأخرة بمعايير التطور العالمي. تأتي من قواضيلها قبل أن تأتي من النظم الحاكمة. ربما يعتقد البعض أنها مجرد «هوجة» أو زوينة لا تلبث أن تخمد جذوتها، زعماً بأن ثقافة الموالاة والخضوع للحاكم وعدم معارضته تمثل إرثاً قديماً متغلغلاً في صميم الحضارات القديمة لهذه الشعوب، سواء باسم «الفرعونية» أو جرأاً على مبدأ «السمع والطاعة» لأولى الأمراء! ولكننا نعتقد أن ما تشهده المجتمعات العربية حالياً سواء بتأثير عوامل خارجية أو تراكبات داخلية، يؤكد أن ثقافة الموالاة وما يتولد عنها من ثقافة فرعية في طريقها إلى الهزيمة. وأن عناصر التغيير تتلاقى الآن في مرحلة زمنية فاصلة انضجتها أوضاع دولية وإقليمية. ومن آتون المعاناة ومشاعر الإحباط والحصار الذي يحيط بالأمة العربية فقد تنطلق شرارة التغيير. ولعل أكثر التحليلات لنموها ما به يجري على الساحتين اللبنانية والصربية. وهي بدايات لتطورات لم تنته بعد، تأتي استجابة لبدور «خمرت» واستكنت في التربة الوطنية خلال العقود الأخيرة. فما السبيل إلى تعميقها والبناء عليها؟ ثمة دلائل قوية على أن تغيير المناخ السياسي واللفظ الإعلامي ويزور واقع سياسي جديد، يمكن أن يقدم الإجابة على كثير من الأسئلة التي طرحها في هذا السياق، وهل بلغت الشعوب العربية مرحلة النضج لتصبح قادرة على خيارات الحرية والديمقراطية، واستيعابها في بنية المجتمع. ومن ثم في نظام الحكم، أم يقدّر لها أن تواجه محنة الخروج من الزمن ومن التاريخ؟





مائة عام على وفاة محمد عبده.. ومازال الإمام حاضراً بقوة من خلال مشروعه النهضوي لتجديد دين الإسلام كي تتجدد به دنيا المسلمين.. ومازال سؤال الإصلاح يراوح مكانه دون أن يتمكن العالم الإسلامي من حسم أمره وإصلاح ذاته.. وجهات نظر تحظى بموثوقية الإمام من خلال مقالات للدكتور محمد عمارة عن مشروع الإمام الحضاري للإصلاح بالإسلام والدكتور بشير موسى نافع عن إحياء الإسلام والدكتور مصطفى ليبي عبد الفتى عن شتات الإمام.



محمد عبده

مشروع حضاري للإصلاح بالإسلام

محمد عمارة

ثم مضى الأستاذ الإمام إلى الحديث عن أن هذه الوسطية الإسلامية إنما جاءت ثورة على شيوخ الغلو، غلو الإفراط والتفريط.. الذي ساد الشرائع والأنساق الفكرية التي سبقت ظهور الإسلام.

«ذلك أن الناس كانوا قبل ظهور الإسلام على قسمين:

قسم تقضي عليه تقاليد الجاهلية المحضة، فلا هم له إلا الحظوظ الجسدية، كاليهود والمشرقيين، وقسم تحكم عليه تقاليد بالروحانية الخالصة، وترك الدنيا وما فيها من اللذات الجسدية كالنصارى والصابئين وطوائف من وثني الهند أصحاب الرياضات، وأما الأمة الإسلامية فقد جمع الله لها في دينها بين الحقيقين، حق الروح وحق الجسد، فهي روحانية جسمانية، وإن شئت قلت، إنه أعطاهم جميع حقوق الإنسانية، فإن الإنسان جسم وروح، حيوان ومملك، فكله قال، جعلناكم أمة وسطاً، تعرفون الحقيق وتبلغون الكمالين (تشكروا شهداء) بالحق (على

الدين) الجسمايين بما فرطوا في جنب الدين، والروحانيين إذ فرطوا وكانوا من الغالين، تنهضون على المغربين بالتمتعيل، الظالمين (إن هي إلا حيلنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر) بأنهم أخلوا إلى البهيمية، وفرضوا على استعذابهم بالحرمان من المزايا الروحية وتنهضون على المغربين بالغلو في الدين الظالمين إن هذا الوجود حيس لأزواج وعقوب لها، فلعيناً لا تتخلص منه بالتخاطب عن جميع اللذات الجسدية وتعذيب الجسد وهضم حقوق النفس، وحرمانها من جميع ما أمده الله لها في هذه

الإسلامية في سياق حديث القرآن عن الهداية للإنسية للإنسان (والله يهدي من يشاء).. فقال:

«أرى على هذا النحو من الهداية جعلناكم أمة وسطاً».

ثم عرض لغنى هذه الوسطية الإسلامية في ترات السلف.. ثم أضاف رؤيته التي جعلتها منهجاً في النظر والإصلاح.. فقال: «لقد قالوا: الوسط هو العدل والخيار، وذلك لأن الزيادة على المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتفريط ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر، أرى المتوسط بينهما».

وكتب يقول، لم اختر لفظ الوسط على لفظ الخيار، مع أن هذا هو المقصود؟ والأول إنما يدل عليه بالانتماء؟

والإجابات من وجهين

أحدهما: أن وجه الاختيار هو التمهيد للتعليل الآتي، فإن الشاهد على الشيء لا يد أن يكون عارفاً به، ومن كان في أحد الطرفين فلا يعرف حقيقة حال الطرف الآخر ولا حال الوسط أيضاً.

وتابعها: أن هي لفظ الوسط إشعاراً باليسوية، فكانه دليل على نفسه، أي أن المسلمين خيار وعقول لأنهم وسط، ليسوا من أرباب الغلو في الدين المفرطين، ولا من العقائد والأخلاق والأعمال..

منهاجه في الإصلاح بسملة الوسطية الإسلامية الجامعة.. فكتب عن تميز موقفه ومنهجه ودعوته بهذه الوسطية عن أهل الجمود والتقليد للمزبورين، وأهل الجمود والتقليد للواقف الغربي.. فقال:

«ولقد خالفت في الدعوة إليه.. (أي إلى) الفتن يتركب منهما جسم الأمة، طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في تاحيتهم».

ثم تحدث عن أن هذه الوسطية.. التي انحاز إليها.. وتميز بها منهاجه الإصلاحية، ليست خياراً ذاتياً، وإنما هي منهاج الإسلام، الذي تميز به عن الغلو الذي أصاب أهل الشرائع الأخرى.. «فلقد ظهر الإسلام، لا روحياً مجرداً، ولا جسدياً جامداً، بل إنسانياً وسطاً بين ذلك، أخذاً من كلتا القيلتين بتصويب فتاواه، له من ملامة الفطرة البشرية ما لم يتوافر لغيره، وذلك سمي نفسه، دين الفطرة وعرف له ذلك خصوصه اليوم، وعصوه المدرسة الأولى التي يرقى فيها البرابرة على سلم المدنية».

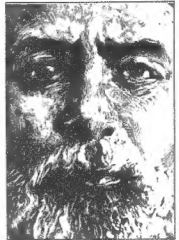
فالوسطية هي البسملة المميزة للإسلام، وهي السبيل الذي جعل الإسلام دين الفطرة البشرية السوية.. فكان لذلك سلم الارتقاء على درب المدنية، بشهادة الخصوم قبل الأصداء».

ولقد افترض الأستاذ الإمام في الحديث عن هذه الوسطية الإسلامية، الجامعة، في الإصلاح - بين الدين والدنيا -، وذلك في تصدير قول الله، سبحانه وتعالى - (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) -، البقرة: ١٤٢ مشيراً إلى دلالات مجرى الحديث عن الوسطية

■ حول بدايات القرن الرابع عشر الهجري، تألفت الدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده في واقع حضاري تميز بسيادة الجمود والتقليد في دوائر طلاب العلم الديني وهو غلو بحجب الدين والإصلاح الإسلامي عن الواقع والحياة يخلق الفراغ الديني الحق في هذا الواقع، ويعدد المنهاج الإصلاحى الإسلامى عن أن يكون هو سبيل الأمة للنهضة والتقدم.

كما تميز هذا الواقع الحضاري بزحف النموذج الغربي في التقدم والتحديث على الشرق الإسلامي، ذلك النموذج الذي وفد إلى بلادنا في ركاب الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة لعالم الإسلام.. وهو نموذج قد تميز بالغلو الشديد، وذلك عندما انحاز إلى عالم الشهادة رافضاً عالم الغيب.. وإلى الدنيا هي مواجهة الدين.. وإلى الفردية في مقابلة الجماعة.. وإلى الأرض في رفضه لحكمة السماء وشرعيته.. وإلى المادية والوضعية في مقابلة الروح.. وإلى القوة في مواجهة العدل.. وإلى الصراع بدلاً من التنازع.. وإلى العقل في مقابلة النقل والوجدان.. فضلاً عن النموذج الغربي الفضاء الفلسفى والتخاطبى والسياسى يحدد غير من الثنائيات المتناقضة، التي عبرت وتعب عن غلو التفريط، المقابل لغلو الإفراط الذى خلله الجمود والتقليد المذندان بين طلاب علوم الدين في شرقنا الإسلامى، بذلك التاريخ.

ولجافة كلا الموقفين، جمود طلاب علوم الدين.. وجمود طلاب العلوم الغربية.. منهاج الوسطية الإسلامية في الإصلاح والنهوض، كان حرص الإمام محمد عبده على تمييز



الوسطية الإسلامية على مبادئ المشروع الإصلاحي.. المشروع التنموي للإصلاح بالإسلام.. والذي اتخذ فيه الأستاذ الإمام من تجديد الدين سبيلاً لتجديد دنيا المسلمين.

في نظرية المعرفة

وفي مواجهة الاستقطابات الحادة.. في نظرية المعرفة.. عند تيارات الفلج الديني واللا ديني.. حيث وقف أهل المادية والوضعية.. في سبيل المعرفة.. عند العقل والحواس فقط.. ووقف أهل الجمود والتقليد للموروث عند ظواهر النصوص وحدها.. ووقف غلاة الصوفية.. الباطنية.. عند خطرات القلوب دون سواها.

في مواجهة هذا الفلج الذي سقط فيه هذا هؤلاء.. تقدمت الوسطية الإسلامية الجامعة بالتأليف بين ما ساءه الإمام محمد عبده «الهدايات الأربع».. هدايات: العقل.. والنقل.. والتجربة.. والوجدان.. التي تزاملت وتكاملت في تحصيل المعرفة الإسلامية الشريعة والمادية.. فاستمرت الثقافة والمعرفة الإسلامية المتوازنة.. الجاهية والتأليف بين هذه الهدايات تكون الثقافة والمعرفة الوسطية.. التي يوفق فيها العقل والقلب.. ويربط فيها الحقائق حسابات العقول المجردة.. وتكتشف فيها التجارب والحواس آيات الله البشيرة في الانفس والأفلاك.. كتاب الله المنظور.. ويضيف فيها النقل.. بنينا المساء العظيم.. كما لا تستطيع العقول والحواس.. وذلك بسببية الإدراك.. الاستقلال بمعرفته من ثبات الغيب وعلوم الأنبياء.. ولقد طأض الإمام محمد عبده في

الحديث عن هذه النظرية.. نظرية الهدايات الأربع.. المخططة للوسطية الإسلامية الجامعة.. في نظرية المعرفة.. وذلك عندما وقف في تفسيره لسورة الفاتحة.. أمام قول الحق - سبحانه وتعالى: (اهدنا الصراط المستقيم - الصراط الذي لا يولئ - الهداية) - في اللغة - الدلالة بلفظ على ما يوصل للمطلوب.. ولقد منح الله الإنسان أربع هدايات يتوصل بها إلى مسافته:

أولها: هداية الوجدان الطبيعي والإنسان الطبيعي.. وتتكون لأطفال منذ ولادتهم.

والثانية: هداية الحواس والشعور وهي متممة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية.. ويشارك الإنسان فيها الحيوان الأحمق.. بل هو فيها أكمل من الإنسان.. بل هو حواس الحيوان والهامه يكملان له بعد ولادته بقليل.. يخلف الإنسان في ذلك يكمل فيه بالتدريج في زمن غير قصير..

والثالثة: هداية العقل.. خلق الإنسان ليعيش مجتمعاً.. وما يبعد من الإلهام والوجدان ما يكفي من الحس الظاهر لهذه الحياة الاجتماعية.. كما أعطى السبل والنمط.. فحياة الله هدائية على أعلى من الهداية الحس والإلهام وهي العقل الذي يصحح غلط الحواس والشعور ويبين أسبايقه.. وذلك أن البصر يرى الكبير على القيد صغيراً.. ويرى العبد المستقيم في الماء معبواً.. والصفير يوقد الحلو حراً.. والمقل هو الذي يحكم بفساد هذا الإدراك..

والقاعدة قد عمت: صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان.. فترى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح.

أباح الإسلام لأهله التجمُّع بأنواع الزينة.. والتوسع في التمتع بالمشروبات على شريطة القصد والاعتدال وحسن الشئبة.. والوقوف عند الحدود الشرعية.. والمحافظة على الرجولية.. جاء في الكتاب العزيز: (يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المفرين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الزوق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة أيام القيامة.. كذلك تفصل الآيات تقوم بعلومهم.. قل إنما حرم من الفواحش ما ظهر منها وما بطن وإني أستم إلى ما يقول الحق وإن سرفكوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون) - الأعراف: ٣١ -.

ووضع قانوناً للإفلاق وحفظ المال في قوله: (إن الميزين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً.. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) - الإسراء: ٢٧ - ٢٨ -.

وخشي على المؤمن أن يفلو في طلب الأثرة فيهلك دنياه ويئس نفسه منها.. فذكرنا: بما قصه علينا.. أن الأثرية يمكن نيلها عن التمتع بنعم الله علينا في الدنيا.. إذ قال: (وايتبع فيها آثارك الله الممار الأثرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين) - القصص: ١٧ -.

فترى أن الإسلام لم يبخس الحواس حقها.. كما أنه يهاج الروح ليعمل كمالها.. فهو الذي جمع للإسلام أجزاء حقيقية.. واعتبره حيواناً نافعاً.. لا جسمانياً صرفاً.. ولا ملكوتياً بحتاً.. ووجهه من أهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة.. واستيقاض من أهل هذا العالم الجسداني كما دعاه إلى أن يطلب مقامه الروحاني.. ليس يكون بذلك وبما بيته في قوله: (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً) - البقرة: ٢١ -.

أفقل القيد عن قواه.. ليصل من ربه الحياة إلى منتهاه؟ والنفس مطبوعة على التنافس.. قد عزز فيها بالأسباب التي تعقده خيراً أو تجده لتدباً أو تظنه ذاهباً.. وليس في الحرية

الإنسانية أن يلق بها العطل عند حد محدود.. أو ينتهي بها السعي إلى غاية لا مطالع لذرية وماها.. بل خصها الله بالكنة من الرقي في أطوار الكمال في جميع وجوهه إلى ما شاء الله أن ترقى بدون حد معروف.. هكذا تحدث الإمام محمد عبده عن الوسطية الإسلامية الجامعة.. التي هي خصيصاً من خصائص الإسلام.. وقسمتها ثابته من قسائم المنهج الإسلامي في الإصلاح - إصلاح النفس.. وإصلاح الاجتماع الإنساني.. كما تحدث عن اختياره إلى هذه الوسطية الإسلامية.. وتبين منهاجها الإصلاحية بهذه الوسطية عن أهل الفلج - غلو الإفراط عند طلب علوم الدين في عصره.. وغلو التفرُّيع عند طلب النموذج الغربي الوافد في ركاب الاستعمار.. ولقد أمثال صفحات أثاره الفكرية بالتطبيقات.. النظرية والعملية.. كمنهاج

الحياة.. تشهدون عليهم بأنهم خرجوا عن جادة الاعتدال.. وجسوا على أرواحهم بجنايتهم على أجسادهم وقوام الحيوانية.. تشهدون على هؤلاء.. وتسبقون الأمم كلها باعتباركم وتوسطكم في الأمور كلها.. ذلك بأن ما هديتكم إليه هو الكمال الإنساني الذي ليس بعده كمال لأن صاحبه يعطى كل ذي حق حقه.. يؤدى حقوق ربه.. وحقوق نفسه.. وحقوق جسمه.. وحقوق نوى القربى.. وحقوق سائر الناس..

(ويكون الرسول عليكم شهيداً) أي أن الرسول.. عليه الصلاة والسلام.. هو المثال الأكمل لمزية الوسط.. وإنما تكون هذه الأمة وسطاً باتباعها له في سيرته وشريعته.. وهو القاضي على الناس فيمن اتبع سنته ومن ابتعد لنفسه تقاليد أخرى أو حدا حدوا المتبعين..

فكما تشهد هذه الأمة على الناس بسيرتها وتكونوا الجسد والروح بأنهم قد ضلوا عن القصد.. يشهد لها الرسول بما وافقت فيه سنته وما كان لها من الأسوة الحسنة فيه.. بأنها استقامت كما لم تستم من الهداية المستقيمة.. فكانه قال: إنما يصل لكم وصف الوسط.. إذا حافظتم على الحق بهدي الرسول واستقمتم على سنته.. وإما إذا احرقتكم من هذه الجادة فالرسول بنفسه ودينه وسيرته وقصص عليكم ما كنتم تستم من أمته التي وصفا الله في كتابه بهذه الصراط.. وتقولوه: كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) - آل عمران: ١١٠ -.

بل يخرجون بالاتباع من الوسط.. وتكونون في الدار الطرفين.. فالوسطية هي منهج الإصلاح في صياغة الإنسان المسلم.. وهي سبيل إسلامية الإصلاح في المجتمعات.. وهي التطور المتقدم الذي انتقلت الإنسانية إليه بشريعة الإسلام.. وهي شريعة خيرية الإسلامية.. وذلك.. صراط الهداية المستقيم.. كما قال الأستاذ الإمام.



وفي معرض مقارنة الإمام محمد عبده بين وسطية الإسلام وبين الفلج المتطرف في الريانية والحرمان من حقوق الجسد وزينة الدنيا.. جعل الدين بديلاً ونقضيضاً للحياة الدنيا.. تحدث عن أولية الحياة الدنيا - في الإسلام - على الدين.. وعن تأنييد الوسطية الإسلامية وجمعها بين الهداية وبين الدين.. فقال:

«الحياة في الإسلام مقدمة على الدين.. وأمر الحنيفية السمة إن كانت تختطف العبد إلى ربه.. وتصل قلبه من ربه.. وتضع أمه من ربه.. فهي عن ذلك لا تأخذه عن كسبه.. ولا تحرمه من التمتع به.. ولا توجب عليه تقتل الزادة.. ولا تجسمه في ترك المثلث ما فوق العادة.. صاحب هذا الدين - صلى الله عليه وسلم - لم يقل: بع ما تملك والتمس.. ولكن قال لمن استأجره فيها يتصدق به من ماله: الثلث.. والثلث كثير.. إنك إن تذر ورثتك أغنياء.. خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس».

الوسطية هي منهج الإسلام

في صياغة الإنسان المسلم.. وهي سبيل إسلامية

الإصلاح في المجتمعات.. وهي شرط

خيرية الأمة الإسلامية..

وهي - لذلك - صراط الهداية

المستقيم.. كما قال الأستاذ الإمام

في معرض مقارنة الإمام محمد عبده بين وسطية الإسلام وبين الفلج المتطرف

في الريانية والحرمان من حقوق الجسد وزينة الدنيا.. جعل الدين بديلاً ونقضيضاً للحياة الدنيا.. تحدث عن أولية الحياة الدنيا - في الإسلام - على الدين.. وعن تأنييد الوسطية الإسلامية وجمعها بين الهداية وبين الدين.. فقال:

«الحياة في الإسلام مقدمة على الدين.. وأمر الحنيفية السمة إن كانت تختطف العبد إلى ربه.. وتصل قلبه من ربه.. وتضع أمه من ربه.. فهي عن ذلك لا تأخذه عن كسبه.. ولا تحرمه من التمتع به.. ولا توجب عليه تقتل الزادة.. ولا تجسمه في ترك المثلث ما فوق العادة.. صاحب هذا الدين - صلى الله عليه وسلم - لم يقل: بع ما تملك والتمس.. ولكن قال لمن استأجره فيها يتصدق به من ماله: الثلث.. والثلث كثير.. إنك إن تذر ورثتك أغنياء.. خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس».

الهداية المستقيمة.. كما قال الأستاذ الإمام

في معرض مقارنة الإمام محمد عبده بين وسطية الإسلام وبين الفلج المتطرف

في الريانية والحرمان من حقوق الجسد وزينة الدنيا.. جعل الدين بديلاً ونقضيضاً للحياة الدنيا.. تحدث عن أولية الحياة الدنيا - في الإسلام - على الدين.. وعن تأنييد الوسطية الإسلامية وجمعها بين الهداية وبين الدين.. فقال:

الوحي في كتاب الله المصور. كما جمعت هذه النظرية بين المعرفة - بين الهادييات الأربع: العقل - والنبش - والتجربة - والوجدان - وأعطت لكل الإفرات والفرص في هذا الميدان الهام من ميادين الإصلاح.

مقام العقل... وحدوده

ولم يفت حديث الإمام محمد عبده عن العقل عند هذا الذي قدمه في نظرية المعرفة الإسلامية، عندما وضعه ضمن الهادييات الأربع، التي هي سبيل الإنسان إلى المعارف والعلوم، والتي الصراط المستقيم. وإنما فوق ذلك، كان العقل ميداناً لحركة طرية وخفية خاضعة للأساطير الضد كبرى الغلو، غلو الفلسفة الحرفية، التي تنكرت لهادييات العقل عندما اكتشفت بالوقوف عند حرفة التصور وظواهرها، غافلة عن تعقل المقاصد الشريفة من وراء هذه التصور. غلو، والنادية الوضعية الغريبة، التي أنهت العقل، وجاوزت بأدراكها عن التسليم، ككل ملكات الإنسان. إلى حيث ادعت، الإطلاقي، لبركانها، رافعة شعار: التفسير الوضعي الفردي، الفلاني، لا سلطان على العقل إلا للعقل وحده، ولا يكون التفسير والنبش، بعض الرغش لا يكون الوحي والنبش، وكذلك القلب والوجدان من مصادر الهادييات والمعرفة بالتسليم للإيمان لا الرغش الوضعية الإسلامية، هذه من منطلق خاص، الإمام محمد عبده معركته العقلانية الإسلامية، ضد من منطلق الوضعية الإسلامية الجامعة، ضد طرقي الغلو في التعامل مع العقل، فكتب منتقداً (العقل، السنن، الوضعية)، رغم أنه ابتاع من حركات الإصلاح، وكذا كبرها جهور المسلمين، ولشدها غير الجور ضد الأساطير الإسلامية، ومنها فير رسول الله، صلى الله عليه وسلم، التي تمت بهدياً وأيضاً هوذا هو الأفعى من موضوع، لتكثيرها بريق العقلانية الإسلامية، ومجافاتها سبيل التعقل العقلي، مكتفية بالوقوف عند حرفة التصور وظواهرها،

وقد كتب هذا الإمام في نقد هذه الوضعية الوضعية، بقول: لقد قام الوضعية للإصلاح، ومذهبيهم حسن، ولا الغلو والإفرات، إلى حافة إلى قوم يهدم بهم الدين - صلى الله عليه وسلم - جميعاً، والقول بكيف يطمع المسلمون؟ والعمل على إخصائهم بالسيف، أو

إيادهم؟ نعم، لا بأس بالمبالغة في القول والخطابة لأجل التأكيد بالترغيب والترهيب والتفكير، ولكن ما كل ما يقال يكتب ويبنى عليه عمل.

ثم عند مجافاة هذه الوضعية الحرفية، تحتاج العقلانية الإسلامية، ضد العقلانية التي جعلتها أضيق صداراً بالعقل والعقلانية من المقلدين الذين ينادون بالإصلاح، فقال: وهذه الضميمة صلتاً، وأحرر صرداً عن المقلدين، وهي: نحن أنكرت كثيراً من البدع، وحث

في النفس والذات من لذات والآلام، وبلغ والطمأنين، وشباب (استماع وإيا) وإعنان، وذلك مما يذوق للنفس، ولا يحصى البان، فهما غيتان للنفس لتطهر بهما، حين تقع على القريب، وأخرى تستد إلى البعيد. وهي النفس، هي حافة إلى كل منهما، لا تنفع بإحداهما حتى يتم لها الاتصاف بالآخر، فالعقل الصحيح يقوم الوجدان، والوجدان السليم من آثار العلم، والدين الكامل علم وذوق وعقل وقلب، وبرهان، وأدعان، فكر ووجدان، فإذا اقتصر على أحد الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه، وهيهات أن يقوم على الأخرى، ولا يتحالف العقل والوجدان حتى يكون الإنسان الواحد إنسانين والوجود الفرد وجودين.

قد يترك عقل الضمير في عمل ولكل تعلمه طوعاً وجهداً، ولما وقعت الإقتضايات في أمر واضعت من أجابة لنافع من سيرتك، فتقول: إن هذا يدل على تحالف العقل والوجدان، ولكن أقول: إن هذه حجة لا يبرع فلا لا يبرع، فلا عليك أن ترجع إلى نفسك لتتحقق أن أحد الأمرين، إما أن يفتك ليس يبين، وأنه صورة عرضت عليك من قول غيرك، فانت نظمتها علماً وما هي منة في شيء.

لا بد أن يتبنى أمر العلم إلى تأخي العلم والدين على بعض الأسس الفكرية، ويأخذ العاقل بعقود الحديث التي صحت معناه، (تفكر في خلق الله، ولا تفكر في الله)، وعند ذلك يكون الحق أنتم ترون ولو كره الكافرون، ويتبعهم الجاهلون القاطنون، وليس بذلك وبين ما أعاد به إلا الزمان الذي لا يد من شيء، فالتفكير والتعليم الجاهل، وتوضيح التعليم والأدع، وهو ما تقتضيه السنة الإلهية في التدريس (رسالة في الدين خلوا من قبل أن تجد لسنة الله تبديلاً)، الأحزاب، ١٢، (إنهم يريدون بعيداً منكم، وأمر قريباً)، المارج، ١٧، (إن تصروا إلى انكم تصرمون وبئيت أقدامكم)، محمد، ٥، وهو خير التامرين.

هكذا مع الأساتذة الإمام مثلاً في فلسفة الوضعية الإسلامية الجامعة، الهادييات الأربع، هي نظرية المعرفة الإسلامية، نفس هي وجود أي تناقض حقيقي بين العلم والدين، أو بين العقل والوجدان، القلب، هذه الهادييات جميعها عيون للنفس الإنسانية، لتزامل وتكامل في تحصيل المعرفة المتوازنة والتكاملية المحقة، لتطامنين الإنسان.

والذي يترك فلسفة من فلسفات الشروع الحضاري للأمة، خمسة فروع المعرفة الإسلامية، التي تعزيت - بالوسطية الإسلامية الجامعة - عن تطرفها عن نظريات المعرفة عند أهل الغلو - وما فهم أهل الغلو الحديث، المظلمين - أو أهل الغلو اللاديني، المظلمين، فيها الوضعية مع هذه النظرية، في مصادر المعرفة - بين الواقع واقع علم الشهادته والآداب المظلم، وسننه المظلمة في التفاسير والتأليف - وبين عالم الغيب ونيا السماء العظيم الذي جاء به

والدين، هؤلاء المؤمنون كلما عرضت لهم شية لا ح لهم سلطان الولاية الإلهية على قلوبهم شعاع من نور الحق يطرطظ ظلمتهم، فيخرجون منها بسهولة (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبسورين)، الأعراف، ٢٠١، هو لأن الجواس في رياض الألقاب وارتبها ما فيها من ادب الصنيع والألقاب يعظمهم لهم، ونظر العلماء في فنون الحقول يعظمهم لهم، وما جاء به الدين من الآيات البينات يتم لهم نورهم.



وعلى حين سقط الغلو اللاديني بالغرب والمغربيين في التناقض التزمهم بين العلم، والدين، فإن هذه الوضعية الإسلامية الجامعة في نظرية المعرفة قد جمعت وأملت وكاملت بين العلم والدين - فالعلم شجرة للحرص والعقل - هي ألقاب، هي تناقض أحيانا، على الحرص والعقل فإنها لا تناقض شمرات أي منعتها، ولذلك، انشعب الإمام محمد عبده إلى أن هذه الوضعية الإسلامية في نظرية المعرفة، هي التي تعصم العقل المسلم من هذه التناقضات المتناقضة، سقطت فيها الحضارة الغربية، شذائبة التناقض التزمهم بين العلم والدين، فقال: لقد وعد الله بأن يتم نوره، ويأن يظهره على الدين كله، فسار في سبيل التمام والظهور على هذه التناقضات المتناقضة، انصرف به أهله عن سبيله، وساروا به إلى ما يرون وترى، ولا يفتشون الحديث حتى يتم ذلك الودع، ويأخذ الدين بيد العلم، ويتعاونوا معاً على تقويم العقول والوجدان، فيترك العقل قلبه وقهره ويعبر حدود سلطنته، فيصرف فيما أتاه الله تصرف الراشدين، ويتكثف ما مكتنه فيه من أسرار العالين، حتى إذا غشيت به سحابت الجلال وقف خاشعاً، وقفل راجعاً، وأخذ أحد الراسخين في العلم، الذين قال فيهم أمير المؤمنين عبي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، فيبري عينه، هم الذين اضمح من اتحام السدود الضميرة دون الفيلق الإفرار بجملته ما جعلوا قصوره من الغيب المحجوب، فهدم على اعتراقلها بالعمجز من تلال ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعقيد فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً،

فانكلك، بلنقى، العقل، مع الوجدان الصادق، القلب، ولم يكن الوجدان ليدابر الحذر من مبرم داخل حدود ملكته حتى يتألف الوجدان سليماً، وكان ما استكناه به من نبراس إنسان صحيحاً. إننا نعتقد أن يعتقد بعض السدح من أي فرقا بين العقل والوجدان القلب، في الوجوه بعضها الظاهرة والفرقة، فأما يقع التناقض بينهما عرضاً عند عرض الأراض والأرض الروحية على التفوق، وعلى الجمع العقلاء على أن المشاهدة بالحق الوجدان، الوجدان أو القلب، من ميثاق البرهان العقلي، كوجدان أنك موجود، ووجدانك لسرورك وحزرك وغضبك ووجده، وأنتك ونحو ذلك. منحنى العقل لتطرق في الغيبات والآداب والسياسات والفرق بين الفيلسوف والفكرات ومنحنى الوجدان لإدراك ما يحدث

والهادي الرابعة، الدين، يغلق العقل في إدراكه كما تلتقط الحواس، وقد يميل الإنسان استخدام حواسه لتدقيق فيما فيه سعاده استخداً وتذوقه، وسيلك بهذه الهاديات مسائل الضلال، فيجعلها مسخرة لشهواته ولذاته حتى تورد موارده الهلكة، فاحتاج الناس إلى هاديية ترشدهم في ظلمات أوهامهم، إلا هي غلبت على عقولهم، وتبين لهم حدود أعمالهم ليتقوا عنتها، ويكفوا عما وراءها.

ثم إن ما أودع في غرائز الإنسان الشعور بسطة غيبية مستطعة على الألقاب، ينسب إليها كل ما لا يعرف له سبيل، لأنها هي الواجبة على موجود ما هو في وجوده، وإن حية وراء هذه الحياة المحدودة، فهل يستطيع أن يصل بملكته الهادييات الثلاث التي تحيد من غيبها لصالح تلك السلطة التي خلقت، وسواء ووجهيه هذه الهادييات وغيرها مما فيه سعاده في تلك الحياة الثانية؟ كلاًه إلى أن أشد الحاجة إلى هذه الهاديية الرابعة، الدين، وقد منحه الله إياها، ولكن، بقي معنا هاديية أخرى، وهي المعبر عنها بقوله تعالى: (أولئك الذين هدى الله فبهم اهتدوا)، الأعراف، ٩٠، فليس المراد من هذه الهاديية ما سبق ذكره، فراهيية في الآيات السابقة بمعنى الفتاة، وهي بمنزلة إيقاف الإنسان على رأس الطريقين، المهلك والمنجي، مع بيان ما يؤدي إليه كل منهما، وهي ما تقتضيه الله على جميع أفراد البشر، أما عند الهاديية، وهي أخص من الهاديية، وهي لكن منصوصة لكل أحد كالحواس والعقل وشرع الدين ولما كان الإنسان عرضة لتلفظ والاضلال في فهم الدين وفي استعمال الحواس والاضلال على ما قد منحنى، كان محتاجاً إلى الهاديية الخاصة، فأمرنا الله بتعليمه منه في قوله (اهدنا الصراط المستقيم) فمنحنى (اهدنا الصراط المستقيم)، فدلنا على الصراط معونة غيبية من لندك، فلتعلمنا بها من تضللنا والخطأ، وما كان هذا إلا دعاء لسان الله إلهاد، إلا أن حاجتنا إلى إلهاد من جاستا إلى كل شيء، وهذا صراط الفيلسوف الحكيم الإمام محمد عبده، فذهب الوضعية الإسلامية في نظرية المعرفة الإسلامية الفلسفي الحكم، التي ميزت بالإسلام في هذه القضية المحورية عن كل النظريات والآراء التي سادت في دوائر الغلو البدني واللاذيني من تاريخ المعرفة الإنسانية، ثم عاد الأساتذة الإسلاميين ليجتدوا من ذات القضية، في تفسير قول الحق، سبحانه وتعالى، (والله لا الذي أتقوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أو إياهم الظلمات يخرجهم من النور إلى الظلمات) أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون - البقرة، ٢٥٧، فقال - بعد رفض ما سماه تفسير الدون الذين لا يفهمون أساليب اللغة العالية، وتفسير الوضعية، الذين هم أجدر بجمع فهم، والذين استدلوا بهذه الآية على الجبر والجبرية، قال: الأساتذة الإمام، لا المؤمن لا ولي له ولا سلطان لأحد عليه لا إلى أعمال، ومتى كان كذلك فإنه يهدي إلى استعمال الهادييات التي وهبها الله له على وجهها، وهي: الحواس، والعقل،



عن الدين كثيراً مما أضيف إليه وليس منه، فإنها ترى وجوب الأخذ بما يفهم من لفظه الوارد، والتشديد به، بدون التفتات إلى ما تقتضيه الأصول التي قام عليها الدين، والتي كانت الدعوة، وإجلها منحت النبوة، فلم يكونوا للعلم واللباء ولا للتمدية ألباء.. انتقد الإمام محمد عبده هذه «السلفية الاصلاحية» لمخالفاتها مناهج النظر العقلي والعقلانية الإسلامية.. وهو السلفي العقلاني، الذي أعلن أن هدفه من وراء دعوته السلفية العقلانية، هو تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة.. قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كتب معارفه إلى منابعها الأولى، واعتبار الدين من ضمن موازين العقل البشري.. فميز بين سلفية العقائد، الداعية إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، وبين «السلفية الوهابية» التي جاءت العقل والعقلانية، فهدت. وفي الأخير، اضيق أفقا من المقلدين، وقادها هذا الجفاء للعقل إلى حيث تثبتت طرق العلم والدين.. كذلك انتقد الإمام محمد عبده «الفلو المادي الوضعي» الذي ذهب أصحابه على درب «تأليه العقل» إلى حد إنكار أن يكون النقل والوحى مصدراً للمعرفة.. حتى لقد ذهب بعضهم إلى تخصيص المعجزات والخرق، وكل ما لا يستقل العقل والحس بإدراك كنهه. تفسيراً مادياً!

انتهى الإمام محمد عبده

الوساطة الإسلامية في

نظرية المعرفة

هي التي تصمم العقل

المسلم من هذه

الثنائية المتناقضة التي

سقطت فيها

الحضارة العربية

ثنائية التناقض

المزوم بين العلم

والدين

لعقل بشرى أن يصل إليه وحده.. لهذا كان العقل محتاجاً إلى معين يستعين به في وسائل المسادة في الدنيا والآخرة. فالعقل هو ينبوع اليقين في الإيمان بالله، وعلمه، وقدرته، والتصدق بالرسالة.. أما النقل فهو الإيماء فيما بعد ذلك من علم الغيب، كأحوال الآخرة، والمعاديات.. والذي علمنا استعاضه أن الدين الإسلامي من توحيد في العقائد، لا دين تزريق في القواعد، والعقل من أشد أحواله، والنقل من أقوى أركانه.

هكذا تكلم الإمام محمد عبده، وكتب مقالاً في العقلانية الإسلامية، من موقع الوساطة الإسلامية الجامعة.. ومن موقع الرفض والتفقد للفلو.. مغلق الفلو.. غلو الشريط الذي انحازت إليه «الهابية الوهابية» التي جاءت العقل، وكأنها خلعت فيها بين «الوحي».. و«الوحي» الذي انحازت إليه «المادية الغربية» التي أهتت العقل، فجعلت سلطانها فوق كل سلطان.. حتى سلطان العلم الإلهي، الكلي والمطلق والمحيط.

فلذا عانا أن الإمام محمد عبده كان كثير المنعزلة في كثير من مقالاتهم «العقلانية».. ومنها موقفهم من «التحسين».. والتقصيح.. وترجيدها في مقائله العقلانية من إبداع أركانه.

عن الدين والدولة

عندما صدر كتاب (الإسلام وأصول الحكم) لتبليغ على عبد الرزاق (١٢٠٥هـ - ١٢٨٧هـ، ١٩٨٦م - ١٩٦٩م) في أول مرة في تاريخ الإسلام.. والفكر الإسلامي، أن الإسلام دين لا دولة ورسالة لا حكم.. وجاء فيه تحت هذا العنوان: أن نبي الإسلام.. صلى الله عليه وسلم، ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشويها ذرعة ملك ولا حكومة.. ولم يطمح بتأسيس مملكة، بالعلمي التي يفهم سياسة من هذه المملكة، ومفرداتها، ما كان إلا رسولاً كإخوانه الخلق من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، لا داسياً إلى مملكته.. وظواهر القرآن المجيد تؤيد القول بأن النبي لم يكن له شأن في الدولة السياسية، وبالتالي متصافرة على عمله السامي لم يتجاوز حدود البلاغ المجرى من كل معاني السلطان.. وليس عليه أن يأخذ الناس بما جاءهم به، ولا أن يحلهم عليه.. كانت ولاية مشيوية في المؤمنين ولاية الرسالة غير مشيوية بشيء من الحكم، هيأت مهيأت، لم يكن ثمة حكومة.. ولا دولة.. ولا شيء من نزعات السياسة ولا أغراض الملوك والأمراء.. عندما صدر هذا الكتاب، وفيه هذه الدعوى غير المسبوبة، حتى من قبل المستترفين.. دعوى علمية الإسلامية، وجعله تصريحا يرد ما لم يصير تقصير.. ويقتضه فقط.. عند له.. مما لم يفهموا الكسب.. وقّع رزائل فكره على راسه وخفيش على كاسه الفكر الإسلامي، على امتداد عالم الإسلام، وفي دولته الاشتراكية، ودارت معارك فكرية لعلماء أكبر وأخصب معارك الفكر التي شهدتها العالم الإسلامي في العصر الحديث.

يحدث فيها، هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل، وعلى من يطلب المسادة في المجتمع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليه أصاله، ويبنى عليها سيرته، وما يأخذ به نفسه، فإن غش عن ذلك غاش فلا ينتظر إلا الشقاء، وإن ارتفع في الصالحين نسبة، أو اتصل بالمقربين سببه، فهما بحث الناظر وفكر، وكشف، وقرأتى لنا بأحكام تلك السنة، فهو يجري على طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تتجافى عنه، ولا تتغير منه. (قد خلت من قبلكم سنن قيسروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكتنبيين).. آل عمران: ١٣٧، إرشاد الله إيذا إلى أن له خلقه سنن.. ويوجب علينا أن نجعل هذه السنن علماً من العلوم المحبوبة، نستديم ما فيها من الهداية والوعظة على الأكل وجهه، فيجب على الأمة.. في مجموعها.. أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وبينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه.

والعلم بسان الله تعالى من أهم العلوم وانفعا، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مآذنه من أحوال الأمم إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتنالها ومعرفة حقيقتها.

وبعداً! الأصل، الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي.. صلى الله عليه وسلم.. مهتم في ريد العقل كل سجيل، وأزيت من سيته جميع العقبات، واتسع له المجال إلى غير حد..

ثم خلس الأستاذ الإمام.. في حديثه عن العقلانية الإسلامية، إلى تقرير المسادة التي خالفت فيها الإسلام أهل الفلو العقلاني.. وذلك عندما وضع للعقل حدوداً لا يتعداها، وفي حدود عالم الشهادة، وقرر حاجته إلى الوحى في معرفة نيا الغيب والسما.. وكثير من مقادير الأحكام في العبادات..

ولذلك، كتب الأستاذ الإمام، فقال: «عن حدود العقل الإنساني» «إن العقل البشري وحده ليس في استطاعته أن يبلغ مصاحبه ما فيه سعاده في هذه الحياة، اللهم إلا في قليل ممن لم يعرفهم الرزق، فإن كان لهم من الشأن العظيم ما به عرفهم أشار إليهم الدهر بأصابع الأجيال».

وقد يكون من الأعمال ما لا يمكن درك حسنه، ومن المصاحبه ما لا يعرف وجهه، وهذا النوع لا حسن له إلا الأمر ولا قبح إلا النوى.

إن مجرد البيان العقلي لا يدفع نزاعاً، ولا يرد طمانينة، وقد يكون القائل على ما وضع من شرعية العقل يزعم أنه أرفع من واضعها، فيذهب بالناس مذهب شهواته، فتذهب حرمتها، وينهدم بناؤها، ويقتد ما قصد بوضعها.

وإذا قدرنا العقل البشري قدره، وجدنا غايه ما ينتهي إليه كماله هو الوصول إلى معرفة عوارض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنساني.. أما الوصول إلى كنهه حقيقة فمما لا تبلغه فؤده. ومن أحوال الحياة الأخرى ما لا يمكن



وللعسة الوثوقية بين مقام العقل في الإسلام.. وبين تقرير الإسلام للإدباط بين الأسباب والمسببات.. كتب الأستاذ الإمام، عن: السببية: «إن القول بنفى الرابطة بين الأسباب والمسببات جدير بأهل دين (يقصد النصارى)» ود في كتابه «الإنجيل» أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للنسوء أن يقول لتجبل تحول من مكانك، فيتحول الجبل.. يليق بأهل دين تعد الصلاة وحدها، إذا خلص المصلى قلبه.. كافيته في إقداره على تغيير سير الكوكب وقب نظام العالم العنصرى.. وليس هذا الدين هو الإسلام.. دين الإسلام هو الذي جاء في كتابه، (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم)، النبوة، ١٠٥ (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) - الأنفال: ٦٠ - (سنه الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً) - الأحزاب: ٢٢ وأماها.

وليس من الممكن لمسلم أن يذهب إلى ارتفاع ما بين حوادث الكون من الترتيب في السببية والمسببية إلا إذا فكر بدنيته قبل أن يكفر بمقله.

كما كتب الأستاذ الإمام: «عن السنة الكونية الجامعة لسير العالم والاجتماع».

إن لله في الأمم والأكون سنناً لا تتبدل.. وهي التي تسمى شرائع أو نواصير، أو قوانين.. ونظام المجتمعات البشرية وما

الدينية، فصلت الدين عن الدولة.. في النموذج الليبرالي.. وفصلته عن الحياة.. في النموذج المركزي.. عندما عززت النساء عن الأرض



تلك لحاحات عن بعض المعالم في الشروع الحضاري للإمام محمد عبده.. التي كانت الوسطية فيه مناهجاً للإصلاح بالإسلام.. وصعد الله العظيم إلى آفاق.. وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً (البقرة: ١٤٣)

ورحم الله الإمام محمد عبده، الذي قال: «إن الإسلام دين ورع.. كمال للشخص.. وأفعى في البيت.. نظام للملك.. وضع حدود.. ورسم حقوق.. ولا تكتمل الحكمة من تشريع الأحكام إلا إذا وجدت قوة (دولة.. وسلطة) لإقامة الحدود وتنفيذ الأحكام.. وفيها نعيم الإسلام وأمانات في الأمم التي دخلت فيه عن سواها ممن لم يدخل فيه، فكان المرسلة الأولى التي يرقى فيها البريرة على سلم المدنية.. وإن سبيل الدين لمزيد الإصلاح في المسلمين سبيل لا مندوحة عنها».

ورحم الله جمال الدين الأفغاني، أستاذ محمد عبده، الذي قال: «إننا، معشر المسلمين، إذا لم يؤسس نهوضنا وتقدمنا على قواعد دينية وقرآنية، فلا خير لنا فيه.. ولا يمكن التخلص من وصمة العداوة والظلمة والتخلف إلا من هذا الطريق، وإن ما نراه اليوم من حالة ظاهرية حسنة فيها (من حيث الزلل والأخذ بأسباب التمسك) من غير التفتقر والاحتياط، لأنها (تتمتد) ذات عقولهم للأمام الأوروبية.. وهو تقليد يجرنا بطبيعته إلى الإصباح بالأجانب والاستكشاف لهم، والرضا بسلطانهم علينا، وبدل ذلك نهض صيغة الإسلام، التي من شأنها رفع راية السلطة والقدرة إلى عبيد صغرة وضعية واستئناس لحكم الأجانب».

إن الدين هو قوام الأمم، وفيه سر السيادة، وعليه مدارها.. وهو السبيل المقدر لسعادة الإنسان.

ولقد بدأ الخلط للهوى، (في تاريخنا) من طعن أصول الدين، وبينها ظاهرياً.. والعمل إذاً يكون بروجع الأمة إلى قواعد دينها، والأخذ بأحكامها على ما كان هي بداتها.

ومن طلب إصلاح الأمة بوسيلة سوى هذه، فقد ركب بها خطئاً.. ولن يريها إلا تحسناً.. ولن يكسبها إلا تعسفاً.. وصدق رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «إد بقلوا.. فيما رواه الطبراني».

يقول من العلم من خلف عدوله، يمتون عن تحريف الضالين وانتحال الباطنين إلى قول. فيما رواه أبو داود: «بيعت الله اليوم أمة على رأس كل مائة سنة من يجهل لها أمر دينها..» ولقد كان الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مشروعا نهضوا، لتجديد دين الإسلام، كي تتجدد به دنيا المسلمين.. عليه رحمة الله ١١

دفع الإمام محمد عبده عن «دولة الإسلام، هذه شبهة «السلطة الدينية.. الحورية.. الكهنوتية، التي سقطت منها الدولة الكهنوتية بأوروبا العصور الوسطى.. فليس في الإسلام كهنات أصلاً.. ولا سلطة دينية.. فضلا عن سلطة دينية تقف بين الإنسان وحافظه.. وعلماء الإسلام.. من المتصن.. إلى القاضي.. إلى شيخ الإسلام.. ليسوا كهنات، ولا أصحاب سلطان على عقائد الناس.. ومديرة.. كسلطانهم.. كسلطة الدولة، في إجماعها القانوني الإسلامي.. فالدولة في الإسلام.. مديرة، ليس فيها الأمة، وتطور مؤسساتها المدنية، والدينية، هنا ليس اللائحية.. كما هو حال مصممون هذا المصطلح في الفاضل العربي.. وإنها الدينية هنا معناها شيء والقدسية وإسلامية في ذات الوقت، وليست كهنوتية بالشرع والحدود والحقوق.. فهي دولة مدنية وإسلامية في ذات الوقت، وليست كهنوتية ولا علمانية.. إنها متشعبة بين الدين والدولة، دوماً، ففضل، أو الاتحاد.. وفي رفض الإسلام، للسلطة الدينية.. الكهنوتية، وبرادة دولة منها، يقول الإمام محمد عبده، إن الإسلام لم يحرر من السلطة الدينية، التي عرفتها أوروبا.. فليس في الإسلام سلطة دينية سوى صيغة الموصلة الصغرى، والدعوة إلى الخير، والتشجيع عن الشر.. هي سلطة خولها الله لكل المسلمين، اندفاعهم واطعامهم.. والتي تولى الحكم.. هي صاحبة الحق في السيطرة عليه، وهي تخلفه متى رأت ذلك من مصلحتها، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه، ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الطبيعة، عندنا مع ما يسميه الفرج الفرجيوكريك، أي سلطان إلهي.. فليس للإسلام، بل ولا للفاشي، أو الحق، أو شيخ الإسلام، أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحياء، وكل سلطة تناهوا إلى واحد من هؤلاء هي سلطة مدنية، فبرها الشرع الإسلامي.. فليس في الإسلام سلطة دينية بوجه من الوجوه.. بل إن قلب السلطة الدينية، الدينية، إنسان عليها من الأساس، هو أصل من أجل أصول الإسلام..



هكذا جمعت الوسطية الإسلامية.. في فكر الأستاذ الإمام.. بين الدين والدولة.. وبين الدنيا والآخرة.. وبين سلطة الأمة ومرجعيتها الضمنية الإسلامية.. في نموذج متميز عن التميز في جميع النماذج السياسية التي عرفتها الحضارات الأخرى في علاقة الدين بالدولة.

فاللغة عندنا «إسلامية.. مدنية.. إسلامية مرجعية.. مدينية النظم والمؤسسات.. منها تراوحت النظم النظم بين «الدولة الدينية، التي جعلت الدولة ديناً، وحكماً بالإنجيل والتفويض والسمو، لا علاقة له بسلطة الأمة.. وبين «الدولة العلمانية، التي جاءت رد فعل للدولة

لهذه الخلافة ولهؤلاء الخلفاء.. في هذا الميدان.. فلقد أصر أن نظام الخلافة قد فُهر وبسر ملكات الإسلام فلم يبدعوا في العلم والإبداع

ثم.. إننا إذا شئنا أن نقف من فكر الأستاذ الإمام ضابطاً عن رايه في فكرة علاقة الإسلام بالدولة.. وكيف آله دين ودولة.. فإننا نجد أنفسنا أمام وصفات عديدة بالأفكار الفكرية والحسم وفصاحتها.. فوسطية الإسلام جامعة بين الدنيا والآخرة، وبين هو الدين الذي يترك هذا العالم.. الدنيا.. فيقيم ملكته خارج هذا العالم.. بل إنه هو الدين الذي يقدم الدنيا على الآخرة، حتى تبرز الإسلام محمد عبده من علوم المدنية ومخترعات الحضارة والصناعات التي تطغى بها الدنيا، إنما هي دين وتكاليف شرعية.. يقول في تفسير آية البقرة (٣٢) «إن القرآن قد قدم الدنيا على الآخرة.. هي (الدنيا) والآخرة.. لأنها مقدمة في الوجود بالفعل، وكل ما أصرا الله تعالى به وهذا إنه فهو من ديننا، ولذلك قال علماؤنا: إن جميع الفنون والصناعات التي يحتاج إليها الناس في معاشهم من من الغرض الدينية».

وإذا كانت الأولويات السياسية والاجتماعية، والأيدولوجيات الفكرية والعقدية، لا بد لكل منها من «دولة.. وسلطة.. تقيدها وتطويعها وتطويعها.. فإن الإسلام.. وهو الذي جاء «بشريعة.. من الدين».. والذي مثل ويمثل منهاجاً شاملاً للدين، والتأسيس والتقدم والنهوض والإصلاح، والتي جمعت تكاليفه بين الفنون، والصناعة، والاعتماد، والتي تولى الحكم.. من «دولة.. تقيدها.. وتحرره.. وتكثف.. وتبناها».

إن داخل الليبرالية، لا بد من «دولة» ليبرالية، تقيده وتطوره.. وكذلك.. والشؤون، أو القوم،.. إلخ..

ولقد كان الإمام محمد عبده شديد الحسم والوضوح في أن الإسلام هو سبيل الإصلاح، وهو الحل لشتات كل الحضارات في كل المجتمعات.. وفي سواها العصور الفكرية الغربية والغربية، التي بشرت بالنموذج الغربي العلماني سبيلاً للنهضة، وقف الأستاذ الإمام أمامه من «الحل الإسلامي»، الذي هو الطريق الطبيعي لتقدم مجتمعات الإسلام..

ويعد هذا الحسم والوضوح من قبل الأستاذ الإمام.. لجميع الإسلام بين الدنيا والآخرة.. بين الدين والدولة.. لأنه منهاج شامل، لكامل.. كمال للشخص.. وأفعى في البيت.. ونظام للملك.. وسياج لنظام الجماعة.. وسلطة تقيم الحدود التي وضعتها الله.. بعد هذا الحسم والوضوح لهذه القضايا.. في علاقة الإسلام بالدولة..

ويومئذ.. وضمن هذه الحركة المكررة.. جرت محاولة من العلمانيين.. الدافعين عن دعوى إلهي الكتاب.. لعامة فكر الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده.. في علاقة الدين بالدولة.. كي يشهد على عبد الرزاق وكتابه (الإسلام وأصول الحكم).

ولقد خلط أصحاب هذه المحاولة، التي أتبعتها جريدة السياسة، يومئذ.. بين رفض الشيع محمد عبده.. في علاقة الدين بالدولة.. وعرضها الكنيسة المسيحية في عصرها الوسطي.. وبين موقفه من علاقة الدين الإسلامي بالدولة، وكون دولة الإسلام في مدينة والدولة في ذات الوقت، مدينة تصنع الأمة ونظامها ومؤسساتها، وهي مصدر السلطات فيها، وإسلامية، لأن الإسلام وشرعته وفقه معاملاته هو المرجعية الحاكمة لسلطات الأمة والدولة في هذا التنسق الفكري والسياسي المتميز.. في دولة مدنية، قامت وتقوم لتقوية الشريعة وأفعى الله.. حدثت هذه المحاولة لتعمد فكر الإمام محمد عبده في علاقة الدين بالدولة.. وذلك حتى يشهد.. ويرى وزر وأهلاً.. للكتاب الذي يدعو إلى علمة الإسلام.

وفي هذه المحاولة ركزت مسيحيتها السياسية، على اقتباس نصوص الأستاذ الإمام، التي تؤكد على مدينة الدولة.. فالحاكم هو مدني من جميع الوجوه.. وعلى رفض الإسلام للسلطة الدينية بطبيعية الإسلام ما يسمي عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه.. وعلى تركه الضمنية الإسلامية لتأسيس النظم والمؤسسات والقوانين في النماذج لتطور الأجيال.. وعلى رفض الإسلام للحروب الدينية التي تكبر الناس على الاعتقاد الديني.. إلخ.. إلخ..

لكن هذه المحاولة لعلمة محمد عبده، وفسره على أن يشهد لتعمد الإسلام، بات بالشلل النرجي.. ذلك أن موقف الأستاذ الإمام من هذه القضية، علاقة الدين بالدولة.. كان موقفاً حاسماً.. وشديد الوضوح.. مدينية سلطة الخليفة.. السلطة التنفيذية في النظم الإسلامي.. لا تمتص لتكارر وجوب الخلافة الإسلامية، وهو ما قاله كتاب عبد عبد الرزاق.

وما يرفضه محمد عبده من خلط بالخلافة الإسلامية، بـ «الشيوفاطية، الأوروبية الكاثوليكية» هو ذات ما وقع على عبد الرزاق، عندما أصر أن صانع العلماني علماء وأفعى، يرون أن الخليفة إنما يستمد سلطانه من الله، وأنه ينبغي بالدولة لطفة على الأمة في شئون الدين والدنيا.

والإمام محمد عبده يحدد أن الحكومة الإسلامية يجب أن تكون شورية، ملتزمة بالشرعية المدنية.. وهذا يعني أن الإسلام قد جدد ألامته (إنذاراً محدداً لحكومة مدنية يجب أن تلتزم هذا الإطار) وهذا هو الذي رفضه على عبد الرزاق، عندما أطلق سراح الاحتياط إلى حكومة من الحكومات، حتى ولو كانت بطبيعية.

وحديث الأستاذ الإمام عن تسامح الخلافة الإسلامية والخلفاء المسلمين مع العلم والعلماء والفلاسفة والفلاسفة، مناهض لتصوره التي لفها على عبد الرزاق

[١]

■ يعتبر الشيخ محمد عبده أحد أبرز الذين تأثروا بالمصلح المشرق الإسلامي الكبير جمال الدين الأفهامي. وإن كانت علاقة الأفهامي المبكرة بدوائر الحكم والسياسة قد انبأت بنمط حياته الحافلة والمضطربة اللاحقة، فلم يكن في مطلع حياة عبده ما ينبئ ما لتكتسب عن مستقبله. هذا ابن الريف المصري المحافظ، حيث التصوف الإسلامي هو سيد الموقف، وابن التعليم الأزهرى. حيث التقاليد الإسلامية الموروثة لا تتزعزع. ولكن الزمن كان هو القدر التاسع عشر، بعواصفه وتياراته المتصارعة وسدائمه المتتامة.

حفلت رحلة محمد عبده بشراء فكري جعلت منه خلال سنوات داعية المشروع الإصلاحى الأكثر تأثيراً فى مصر ومحيطها العربى والإسلامى.

وربما يجدر قبل التطرق إلى الملامح الرئيسية للمشروع الإصلاحى الإسلامى الحديث الذى مثل عبده أبرز أصواته، يجدر تلمس جذوره التاريخية والسياسية الموضوعى الذى أطلقه

[٢]

إن المتغيرات التى شهدتها مصر الإسلامية منذ القرن التاسع عشر، والربيع الأخير منه على وجه الخصوص، متميزات أساسية، فقد طالت هذه التغيرات تقريباً كل أوجه الجدل الفكرى الإسلامى، مست طبيعة العديد من قضاياها، بينما أبرزت قضايا جديدة شاملاً وعلى عدد من المستويات، تبدو ساحة الفكر الإسلامى فى القرن العشرين انفتاحاً ملحوظاً للتحولات الفكرية فى نهاية القرن التاسع عشر. قضايا مثل النص والعقل، والإسلام والغرب، التى سيطرت على مشهد الفكر الإسلامى فى القرن العشرين، تعود جذورها إلى النقاش والجدل حول الإصلاح والنهضة الذى انشجركما لم ينتج من قبل فى القاهرة، دمشق، اسطنبول، طهران، ودهلي، فى نهايات القرن التاسع عشر. ويمكن، ربما، وضع التغيرات الفكرية الإسلامية فى نهاية القرن التاسع عشر ضمن ثلاثة أقسام، الأول، ويتعلق برؤية المسلمين للنصوص المؤسسة، القرآن والحديث وورودها فى معالجة التحديات التى واجهت العالم الإسلامى، وعلاقتها بالموروث الإسلامى الوسيط، ويتعلق الثانى بضم وتقييم التوجهات الإسلامية الفكرية السائدة وصفتها بأحاديث المعاشة للمسلمين أما الثالث، فيتعلق بتحديد التحديات الخارجية، التحديات الغربية،



الإجماع الإسلامى تاريخ وميراث



بشير موسى نافع

طبيعة تلك التحديات، والبحث عن مسارات فكرية إسلامية جديدة لاستيعابها.

قدم ألبرت حوراني، إضافة لآخرين، فى كتابه الذى أصبح الآن عملاً كلاسيكياً «الفكر الإسلامى فى العصر الليبرالى»، ١٧٩٨ - ١٩٣٨، المشروع الإصلاحى من زاوية الأزمة التى عاشتها أوساط الدولة الإسلامية وأوساط النخبة فى مواجهة الصعود المبرر للغرب وتقدمه العسكرية. وقد بدأ الإصلاحيون الإسلاميون، من وجهة النظر هذه، بما فى ذلك عبده، رشيد رضا والسيد أحمد خان، باعتبارهم تياراً وسطياً سلبياً لا جذور إسلامية له بين أولئك الذين رفضوا أى تفاعل مع الأفكار الغربية الحديثة، وأولئك الذين دعوا لا عتناق غير متحفظ لنظمه الفكر والسياسة والاجتماع الغربية. إن المشكلة مع هذه المقاربة للمدرسة الإصلاحية الإسلامية (السلفية الحديثة كما تسمى أحياناً) هى فى العرضية الضميمة التى تستند إليها، أى فى فهم تعريف التوجهات الإسلامية الفكرية الإسلامية على المواجهة مع التحدى الغربى للحال الإسلامى وإغنائها الحراك الفكرى الإسلامى الكبير فى القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولذا، فإن البدء بمحاولة النظر فى الجذور الداخلية للحركة الإصلاحية الإسلامية قد يساعد فى تقديم تقدير أكثر توازناً للمشروع الإصلاحى، لتوجهاته الرئيسية والآثر بعيد المدى على الأنماط الفكرية الإسلامية الحديثة.

يمكن اعتبار أحمد بن تيمية (١٢٦٣ - ١٣٢٨) آخر محاولة إصلاحية إسلامية كبرى فى العصر الإسلامى الوسيط، ويرى ابن تيمية، المتكلم المشرق للحقول، والفقيه والمحدث، اليوم فى دوائر إسلامية معينة باعتباره المؤسس الحقيقى للمدرسة السلفية. وقد شكل ابن تيمية بالفعل تحدياً عائلاً للتصوف والمدرسة الأشعرية، لخطوطها الباطنية، كما للتوجهات المنهجية السنية المتعصبة. ولكن ما يبدو مركزياً فى مشروع ابن تيمية الإصلاحى، هو الإصرار على إعلاء دور النص الإسلامى المؤسس، القرآن والحديث، وما بعدهما إجماع الصحابة والتابعين. بكلمة أخرى، فإن بحث ابن تيمية عن سبل إعادة بناء الوحدة الفكرية، ولقدرة للمؤثرات الخارجية على الثقافة الإسلامية (كالملطق والفلسفة اليونانية)، أدى به إلى التمسك إلى إحياء التصورات المبكرة للإسلام، التصورات التى لم ينتهها التلوث بعد. إن هذا لا يعنى أن ابن تيمية اختار طريق إعادة بناء تبسيطية للدين، ذلك أن لا البيئة الثقافية التى عاش فيها وشغل كانت

بسيطة ولا خصومه الدين واجهوه كانوا
فريسة سهلة.

رأى ابن تيمية في العقيدة الأشعرية، التي هيمنت على أوساط العلماء السنة، والبدون الانتزائية، التي سلمت في أوساط الشيعة ويعطى السنة، تهديداً لحيوية وتوازن البناء العقدي الإسلامي. بالنسبة لابن تيمية، فإن الأشاعرة، لأسباب المتأخرين منهم كعصر الدين الرازي، أدخلوا الماهيم الفلسفية الإشرقية إلى قلب الإسلام بمحاولتهم تأويل آيات صفات الله، وبإنكارهم السببية، كانوا ينقصون الأسس العقلانية للدين ومسئولية الإنسان تجاه أعماله، المعتزلة، في المقابل، يقوضون أسس التوحيد، ركن الإسلام الأكبر، ويهيئهم إلى تصور مباشر لصفات الله، بفتحهم العقل للعديد الويد لفعل الإنساني، لهذا، سعى ابن تيمية إلى توكيد صفات الله كما جاءت في النص القرآني، مشيراً إلى الوقت نفسه إلى العزادة والتميز المطلق لهذه الصفات، وهو بذلك يختار طريقاً وسطاً بين مبدأ الكسبية، اللامعقلاني في صفاته الأشعرية المتأخرة، وبين التوجه العقلاني المخطئ عند المعتزلة. إن هذا هو ما يجعل محاولة ابن تيمية تغييراً مبرحاً من الوجهة الإسلامية للتوفيق بين قدرة الله الشاملة والطفلة، ومسئولية الإنسان المؤسسة على مكانته العقلية، ما يتعد ذلك بتأسيس ابن تيمية، هو التوكيد على أن الدليل العقلي لا يشرى إلى صمدان بالضرورة، ولا يقل أهمية في مشروط على تفكيره الفكري هجومه المستمر على التصوف الشعبي وإفراطه وانحرافه عن معايير الإسلام، ومعارضته كذلك لهذا، قاعدة الجوده، كما صاغه ودعا إليه ابن عربي وتلاميذه، التصور الذي اعتبره ابن تيمية نقضاً لتعاليم الله رسوم وحدانيته، ولكن هذا الموقف لم يبالظورة إلى قطعية ابن تيمية للكلمة على التصوف بل السعي إلى بناء نظام روحى وأخلاقي إسلامى على أسس من القرآن والسنة.

يبد أن المعارضة التي واجهها ابن تيمية كانت بحجم الاتساع والشمول التي تميز بها مشروعه، هامة في جنباتها علماء كبار من المؤسسة السنية آنذاك، وشخصيات بالغة النموذ من صفوف المتصوفة في كل أنحاء السلطنة المملوكية. فقد حاول تلاميذ ابن تيمية واتباعه، بعد ابن تيمية الجوزية (١٢٩٢ - ١٣٥٠) وابن كثير (١٣٠٠ - ١٣٧٣)، مواءمة دعوة استأخذهم، بقى من التعديل أصالة، إلى الوصول المثير للتحقق الصوفي في القرن الرابع عشر الميلادي، والتوافق المتنامي بين مؤسسة العلماء والتصوف أضفوا إلى المدرسة السلفية. ومنذ القرن الرابع عشر، ولعدة قرون قادمة، سيطر على المشهد الثقافي الإسلامي

التحالف الضمني بين مؤسسة العلماء بتوجهاتها الذهنية التقليدية، المدرسة العقيدة الأشعرية، والتصوف، وقد نجح التصوف، متسلحاً بقوة الأليات الأثر الباطن على عموم المسلمين، ومبدأ وحدة الوجود، والفاعلية الاجتماعية الهائلة لطريقته الصوفية، نجح في إحكام قبضته على الثقافة الشعبية الشافعي الكبير المستغرب أن جاء آخر الدردو الرئيسية على أفكار ابن تيمية في الفترة الإسلامية الوسيطة من العقيدة الشافعي الكبير والمتكلم الأشعري والمدافع من مبدأ وحدة الوجود، أحمد ابن حجر العسلى (١٥٠٤ - ١٥٦٧) وقد كان من أهم عوامل التصوف وهيمنته الدم الذي قمته الدول الإسلامية المختلفة، بما في ذلك الدولة العثمانية والدولة العفوية في الهند، لطريق الصوفية، والذي كان الدافع الأهم له أن الحكام المسلمين وجدوا في النزوع الأخرى للتصوف وفي التوجهات السلفية للمدرسة الأشعرية، كما في الطابع المحافظ لمؤسسة العلماء التقليدية، شريكاً مناسباً.

وليس حتى القرن السابع عشر الميلادي أن بدأت ودود فهل ملموسة على الأنماط الفكرية التقليدية السيطرة في النبلور. عبرت ودود العمل تلك عن أصوات علمانية ذات اهتمام وخلفيات فكرية متعددة، بعضها جاء من قلب التصوف، بعضها كان لشككيين، وأخرى لعلماء حديث، ولدت في أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي وفي سياقات اجتماعية وسياسية غير متشابهة بالضرورة، إن السمة الرئيسية لردود الأفعال تلك هي العدم وجود أي علاقة نيمها بين التيارات الفكرية العربية الإسلامية، كونهما أساساً تعبيرات عن مبدأ الإصلاح الإسلامي عميق الجذور الذي استمر لقرون طوال في التأثير على العلماء المسلمين ذوى الإحساس المتميز بالواجب.

أحد هؤلاء كان الملا علي القارى الهروى (١٠٦٠) الذي هاجر من هرات واستقر في مكة المكرمة، وبالرغم من خلفيته المذهبية والحنفية والصوفية، فقد شن الهروى هجوماً عادى على التصوف، وإفراط الطرق الصوفية وممارساتها المخالفة للنشر على طرق الرقص والسماع، كما كتب رسالة إلى تقيدين، مبدأ وحدة الوجود، في الدولة العفوية بالهند، برز أحمد سرهندي (١٥١٤ - ١٧٢٤) الذي تأثر بالمتبريات الإصلاحية لطريقة الشقشقية، كما مثل رد فعل واضحاً على خضوع علماء الهند لحالات الإمبراطور أكبر بناء تصور ديني

شجين بين الإسلام والمعتقدات الهندية الأخرى. وقد كانت حياة سرهندي الفكرية والعملية تجسيدا لنزعه الإصلاحى المناهض لانحراف السلطة السياسية، ناجية، وليس الصكرية التي بنا عليها تحالف العلماء التقليديين مع التصوف من ناحية أخرى. دافع سرهندي عن التصوف، الملتزم بفهم الفريضة باعتباره الإطار الحاسى للقيم الاجتماعية الأخلاقية، واستنكر الممارسات الصوفية الخارجة عن الشرع مثل الرقص والسماح، وسعى إلى إعادة بناء التجربة الروحية الصوفية على أساس من "وحدة الشهود، بدلاً من مبدأ وحدة الوجود، الذي رأى فيه سرهندي شركاً واضحاً، وقد نما تأثير سرهندي إلى أن اعتبره الإمام محمد السبلى الشائى في تاريخه الأربعة ليعمل في مناطق أخرى من بلاد الإسلام، وليلتزم على رؤية العديد من العلماء المتحوصة، داخل وخارج الطريقة الشقشقية.

ومع نهاية القرن السابع عشر، برز إبراهيم بن حسن الكوراني (١١٦٦ - ١٦٨٩)، العالم الشافعي المتصوف الذي أصدر من أصول كبرى واستقر في المدينة المنورة. تأثر الكوراني بآين تيمية، وحاول إيجاد تصور يصالى بين الأشعرية والصوفية، وقد عالج الكوراني في أعماله وتكنايته العديد من نقاط المسألة التي طالما راد حولها الخلاف بين المتكلمين المسلمين والمعتزلة، بصمت، ولكن أيضاً مبدأ الكسبية الذي يعامل أكثر الموضوعات العقيدة الإسلامية بشكلًا، خاصة فيما يتعلق بالصوفية، التي الإنسان عن أعماله. أعاد الكوراني التوكيد من جديد على أراضع المال الأشعري، كتأكي الإبانة في أصول الديانة، الذي عبر فيه المتكلم الإسلامي الكبير عن التزامه بالبدان العقيدة السلفية كما طرحها أحمد بن حنبل، وتخلّى فيه عن الكثير من قناعاته العقيدة التي جعلتها كتية المبكرة من المعروف أن المدرسة الأشعرية لا تأخذ من جديد بعد ما، وقد تحولت دوائر علم للشرعية، وترك الكوراني، الذي كان كاتباً غزير الإنتاج، أشراً عريقاً على طعاع واسع من الطلاب والأتباع الذين انتشروا إلى جهات مختلفة من بلاد الإسلام، من المغرب إلى مصر ومن بلاد الشام والهند إلى جنوبى شرق آسيا. وقد تحولت دوائر علم الحديث وعلم الكلام في المدينة، حيث أضاف الكوراني جودها، إلى حاضنة ومفرغ ساهمت في تكوين اثنين من أهم المصلحين المسلمين في القرن الثامن عشر.

الأول هو شاه ولي الله الدهلوى (١٧٠٢ - ١٧٧٣) الذي كان عليه أن يواجه أزمة

الجميع الإسلام الهندى الكبرى المتمثلة في انهيار وتشرذم إمبراطورية اعول، ولذا، فقد اجتهد الدهلوى طوال مسيرته الفكرية ليجد نقطة التوازن بين ضرورات الإصلاح الدينى وتضرورات إعادة بناء وحدة الجماعة المسلمة في الهند، عبر محاولة إحياء القيم العليا للدين، أكد الدهلوى دائماً على أن غايات النظام الاجتماعي المعرى، كان الدهلوى لشأجاً لا لتفقاء تيارات حركة النزوع الشقشقية الإصلاحى، صرمت إحياء علم الحديث بجندورها الدينية، وأفكار ابن تيمية، التي أفلته معاً لتقديم إجابات مركبة عن أسئلة وضع بالغ التعقيد، لم يخش الدهلوى من مواجهة النزعات المذهبية الانقسامية، مؤكداً على الجوهر المشترك للإسلام ومعزياً الخلافات الإسلامية إلى الاختلاف في مناهج المحسنيين الكبار للمذاهب الإسلامية في الفريضات المنطقية التي أقيمت عليها تلك المناهج، وكان أحد أهم مبادرت الدهلوى قيامه بكتابة تفسير للقرآن مألوفة الفارسية، لغة الثقافة للهند المحلية، ويستطيع اعتماد الدهلوى بالقرآن، إلى جانب توكيده على موقع الحديث كمصدر للشرعية، سعى الدهلوى الحديث إلى تخطى الموروث الإسلامي الوسيط وإعادة بناء المعرفة الإسلامية على أسس من القرآن والحديث.

أما داني صملى القرن الثامن عشر فقد كان محمد بن عبد الهوى (١٧٠٣ - ١٧٩٢)، الذي تأثر هو الآخر بحركة إحياء الحديث في المدينة، كما تأثر بمرتك ابن تيمية، نقضاً على ابن عربى، محاولة نجد شاملى شرق الجزيرة العربية، التي كانت أقل مدينة وعقيدة وعزلة من البنية التي شأ فيها معاصره ولى الله الدهلوى. وبالرغم من أنه الفكرى الهام، فإن أطروحات ابن عبد الهوى باقتدار التنوع والتجريب الذي تميزت به أفكار الدهلوى، كما أنها بالتأكي كانت أكثر إثارة لتجدد، تحرك ابن عبد الهوى، كما أغلب المصلحين الآخرين، بدوافع نقدية للأزمات المعرفية والاجتماعية المهيمنة في عصره، ولكن تعاليمه استندت على أحكام عقيدية قاطعة على المجتمع، حيث تميزت بصور الواقع الشكر من خلال التفسيرات الناطقة للنص، جادل ابن عبد الهوى بان التفسير لا يتفعل فقط بالإيمان بوحانية الله باعتباره الخالق ومبدع الكون (توحيد الربوبية)، بل أيضاً بالإيمان بالله باعتباره الحاكم المطلق (توحيد الألوهية). يستمتع ذلك أن أى تصور للعالم

و جهات نظر

[٣]

فيما عدا الوعي الأولي وغير الواضح تماماً الذي تكون لدى عبد العزيز السلوي بالانقراض البريطاني المتسع للهند في مطلع القرن التاسع عشر، فإن التحدي الأوروبي - الإمبريالي لم يستل موقفاً بارعاً في الأنظمة الفكرية التي صاغها مصلحو نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر. لذلك عكست أفكار تلك الطبقة من المصلحين حواراً بين واقع الفكر المصلحون جوانب عديدة منه، وماض حمل موروثاً هائلاً حاول الإصلاحيون استعادة بعضه بينما سوا إلى نقض بعضه الآخر. ولم يلعب الغرب باعتباره تحدياً خارجياً أي دور يذكر في بنية هذه الأفكار. ولكن ما إر من عقد قليل فقط، حتى تحول التقوق الغربي إلى مصدر اهتمام وحول كبريون مصلحي نهايات القرن التاسع عشر، علماء كانوا أو رجال دولة أو رحالة أو مراسلين لطريق إلى عصر حقيقة أن التحدي الاستعماري. هذه الاستجابة الإسلامية المتأخرة للتحديات التي فرضتها مواجهة التقوق الغربي عكست حقيقة أن النماذج الإسلامي مع القوة العاصمة في البداية الجديدة جاء في ساحة الحرب لا في ميادين الفنون والتعليم والإدارة. ولم يكن غربياً باتت أن تكون أولى محاولات الإصلاح الإسلامي قد بدأت على يد رجال الدولة، مثل سليم الثالث ومحمد علي والسلطان الفاتح، والذي انحصرت على إعادة البناء العسكري. ولكن سرعان ما أصبح واضحاً أن التحديات الغربية كانت أكثر عمقا وشمولاً، حتى إعادة البناء العسكري لم تكن كافية بدون إعادة بناء سياسي واجتماعي واقتصادي واسع النطاق. خلال الحقبة بين منتصف القرن التاسع عشر وبداية الحرب العالمية الأولى، تعرضت معظم بلاد الإسلام لعملية إعادة البناء أو التحديث هذه، العملية التي وصلت في بعض الأحيان إلى ما يشبه إعادة صياغة كاملة للمجتمعات الإسلامية في صورة أوروبية حديثة.

بالرغم من أن أهداف وفنانين برامج التحديث في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كانت متشابهة في معظم أنحاء العالم الإسلامي، إلا أن أدوات وديناميات هذه البرامج اختلفت من منطقة إلى أخرى. في مصر، تونس، المغرب، إيران، والدولة العثمانية، وفي الدولة العثمانية، وفي حركة التحديث؛ بينما كانت الإدارات الاستعمارية في المنطقة على برامج التغيير في الجزائر والندونيسيا والهند، التي كانت جميعها ضحايا مكررة الإمبريالية الأوروبية. وفيه استأنفت الإدارات الاستعمارية دورها ذلك في مصر وشمال وغرب أفريقيا بعد أن وقعت هذه البلاد تحت السيطرة الأجنبية. وليس

خارج نطاق البيئات والمراكز الحضرية. بيئات كانت لم تزل مثقلة بتقاليد محلية قديمة قد تكن تتفق نادماً مع القيم الإسلامية العليا. الشوكاني، الذي كان قاضياً زبدياً ومينياً، والألوسي، الذي كان مفتياً عثمانياً رسمياً لمدينة بغداد، عملاً على المواءمة بين معتقداتهما السلفية - التيمية والغضاء الفكرى والسياسي المحيط بهما والمعادى لهذه العقائد. في مجمله كان الجهد الذي قدمه مصلحو القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر قد مهد الطريق لاتفاق واسع النطاق بين هذا الجيل من المصلحين المسلمين على أولوية النص المؤسس، وعلى الحاجة الضرورية لتجديد التشريع الأخلاقي للمجتمع، وعلى إطلاق حركة الاجتهاد. داخل النوازل الشيعية، كان ثمة دينامية فكرية أخرى أخذت في التبلور، ليست بأي حال من الأحوال أقل أهمية من نظيرتها السنية في مهامتها في تشكيل ملامح الفكر الإسلامي الشرعي الحديث، شملت في الانتصار المدرسة الأصولية. يعود الانقسام داخل دوائر العلماء الشيعة بين أصوليين وإخباريين في جذوره إلى الحقبة الصوفية وانتشار التشيع داخل إيران، ومن ثم تصاعد نفوذ مؤسسة العلماء الشيعة. في مطلع القرن الثامن عشر، حيث رافق اندثار الدولة الصوفية، فرضت زمنية معتدلة من النفوس الاجتماعية - السياسية والصراع الداخلي، سيطرت التيارات المحافظة ممثلة بالمدرسة الإخبارية على الحواضر الشيعية وحلقت العلماء. يعتقد الإخباريون أن ميدان التحقيق الإسلامي العلمي محد بالقرآن والأخبار المروية، وتعتنى الأخبار هنا بالأحاديث النصوية إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) والأئمة معاً. وقد رفض الإخباريون بالتالي مبدأ الاجتهاد. في نهاية القرن الثامن عشر، تعرضت المدرسة الإخبارية لتحد فكري كبير من عالم أصولي ذي باع طويل هو آقا محمد باقر بهبهاني (١٧٠٦ - ١٨٩٠)، الذي قدم إلى كربلاء من مدينة أسفهان الإيرانية. أحيا بهبهاني المنهج الأصولي النقدي للأخبار، وعزز من موقع الاجتهاد سواء على مستوى علم الأصول أو على مستوى الفقه. خلال القرن الأول من القرن التاسع عشر، استمر صعود المدرسة الأصولية عبر نجاحها في هزيمة تحديات التصوف الشيعي (كالطريقة النعمانية - الملهية) والزفرية الشيعية (أحد فروع المدرسة الإخبارية، التي اكتسبت أبعاداً صوفية، وتعتبر البيئة التي نشأت فيها البائية واليهائية). ولا شك أن انتصار المدرسة الأصولية ستكون له آثار درامية في مستقبل التشيع الإسلامي، لأنه قدم المسوغات الشرعية لتعاظم دور العلماء في الاجتماع والسياسة.

يسلوي بين الله حاكماً، وأى قوة أو كائن آخر، هو في حقيقته شرك، بالله. وبالنظر من هذه المبرهنات، من ابن عبد الوهاب هجومياً عقيداً لا يسامح على التصوف وعلى التقاليد الدينية التيمية (الرجعية، مقدساً بذلك المنوع الديني للحركة السعودية - الوهابية) ولحريها الطويلة ضد قطاعات عديدة من سكان الجزيرة العربية وجوارها، كما ضد السلطات العثمانية. ولكن استعادة ابن عبد الوهاب الجادة لعقيدة التوحيد - بقولها التحريرية النافذة - من تحت الركائز الثقيلة للتقاليد الإسلامية الواسعة، حمل جانبية وإشعاع الدعوة الوهابية إلى ما وراء حدود النطاق الصوفي والتقليدي وما وراء التصديق العثماني والسني والعسكري للحركة.

تردد خلال العقود الأخيرة من القرن الثامن عشر والنصف الأول للقرن التاسع عشر اصداوات دعوات التجديد والإصلاح في مختلف أنحاء العالم الإسلامي. محمد مرصى الزبيدي (ت ١٧٩٢) في القاهرة، عبد العزيز السلوي (١٧٦٦ - ١٨٢٤) في الهند، محمد بن علي السنوسي (١٧٨٧ - ١٨٥٩) في ليبيا، والمليحة، أبو الشناش الألوسي (١٨٠٢ - ١٨٥٤) في بغداد، محمد بن علي الشوكاني (١٧٦٠ - ١٨٢٤) في اليمن، وعثمان بن فويود (١٧٥٤ - ١٨١٧) في غرب إفريقيا، كلهم ساهموا في إثراء الساحة الفكرية الإسلامية بالعديد من الأفكار والأطروحات الجديدة، ودفعوا بحويية جديدة إلى المجتمع والحضارة التي كانت توشك أن تواجه تحدياً مختلفاً تماماً عن كل ما واجهته من قبل، متمثلاً بالإمبريالية الأوروبية. ولكن الاختلافات في الخلفيات التعليمية لهؤلاء المصلحين، والخصائص المختلفة للبيئات التي نشطوا فيها، ساهمت معاً في زجود تباينات بين أولوياتهم الفكرية.



حفلت رحلة
محمد عبده بشرام
فكرى جعلت
منه خلال سنوات داعية
المشروع
الإصلاحي الأكلر
تأثيراً في
مصر ومحيطها
العربي
والإسلامي

اهتم الزبيدي، مثلاً، بإصلاح التصوف من خلال إحياء الحديث، ليس فقط إحياء علوم الحديث، ولكن أيضاً التعامل مع الحديث كمنهج ومنهج للدين. من ناحية أخرى، دفع عبد العزيز السلوي بتعاليم ولده إلى نهايتها المنطقية عندما قدم التأييد والموافقة الشرعية لطلالغ المجاهدين المسلمين الهند الذين قاموا بفتح التبعديات الهندوسية - المسيحية على المسلمين، ثم ضد الاحتلال البريطاني. أما السنوسي وابن فويود فقد عمل كلاهما، وليس بالضرورة بطرق متشابهة، على إقامة إطار مرجعي يرتكز إلى القرآن والسنة لمجتمعات كانت في طريقها إلى التدهور



يقبول عبده
للفكرة القائلة بأن أوروبا
الحديثة كانت
وليدة حركة الإصلاح
الديني، فقد
أكد على أن التقدم الغربي
قد أطلقه
اعتناق أوروبا كبداء
حرية الإرادة
واستقلال العقل

النص الإسلامي المؤسس. وفهموا العقل. وسعوا لإحياء الأجداد، من خلال منظور حداثي؛ فالحدادنة، كيفما تم تصورهما، كانت المآثر المستقبل الأقوى في مشروع إعادة الإنشاء والإحياء الإسلامي.

شكل التوحيد، جوهر الاعتقاد الإسلامي، السلاخ الأكثر مضاء الذي حاول المشروع الفكري الإصلاحى من خلاله كسر هيمنة المدرسة الأشعرية والتصوير الإسلامى التقليدى. ومظاهر الإفراط الصوفى، على السواء. كما كان التوحيد أداة لمواجهة الأفكار الخادبة الجديدة. بالنسبة للمدرسة الإصلاحية، فإن صفات الله، أو بشرى، هي صفات خاصة بالله وحده يصحز الإنسان عن إدراك كنهها. إن علم الله وقوته وإرادته خاتمة ومطلقة وغير قابلة للتصور الإنسانى لكنه العلم والقوة والإرادة. وكان على الإصلاحيين المسلمين أن يواجهوا تحديات من نوع آخر شملت في أصوات إسلامية متمردة أخذت تحاول تقويض دور الدين في المجتمع بدعوتها إلى أن يرتكز نهج التقدم وإعادة البناء الإسلامى على مبادئ الفلسفات الغربية الحديثة وتصورها للإنسان والطبيعة والمجتمع. ولهذا، فقد أصبح ضروريا للإصلاحيين إعادة تأسيس مبدأ التوحيد وقيمه في مواجهة المبادئ المادية بحشد واسع للأدلة المستمدة من الجدل القرآنى، من الفلسفة والمطلق. كما من الاكتشافات العلمية الحديثة. جادل الإصلاحيون بأنه من بين دفتى التوحيد يمكن لتجديد حضارى حقيقى أن يطلق، واضعاً بذلك المبادئ الأولى للنهج الاعتزالي الإسلامى الحديث. وكان عبده بالطبع، أكثر من أى من معاصريه، الذى نجح في تقديم موضوعه متماسكة نسبياً لأهم قضايا النظام الفكري الإصلاحى: التركيب الإسلامى- الحداثى، الذى عبده في التوحيد تحديراً من اللاعقلانية والأساطير، ومصدراً لتأهيل الإنسان بقوة حرية الإرادة واستقلال العقل. ويقبول عبده لفكرة القائلة بأن أوروبا الحديثة كانت وليدة حركة الإصلاح الدينى، فقد أكد على أن التقدم الغربى قد أطلقه اعتناق أوروبا لبداى حرية الإرادة واستقلال العقل.

اعتقل الاعتقاد بمسؤولية الإنسان عن أعماله واختياراته موقعاً مركزياً في المنظومة الفكرية الإصلاحية. حيث طرح الإصلاحيون أكبر تحدياتهم للتقاليد الأشعرية والصوفية منذ عصر ابن تيمية. بتوكيد التزامهم بالمدرسة الفكرية السلفية، ورفضهم الدليل الفلسفى اليونانى والمقاربة الباطنية التابولية للنص، قدم الإصلاحيون تصوراً لجدا

التوحيد يقوم على أسس من المهم البائس لتأسيس الإسلامى المؤسس، القرنين والحديث. من وجهة نظر الإصلاحيين، إن قوة الله وإرادته المطلقة لا تعنى حرمان الإنسان من حرية الإرادة أو وقوعه أسيراً للقدر. إن مناهات مسؤولية الإنسان عن أعماله هو العقل، الذى يضع الإنسان في مرتبة خاصة به بين كل مخلوقات الله. لا يعنى هذا أن الفكر الإصلاحى ذهب إلى حد تأسيس استقلال العقل عن الشرع؛ فالعقل فى التصور الإصلاحى ليس فى تناقض مع الوعى. ينبع عدم التواءم بين الاثنين من المقاربة العقلانية غير الصالفة. ومن المهم غير الصحيح للحقيقة الشرعية. ولكن فى النهاية، على أية حال، ظلت عبده معالجة لمشكلة العقل والشرع، كما كانت عند ابن تيمية، غير قابلة لحل فاصل فقاطع، على الأقل من وجهة نظر غير المؤمنين.



بيد أن اعتناق الإصلاحيين للعقل، واستمادتهم للجدل الإسلامى الكلاسيكى حول دوره، اختلفت في درجاته إلى حد كبير. بينما عبر صديق حسن خان وأهل الحديث في الهند ومحمود شكرى الألويسى عن العراق عن رضى سلمية، زاروجت الفكر محمد عبده وأطروحاته بين الموقف الاعتزالي والموقف السلفى/ التيمى. رضا، من جهة أخرى، أظهر ميولاً اعتزالية في المراحل المبكرة من حياته الفكرية؛ ولكن في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وإد تعززت علاقاته بالدوائر السعودية الوهابية، أصبحت قناعاته السلفية أكثر وضوحاً. ما وجد بين الثيارات والمجموعات الإصلاحية المتحدة، كان الاتفاق فى معارضة المعتقدات الفكرية الأشعرية - الصوفية، والعمل على تحدى هيمنتها على مستوى الطبقات المتوسطة ومستوى المجتمع ككل. وحده محمد عبده (١٨٧٧- ١٩٢٨) بين إصلاحى بدايات القرن العشرين من تأثر تأثر لا يخفى بالمآثر الصوفية، الفلسفى الإشراقى وحاول أن يطرَح رؤية للحدادنة من خلاله.

خلف التوكيد على الأولوية المطلقة للقرآن والسنة، وخلف التحدى البارز لأطروحات المدرسة الأشعرية، كان هناك هدف آخر رئيس على جدول اهتمامات الإصلاحيين، تجاوز المآثر الإسلامى الوسيط، ليس فقط فى حقل الكلام بل أيضاً فيما يتعلق بالقضاء. لقد شرع الإصلاحيون، بشجبهم للفصام بين الخطاب التقليدى والواقع المتغير، وباعتناهم لفكرة التقدم، في رسم خط

فاصل بين النص وبين التراث الفقهى العلمى عبر القرون. ولا نكث الإصلاحيون على ثبات النص فقد راوا في المآثر الفقهية حصيلة لتجديد الإنسانى، مما يجعله بالضرورة مادة نسبية قابلة للتغيير والتعديل. ولقد جادل الإصلاحيون بأن الالتزام الأصمى بأراء توكولت قبل مئات من السنين يناقض روح الإيمان الإسلامى وجوهره على السواء، ودعوا بالتالى للتجديد باعتباره الطريق الوحيد للإصلاح. بل كمبدأ أساسى من مبادئ النهج الإسلامى، وباعتباره عبر النهضة الإسلامى، فى مصورها الأولى وطريق الحياة والمجددين الكبار من تشافى وإبى حنيفة ومالك وإلى الله المدهولى. من وجهة النظر الإصلاحية، إن كانت الشريعة هي النظام المنزل لتشوين الحياة، فليس ثمة من قيود لابد أن تفرض على العمل الاجتهادى ضمن إطار الشريعة المرجعى. وليس على ذلك أن الاجتهاد ليس مرغوباً ومحبباً فحسب بل ضرورياً حيوية للمسلمين في كل زمان ومكان. يعاد من خلاله تجديد موقع الإسلام في العالم. في القلب بين دفتى الإصلاح إلى الاجتهاد تقف موضوعة تحليل الحكم الجدى، التى كانت منذ زمن طويل محل جدل واسع بين علماء الأصول الفقه. اعتقد الإصلاحيون، كما المدرسة السلفية بشكل عام، إن العقل الإنسانى قادر على اكتشاف الحقيقة الإلهية خلف الظاهر المحسوس. يستتبع هذا بالطبع رفض مبدأ الكسب الأشعرى، والاعتقاد بدلا من ذلك بإمكانية التفسير العقلى لتطوُّر الطبيعة. وإن كانت الأحكام الإلهية معقولة فإن الظواهر الطبيعية، التى هي كذلك مظاهر لكذلك الله، تستند إلى نظام طبيعى. وبذلك أصبحت الدعوة الإصلاحية للإلهية، التى تآذرت أيضاً بنظرية مقادير الشريعة كما طرحها العقول الأندلسى أبو إسحق الشاطبى (١٢٨٤/١٢٩٠)، أصبحت ميداناً إسلامياً حديثاً للاتحالف بالعقل. على أن الإصلاحيين كانوا واعين بموضوعية الحكم الشرعى (بماضيه الإسلامى)، واستعان به واضعو مجلة الأحكام الشرعية، العثمانية لتتوزع تدريجاً بين عثمانى مقنن بالشرع من خلفيتهم التحفية. بيد أن الفكر الإصلاحى لم يكن تليجاً

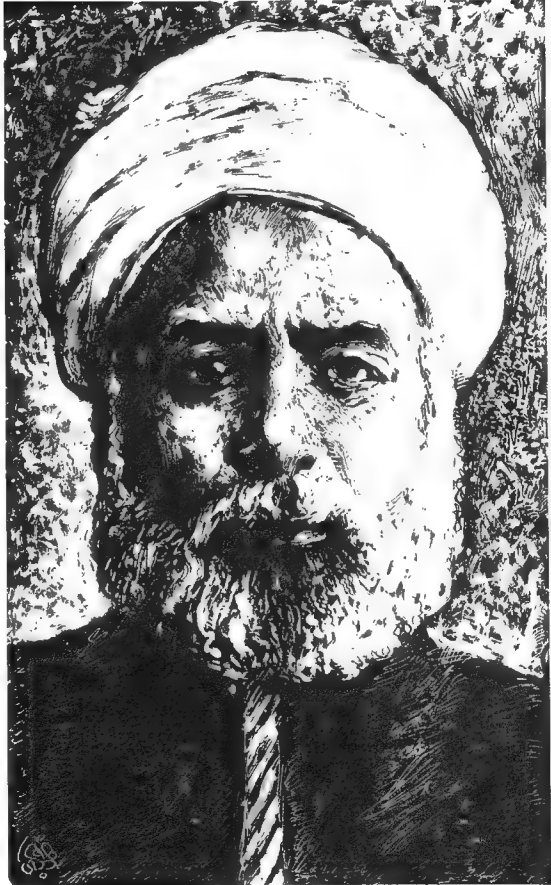
فتاوى الإمام سؤال واجب؟!

مصطفى ليبيب عبد الفتى

■ اجتمعت فمة صفوة من الأعلام هي
عصرنا على التبريد بدعوة الإمام
محمد عبيد من استال رشيد رضا
والأحمدي الظواهري ومصطفى صيد
الرازق وشكيب أرسلان ومحمد كرد علي،
وأحمد لطفي السيد ومحمود شلتوت
وعباس محمود العقاد، وسار على دريهم
أعلام من الجيل التالي في الطليعة
منهم استلذا عثمان أمين، وعكف محمد
عمارة على نشر أعمال الإمام الكاملة،
ودراستها. وقد برزت جهود صادقة
لباحثين كثر عرب وأجانب، صرفوا للإمام
فضله وقدره، حتى أنه قد يخالف البعض
ظن بأنه لم يعد هنالك في الكشف من
جوانب فكر الإمام، زيادة لستريد.

ومنذ خمسة وأربعين طواف بنا
عثمان أمين في رحاب فلسفة الإمام برالد
الفكر المصري، فقد كان يفسح له بين
الفلاسفة المعاصرين مكاناً طيباً. وكان
درسه حينئذ دعوة لنا إلى معرفة الذات
والعمود إلى الجذور.

ومع اقترابنا الدوب من عطاء الإمام
كانت تتسع أمامنا الرؤية لكوا من فكره
الثري، فإذا بالإمام حاضر لا يغيب، وإذا



فتاوى الإمام محمد عبيد
إعداد الدكتور علي جمعة
القاهرة: الجمعية الخيرية
الإسلامية. ٢٠٠٥



الكاملة، ج: ٣، ص: ٢٠١). وهو، منذ شبابه المبكر، وكان لا يزال مجاوراً بالأثر، يتقن بقيمة المكر ثقة لا تهتز؛ فالفكر عنده أبقى وأرسخ على الزمن من أشد صور الواقع سورخاً. وظل الإمام مؤمناً بأن الإنسان كون عقلي سلطان وجوده العقل، فإن صبح السلطان ونفذ حكمه صبح ذلك الكون وتم أمره. (الإسلام والمسلمون، بتحقيق طاهر الطنّاحي، ص: ١٦٧، كتاب الهلال، ديسمبر ١٩٦٣).

أساس الإفتاء - عند الإمام - هو «الاجتهاد»، فالإسلام قد «صرف القلوب عن التعلق بما كان عليه الأباة، وما توارثه عنهم الأبناء»، وسجل الحق والسفاهة، على الأذهان بأقوال السابقين، وبهية على أن السبق في الزمان، ليس أية من آيات العرفان، ولا سمياً لفعل على غشور، ولا أذهان على أذهان، وإنما السابق والألاحق في التمييز والقطرة سيان؛ بل للأحق من علم الأحوال الماضية واستعداده للنظر فيها والانتفاع بما وصل إليه من آثارها في الكون ما لم يكن لن تقدمه من أسلافه وأبائه، وقد يكون من تلك الآثار التي ينتفع بها أهل الجيل الحاضر ظهور العقاب السبيلة لأصالح من سبقهم، وطغيان الشر الذي وصل إليهم بما اقترفه سلفهم، «قال سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقاب المكسبين، (سورة الأنعام: ١١)» وإن أبواب الفضل لم تغلق دون طالب، ورحمته التي وسعت كل شيء لن تضيق عن دالبه، صاب أرباب الأديان في اقتفائهم أثر آبائهم ووقوفهم عندما احتفظت سير أسلافهم، وبهذا تم للإنسان أمران عظيماً كان حرم منهما، وهما استقلال الإرادة، واستقلال الرأي والفكر، جهما كملت إنسانيته (الأعمال الكاملة، ج: ٤، ص: ٤٥٥).

وعلى هذا فإن من جعل كلام الإمام المجتهد ديناً يتعبد به فإنه ينافي دين الإسلام نفسه، ويدخل فاصله فيما حذر الله عنه من فعل أهل الكتاب باتباع رؤسائهم فيما يوجبون عليهم، ويجلون لهم ويحرمون عليهم، في قوله: «واتخذوا أحيارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، (الإسلام والمسلمون، ص: ٢١١).

مراجعة المصالح أو فقه الضرورة

يستأهل الإمام، من المؤكد أن الناس تحبب لهم باختلاف الزمان أمور ووقائع لم تكن عليها في هذه الكتابة، فهل نوقف على العالم لأجل كهيم؟ هذا لا يستطاع، ولذلك اضطر العوام والحكام إلى ترك الأحكام الشرعية، ولجأوا إلى غيرها، (المصدر السابق، ص: ٢١٥). ويحمل الإمام المتعاسين من فقهاء المسلمين تبعاً

ذلك، «فهم السؤلون عند الله تعالى عن هذا، وعن كل ما عليه الناس من مخالفة للشرعية لأنه كان يجب عليهم أن يعرفوا حالة العصر والزمان، ويطبقوا عليها الأحكام بصورة لئس للفنسابعا - أي أحكام الضرورات - لا إنهم يقتصرون على المحافظة على نقوش هذه الكتب وسومها ويجعلونها كل شيء ويتركون لأجلها كل شيء».

يقراون الأصول ولا يخطر ببال أحدهم أن يرجع فرعاً من هذه الكتب إلى أصله أو يبحث عن دليله... بل لم يخلوا أن يقولوا نحن مقلدون لا يلزمنا النظر في الكتاب والسنة، دانوا لكتب المتقدمين على تعارضها وتناقضها الذي تشتت به شمل الأمة وتكثرت بغلوهم، بولكن من رسول الله متمسك...، وإن كان ينبغي أن يكون للفقهاء جمعيات يتذكرون فيها ويتفقون على الراجح الذي ينبغي أن يكون عليه العمل، وإذا كان بعض المسائل رجع لأسباب خاصة بمكان أو زمان ينبغي لهم التنبيه على ذلك، وأن هذا الحكم ليس عاماً وإنما سببه كذا، لا أنهم يجعلون كل ما قبله من فقيه واجب الاتباع في كل زمان ومكان (المصدر السابق، ص: ٢١٦).

وتأسيساً على هذا لم يكن نقد آراء الآخرين وتحصيلها، خطية أو تطاولاً فيما يراه الكثيرون وإنما كان عند الإمام واجبا مقدساً، فالانتقاد لفظة من الروح الإنسي في صميم البشر، نظيره في منافعهم سوقاً للمنافس إلى الكمال، وتنبيه يدفع الكامل من موقعه إلى طلب الغاية مما يليق به... وعلى ذلك فإم النظام الإنساني، فهو لا الانتقاد ما شب عالم عن نشأته ولا امتد ملك من منيته، أثرى لو أغفل العلماء نقد الآراء، وأهملا البحث في وجوه المزايع أكانت تتسع دائرية العلم، وتتجلى العقائل لفهمه، ويعلم الحق من المجلد ٩، المصدر السابق، ص: ١٦٧-١٧١).

لِمن الفتوى؟

ولا يتروّد الإمام، في ردّ على فرع انطون، فيبين - وهو مفتي الديار المصرية - أن الإفتاء سلطة مدنية لا سلطة دينية، وذلك لأن الإسلام لم يجعل للخليفة أو للقاضي أو للمفتي أو لشيوخ الإسلام أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام، وكل سلطة تناوئها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الإسلامي، ولا يسوغ لواحد منهم أن يذمى حتى السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو يتنازع في طريق نظره، (الأعمال الكاملة، ج: ٣، ص: ٢٠٩)، والإمام يستعمل،

في ذلك، روح التنزيل المجيد في تقرير حق الإنسان المطلق في الاعتقاد حيث يقول المولى عز وجل مخاطباً لبنيه الكريم: «تذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر»، (سورة الغاشية، الآية ٢١-٢٢) «والحق من ركب فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر»، (سورة الكهف: الآية ٢٩).

ويتصل بهذا ما صرح به الإمام، في جرة لا تعرف الماشئة، وذلك في شهر يوليو ١٩٠٤ وهو في ضيافة الشيخ عبد المؤمن موسى، عمدة قرية «بهادة» بجهة «قم البحر»، ويحضور الشيخ علي البيلوي، شيخ الأزهر آنذاك والشيخ أبي الفضل الجيزاوي والشيخ سليمان العبد محمد الدماصي المتصرف، عندما أجب الإمام على سؤال مضيفه، وبعد أن أحتم الجدل بين الإمام وبين الشيخ الدماصي المتصرف، قال: «اللهم تعال!» والذين هموا بالمتصرف (سورة العنكبوت، الآية ٢٤) وفي الحديث «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، وتتسقى عن الفرض إن لم تجده قلته في هذا الزمن، وإلا وجدت من أراء سابقا لك في العلم وحسن الخلق وأردت أن تسترديه في فاضله وراء شرطاً واحداً، وهو أن لا يدين هذا الرجل كذا، أي أن لا يقبل مثلك جزءاً على الإزادة، فإذا رايت لا يبعد هذا للأخذ فاقم إليه بعد عاهدته على الاسترشاد بعلمه، وصرفانه، وإذا كان يمد يده للأخذ منك فلا تمد يدك إلى يده لا بالسكنى فإنه لن التحذ الذين حرفة، واتكف بالعلم بما تعلم والله بهديك ويسدك، (الأعمال الكاملة، ج: ٣، ص: ٤٨).

مفتى العصر

أصبح الإمام، وقد تقلّد هذا المنصب الرفيع (في يوليو ١٨٩٩)، مفتياً يفتي عن فتواه عموم السائلين، فقد كان يستشيره العامة، كما كان يستشيره أعلام شيوخ المسلمين من مصر وخارجها على اختلاف مذاهبهم الفقهية، وقد عرف عنه التقرب بين المذاهب وحرصه على جمع المسلمين على كلمة سواء، وكان كذلك مفتياً لا يقبل من مخالفتها الجائيات المسيحية المسيحية ولما خافت اليهود لا في مصر وأوروبا بل وفي فلسطين، الأمر الذي سجلته وثائق دار الإفتاء حيث تقرّر، مثلاً، ردوده على أسئلة: الحواشيح كيكور أبكافوشي، وميخائيل قسطنطيني بشارة، ومسيحية أنفدى سعد مسيحية، والخواجا، «مسيب جاماتي، ومرفرض فهمي، وعلى أسئلة

فألقى يظف على ظني أن الحديث جاء في أيام الوثنية، وكانت الصور تتخذ في ذلك العهد تسبيحاً: الأول الفهر والثنائي التبرك بمثال من ترسم صورة من الصالحين، والأول مما يصفه الدين والثاني مما جاء الإسلام لحود، والصور في الحاليين شاغل عن الله أو مهمل للإشراك به، فإذا زال هذان العارضان، وقصبت الفائدة كان تصوير الأشخاص بمنزلة تصوير النبات والشجر في المصنوعات، وقد صنع ذلك في حواشي المصاحف، وأوائل السور ولم يمنعه أحد من العلماء، مع أن الفائدة في نقش المصاحف موضع النزاع.

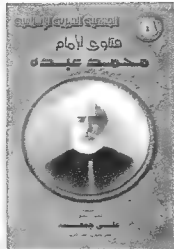
ويضيف الإمام جليلاً من يحتج بالصور، من عبيد الحروف: «أما إذا أردت أن ترتكب بعض السيئات في محل فيه صور ملعباً على أن المكاتب الكاتبتين أو كاتب السجلات على الأقل لا يدخل محلاً فيه صور كما ورد، فإياك أن تفعل إن ذلك يتجلب من إفساد ما كان تفعل، فإن الله رقيب عليك، ونظر إليك حتى في البيت الذي فيه صور، ولا أظن أن الملك يتأخر عن مرافقتك، كما قد تمتعت دخول البيت لأن فيه صوراً! لا يمكنك أن تجيب الفتى بأن لصورة على كل حال مطبوعة الغاية، وإني أظن أنه يقول لك إن لملكنا أيضاً مطبوعة الكتب، فهل يجب ريعه مع أنه يجوز أن يصدق كما يجوز أن يكذب؟

وبالجمل، إنه يغلب على ظني أن الشريعة الإسلامية أبعد من أن تحرم وسيلة من أفضل وسائل العلم، بحقيقة أنه لا خطر فيها على الدين، لا من جهة العقيدة ولا من جهة العمل، على أن المسلمين لا يتساهلون إلا فيما تظهر فائدته لغيرهم انفسهم منها، (مجلة المنار، المجلد الثاني، ص ١٠٢).



ويعد، هذه قطوف من تآثير الإمام بضائحه الزكية ضمن كثرة من الضاوي استجابات لحاجات العصر جابت رحمة للمستضعفين ودلالة للحائرين وتبنيه للغافلين واستنارة لهم لتعاقبهم، معاً لا تظلمه في الطبعة التي بين أيدينا، ولا نعلمه، في النهاية، إلا أن ترد ما قاله شيخنا مصطفى علي الرازي عن استاذ الإمام،

فيلك الرجاء لأمة لعبت بعث يلهي الصغار وجئت الأفيام رحم الله الشيخ الوهاب الذي لم تحصره رغبة أو رهبة ولم يخلع عنده ميزان التقويم الصحيح فكان في زمانه سلطاناً للسلطان، والله المستعان ١١



أن يضع حداً للأحكام التي يتابع بها، وهكذا يدخل الحاكم في شؤون الخاصة وأعماله إذا خشي الضرر العام في شيء من تصرفاتهم.

فإذا تعصب العمال في بلد، وأضرابوا عن الاشتغال في عمل تكون ثمرته من ضروريات الحياة فيه وكان ترك العمل يفضي إلى شمول الضرر، كان للحاكم أن يدخل في الأمر وينظر بما حوّل له من رعاية المصالح العامة فإذا وجد الحق في الأجرة أو النقص في مدة العمل أو بهما جميعاً، وإذا رأى الحق في جانب أرباب الأموال وكان الشئ من العمال قضي عليهم بالعمل، كما يقضي على الغالين في ثمن الأقوات بالبيع بالثمن اللائق متى ظهر فحش عملهم وظلمهم للعام.

فتوى بإحالة الاشتغال بالفنون،

بعد عودة الإمام من زيارة إيطاليا سنة ١٩٠٢ ورويته لبعض متفحها كتب يقول، فيما يتعلق بحكم الشريعة الإسلامية في عمل الصور والتماثيل، إذا كان القصد منها تصوير هيئات البشر في انفسالهم التفسيرية أو واضعهم الجمالية مع هذا الأمر؟ واجاز؟ أو مكروه؟ أو مندوب؟ أو واجب؟ ورد الإمام،

« أقول لك: إن الراسم قد رسم، والفائدة محققة لانزاع فيها، ومعنى العبادة وتعظيم التمثال أو الصورة قد مضى من الأذهان، وإذا أوردت حديث، إن أهد الناس عنايا يوم القيامة المصورون، أو ما في معناه مما ورد في الصحيح،

فإن كل واحد يترى منهم على بغض الآخر وراحمته، فلا يبلغ الأولاد أشدهم إلا « وقد صار كل واحد منهم من أشد الأعداء للآخر، ويستمر النزاع بينهم إلى أن يخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي الظالمين، ولماذا يجوز للحاكم أو لصاحب الدين أن يمنع تعدد الزوجات والجماع وصيانة للبيوت عن الفساد.

نعم، ليس من العدل أن يمنع رجل لم تأت زوجته منه بأولاد أن يتزوج بأخرى لثبات منها بذرية، فإن الفرض من الزوجات التناسل، فإذا كانت الزوجة عاقراً فليس لها الحق أن يمنع زوجها من أن يضم إليها أخرى، وبالجمل، فيجوز للحجر على الأزواج عصماً أن يتزوجوا غير واحدة إلا لغترة تثبت لدى القاضي، ما مانع من ذلك في الدين البتة، وإنما الذي يمنع ذلك هو العادة فقط، (مجلة المنار، الجزء الأول من المجلد الثامن والعشرين).

فتوى استقلال المرأة الاقتصادية،

رداً على سؤال السيدة نفيسة حمدي، كريمة المرحوم إسماعيل باشا حمدي في أنها تملك مائة سهم من المساهم الأساسية ب«قومانية»، فقال السوسر، وإن كنت المساهم محظوظة بمركز إدارة «قومانية»، بإوصال تحت يدها، وأنها أرادت سحماً، ووافقتها ب«قومانية»، بأن الزوجية لا يجوز لها أن تتصرف في أملاكها إلا بعد إذن زوجها، بالنظر لما جاء بالقانون العرساوي، وحيث إنها مسلمة وزوجة مسلم، ولا سلطة للقانون العرساوي عليها، لأنها ليسا حماية، فهل الشريعة الإسلامية تقتضي جواز سحب هذه الأسهم لها بنفسها، بدون توسع الزوجية أم لا؟

وجواب الإمام هو: إن الذي يقضي به الحكم العرساوي فيما ذكر بالسؤال، أنه حيث كانت تلك المساهم خاصة بالسيدة نفيسة حمدي المذكورة، وملوكة لها، كان لها أخذها واستلامها بنفسها ولا يتوقف ذلك على إذن زوجها المذكور. (الفتوى رقم ١٠٠٠ من السجل الثاني من سجلات دار الافتاء بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣٢٢هـ). فتوى تقضي بفصل المنازعات بين العمال وأصحاب العمل والإضراب، نشرها طرأ أنطون في مجلة «الجامعة» سنة ١٩٠٤ وجاء فيها قول الإمام: «إذا تعطلت الأعمال فليجلب على القائم بأمر الأمة أن يتخذ السبيل إلى إقامتها بما يرفع الضرورة والحرمان عن الناس، كذلك أن تحكم بأجرة الأقوات ورفعو الثمانيات إلى حد فاضح وجب على الحاكم في كثير من المذاهب الإسلامية

وكيل بطريركخانه الروم بمصر والخوارج جبرائيل يوسف بادة، وعلى جاحام «معا، وغيرهم، ذلك لا نستغرب أن ننشأ على قيرة هذه العبارة من بعد، «مات مفتي الناس طراً».

نماذج من أبرز فتاوى الإمام،

« فتوى برد فيها حكم محكمة الاستئناف الأهلية بمصر في ٧ يونيو ١٨٩٩ والقاضي بإعدام المتهم محمد حميد في جريمة قتل عبد الوارث السيد، عصداً مع سبق الإصرار والتصد، والذي أحيل إلى المفتي لأخذ الرأي. في هذه الفتوى الأولى، بعد أسبوع من توليه منصبه، تتمثل روح الدقة، وتحري الإصاف وتقدير قيمة الحياة، فلم يسلم المفتي بما جاءه من حكم المحكمة دون تحصيل وإناظر فيه نظر العادل الحبير وانتهى إلى الفتوى على النحو التالي:

«طلعت على قضية ثمة محمد على حميد... فوجدنا عليه كثيراً من القرائن التي تدل على ارتكابه جريمة القتل، لكنها مع كثرتها لا تكفي في الحكم عليه بقوة الإعدام، لأن الإيقين لا يبلغ بها إلى الحد الذي يسوغ الحكم بقوة لا يمكن تشارك فيه لغيره لو ظهر بعد ذلك بسبب ما من الأسباب خصوصاً ودلائل سبق الإصرار غير متوفرة، لجوار أن يكون خاطر الجناية ورد بنهذه الغالين عند امتناع المختول عن إعطائه النقود التي طلبها منها، ولا يسهل القطع بأنه كان عازماً على قتله عند الإمتناع. (الفتوى رقم ١) بالسجل الثاني من سجلات دار الافتاء».

فتوى تعدد الزوجات،

وفيها يقول الإمام: «أما جواز إبطال هذه الفتوى، فلا ريب فيه. أما أولاً، فلأن شرط التعدد هو التحقق من العدل، وهذا الشرط مفقود حتماً، فإن وجد في واحد في المليون فلا يصح أن يتخذ قاعدة، ومتى غلب الفساد على التنوع، وصار من المرجح ألا يعدل الرجال في زوجاتهم جاز للحاكم أن يمنع التعدد أو للعالم أن يمنع التعدد مطلقاً مراعاة للعدل، وثانياً، قد غلب سوء معاملة الرجال لزوجاتهم عن التعدد، وحرمانهم من حقوقهم في النفقة والراحة، ولماذا يجوز للحاكم والقائم على الشرع أن يمنع التعدد لدعا للفساد الغالب، وثالثاً، قد ظهر أن منشأ الفساد والعداوة بين الأولاد هو اختلاف أمهاتهم،

تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام 2004

نحو الحرية في الوطن العربي



■ بعد تأخير دام ستة شهور بسبب ضغوط مارسها بعض الحكومات العربية بالإضافة إلى الإدارة الأمريكية الحالية، وبعد معركة شرسة في أكثر من ميدان، صدر تقرير «التنمية الإنسانية العربية» الثالث، وموضوعه النقص في الحرية والحكم الصالح في البلدان العربية، في شهر أبريل الماضي.

ومن الجدير بالذكر أن هذا التقرير المشكل صدر برعاية مؤسسية أوسع من سابقيه، تضم منظمين عربيتين (المنتدى العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي وبرنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية) بالإضافة إلى المكتب الإقليمي للدول العربية في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، وإن سميت جميع المؤسسات الراعية إلى التمثل من كامل مضمون التقرير في تصديرها له. وهو أمر يحسب لفريق التقرير، وللمنظمات الراعية كليهما، إذ يعزز من استقلالية محتوى التقرير، حتى عن المؤسسات الراعية له. وقد صدر التقرير بدون أي تنازل في

الاستبداد والقهر. فإن دام عصر الانحطاط قرونا سبعة، فلعل العقود الخمسة الأخيرة تمثل تصاعدا فيما أسماه الاستبداد الجهول المظلم المفتقد للكفاءة، إلا في قهر الناس وإشاعة الجور في الأوطان.

ومع ذلك يبقى جمر الشوق للحرية متقدحا تحت رماد القهر، ينتظر الظروف المواتية ليشعلت قابضيا على بني الاستبداد بمصير الشعب العربي في الداخل واستباحته من الخارج، ومطهرة الوطن تمهيدا للتحول نحو تمام الحرية. هنالك، ولا شك، إشكاليات تعقد من إسكان بدء مسيرة النضال من أجل الحرية، ووصولها إلى بر الأمان الذي يتمتع فيه العرب جميعا بالحرية تامة. ولا خلاف في أن النضال من أجل الحرية لن يكون ذريعة بلا توضيحات أو تكاليف ربما قد تفاقمت عنها الشعب العربية المثقة خاصة حتى الآن.

ويمكن اعتبار تقرير «التنمية الإنسانية العربية» الثالث، مساهمة في استنهاض الهمم المطلوب، خاصة بين

بين الجمهر والره...

النخب المثقفة ما يستدعي لمحات خاطفة لضمونه الجوهرية.

قيمة الحرية، بين العرب والغرب

«متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً»

عمر بن الخطاب في إشارة رمزية بارزة، تتصدر مقولة الفاروق عمر بن الخطاب (القرن السادس الميلادي) غلاف التقرير، بجميع اللغات، تأكيداً على أن الحرية قيمة راسخة في التراث العربي وساكنة للوجدان العربي منذ قرون عديدة.

والعزى الموهوم لهذه المقولة، فائقة البلاغة، إذ من أكثر من جانب. فعمل هذه المقولة من أولى صياغات الربط بين الحرية واليلاء، أي ضمان الحرية للكل البشري لجرده كونه إنساناً، وبمجرد ولادته. وهو التحد من أرقى الإنجازات الإنسانية لتبشيرية بعد مسيرة طويلة وعثرت شديدة على الطريق.

وتعلو القيمة الثقافية والإنسانية للمقولة مع اتضاح سياق صنورها، الذي انطوى على إصدار الخليقة عقاباً قاسياً على ابن واليه في مصر (وهو من عليه القوم

نادر فرجساني

إذا أضفنا إلى الاحتلال الأجنبي المباشر تسابق دول عربية إلى استضافة الوجود العسكري الأجنبي، بل والسماح باستخدام أراضيها المضيئة للقواعد العسكرية الأجنبية لفرض العراق واحتلاله، والتمكين لأشكال أخرى من التفوذ الأجنبي السافر والبطون

المبدأ أو الموقف، مما يعد انتصاراً للحرية، ولحبس الحرية في الوطن العربي، ودون معالاة في العالم أجمع حيث امتدت معركة محاولة حجب التقرير إلى خارج المنطقة العربية.

وبهذا هذا المقال بعرض خاطف لجوانب أساسية من الأساس الفكري للتقرير واستخلاصاته، واستشرافه لأبعاد المستقبل العربي، تمهيدا لمناقشة بعض القضايا الإشكالية الحادثة في مسيرة الحرية في الوطن العربي.

تمهيد، عن الجمر والرماد

الرسالة الأساسية لهذا المقال هي أن التوق للحرية في الوطن العربي متقد كالجمهر تحت رماد كثيف أماته على أشواق الشعب العربي للحرية، عقود وقرون من

تقرير التنمية الإنسانية العربية

للعام 2004
برنامج الأمم المتحدة الإنمائي
المنتدى العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي
برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية

في النظام العربي حينذاك -ابن الأكرمين- على الرغم من أن غريمه في النزاع كان على غير حين الخليفة، فبطلها مصريا، مما يضيف إلى القيمة الإنسانية للمقولة بعدين آخرين. بعد عام يرسى الجهد الناظم الثاني لمنظومة حقوق الإنسان أي المساواة بين البشر جميعا بصرف النظر عن أي معيار للفرقة. والبعيد الخاص هو المساواة بين الحاكم والمحكوم في القيمة الإنسانية، وهو مبدأ صان مقننا في كثره من نظم الحكم في العالم، وفي جميع نظم الحكم العربية. وعليه، فإنه ليس من حق أحد، في نظري، أن يحتج على العرب بغياب قيمة الحرية من ثقافتهم. على العكس، يمكن للعرب، في تقديرني أن يستجوا على من يتباهون على العرب برقيتهم في تمسير الحرية والديمقراطية إلى دياران، ولو بالغوا في المسح، بأن الثقافة العربية قد اعتمدت من شأن الحرية قبل أن تنتظم بعض أقوام منهم في كيانات مجتمعية متمسدة. والأكثر أهمية ربما هو أن بعضا من أئمة الصوفيين وأحبارنا، المنطقة العربية

النسق من الحكم المحتل إلى القلدي حالف غزو العراق واحتلاله بضرورة تحرير الشعب العراقي، سارا لطامع استعماري لا تخفى على أريب. والأهم هو أننا في الوطن العربي لا نرى في هذا النسق، الديمقراطية، الذي يتعارض مع انتهاكات جسيمة للحرية نوجدا يحتذى ويتبنى. بل نجد فيه تأكيداً على الحاجة لأن يجد العرب طريقهم الخاص للحرية والحكم الصالح عبر إبداع القوى الحية في المجتمعات العربية قاطبة. دونما قهر أو إجبار من خارج الوطن العربي، ولكن أيضا دون انغلاق أو انكفاء على الذات بورت الجهد والانقطاع عن مسيرة البشرية. هذه الدعوة السوافية من الإدارة الأمريكية الحالية، أي التبشير بحاجة المنطقة العربية لتمتع الحرية وإقامة الحكم الصالح، إذا مقولة هي من حيث الحاجة للحرية والحكم الصالح في البلدان العربية هي جد عظيمة، ونحن العرب أول من يجب عليهم أن يدعوا، بل يتعين عليهم أن يناضلوا من أجلها. ولكن

عربية مازال يفت في عهد الأمة. بل استشرى (أضيف العراق إلى فلسطين في مطلع القرن الحادي والعشرين كمنحة للمخطط الاستعماري الأمريكي في المنطقة. وفي العالم عبرها). وإذا أضفنا إلى الاحتلال الأجنبي المباشر تصاق دول عربية إلى استضافة الوجود العسكري الأجنبي بل والسماح باستخدام أراضيها المضيفة للقواعد العسكرية الأجنبية لغزو العراق واحتلاله، والتمكين لأشكال أخرى من النفوذ الأجنبي السافر والمبطن، انتهاء بعهدة أو مصادقة دولة إسرائيل -العنصرية، والعدوانية والتوسعية- المحتلة للأراضي الفلسطينية لأطول من نصف قرن، وما فتئت ترتكب الفظائع والاعتداء ضد الإنسانية تلو الأخرى في الأراضي العربية المحتلة. وبالنسبة لموضوع الساعة، أي الإصلاح، يخلص التقرير إلى أن الإصلاح الجزئي والتجميل لم يعد يكفي. بل ربما لم يعد ممكنا من الأساس نتيجة لتعمد أزمة التنمية الإنسانية وتشابك جوانبها

اجتماعية، والذي ينتج اثاما اجتماعية خطيرة. وبين العدل الاجتماعي، وهو القيمة العليا في التراث العربي الإسلامي، من جانب ثان. في هذا التزاوج بداية مفهوم الحرية يعبر عن خصوصية عربية سامية وغير متقطعة عن أفضل النجرات القيمة للبشرية جمعا، ويمكن أن تشكل من ثم، أساسا رصينا لبناء نسق عربي من الحرية والحكم الصالح يتجدر في النسيج الثقافي العربي وفي العالم المعاصر على حد سواء، مما يضمن له النجاح والنوام. وعلى مستوى المجتمع ينص المفهوم على صيانة حريات وحقوق الجماعات والثقافات الفرعية (عروفا) عن استخدام مصطلح الأقليات المحمل بارت تعييزي (بعض). وعلى مستوى الوطني بكامله، يرتبط المفهوم مكانة متميزة لضمان التحرر الوطني وتقرير المصير. يعززها ما يتطلب قيام نسق من الحكم الثلاثي إلى يشكل النقصا غير مقبول من الحرية.

الحرية في الوطن العربي!

للحرية والديمقراطية، وعلى رأسهم الإدارة الأمريكية الحالية وتابعتها حكومة المملكة المتحدة تحت قيادة حزب العمال، قد قدما هم أنفسهم أي مقوم أو مصادفة للتبشير بالحرية والديمقراطية، بل أضفوا على الديمقراطية كما يمارسوها، صيغة بشعة تنفي منها سمة الحكم الصالح كما يفهمها تقرير التنمية الإنسانية العربية، إذ تعارض في نظامي الحكم هذين انتهاكات قوية لجمهور الحرية الفردية في الفكر الليبرالي، أي الحريات المدنية والسياسية، خاصة بالنسبة لتحرير والمسلمين، مع ترتيبات ديمقراطية، في الأصل، بما يشي منها في نظرتها سمة صلاح الحكم. في الولايات المتحدة وصل الأمر، تحت الإدارة الحالية، حد إهدار قاذمة الحقوق، وفي عهد الديمقراطية، واستبدت السلطة التنفيذية، وبالتحديد الرئيس -تحت حجة مكافحة الإرهاب- الذي تعرفه أفتاتا ترقيبات ديمقراطية، في مقاومة الاحتلال الأجنبي والأنظمة العنصرية. وبالسلمتين القضاة والتشريعية في سماء حكم كما تقصدها تشريعية على ما يسمى «جمهوريات الموز». وتحتو المملكة المتحدة تحت قيادة توني بليز، حذو الولايات المتحدة في صفاة غير بعيدة. وليس من الغالات في نظري، وال حال كذلك القول بأن الدول العربية قد نجحت في تخصيص هذا

مقولة الحق هذه، عندما تأتي من أمثال «بوش» و«بلير»، يراد بها باطل أكيد، هو التبعيد الصالح التقرير إلى الإدارة الأمريكية الحالية التي تشكل عماد مشروع كلة المحافظين الجدد الصهيونية المتشدة، المهيمنة على الإدارة الأمريكية الحالية.

تطورات التنمية الإنسانية عربيًا

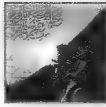
استقرت منهجية تقرير التنمية الإنسانية العربية، ابتداء من الإصدار الثاني على أن يتناول التقرير إلى قسمين رئيسيين، يتناول الأول مجمل مسيرة التنمية الإنسانية في الوطن العربي بينما يقدم الثاني معالجة متعمقة لواحد من نواحي التنمية الإنسانية في البلدان العربية وتصموا استراتيجيا للتعلم عليه. يشيد التقرير على أن أزمة التنمية الإنسانية في البلدان العربية لم تشهد انقراضا يعتقد به -بل يمكن رصد انكسارات في ضمائر الحرية، خاصة على بعد التحرر الوطني. ويؤكد التقرير على أن الاحتلال الأجنبي اغتيال لأصل من أصول الحرية، أي الحق في التحرر الوطني وتقرير المصير. وأن الاحتلال الأجنبي لأراض

ومن ثم، فإن الإصلاح الشامل، ومحوره الأساسي الإصلاح السياسي، لم يعد يحتمل التأجيل أو التباطؤ أو أن يقرر التقرير بوجود إصلاحات جنيئية ومتأخرة في بلدان عربية لكنها لا ترقى لمطالبات مجتمع الحرية والحكم الصالح. وبخشي أن تبقى إصلاحات تجميلية وهامشية لم تعطل الإصلاح العميق في الجذور.

مفهوم الحرية

ينظم مفهوم الحرية في التقرير على ثلاثة مستويات متضاربة: الفرد/ المجتمع/ الوطن. يطلب التقرير، على مستوى الفرد، الاحترام التام للحريات المدنية والسياسية، ولكن أيضا القضاء على جميع أشكال الاحت من الكرامة البشرية (مثل الجهل والفقر والمرض، والخوف عامة). وهنا يزاوج المفهوم المتبني بين الحرية الفردية من جانب -وفي القلب منها الحريات المدنية والسياسية- مع التعاضد من تعطف الليبرالية الجديدة، التي تطلق حرية رأس المال، دونما ضوابط

وبذلك يغطي مفهوم التقرير للحرية جميع مجالات منظومة حقوق الإنسان (متمثلة في القادون الدولي لحقوق الإنسان) ويرى التقرير أن حماية الحرية وتعزيزها يتطلب قيام نسق من الحكم الصالح، يتميز بإسماث الثلاث الرئيسية، التالفة: ١. بحمي الحرية، فانقاص الحرية، على أي من مستوياتها الثلاثة. يعني عدم صلاا الحكم حتى لو قامت مؤسسات ديمقراطية. وهذه نقصة ثمانى منها للأسس نظم الحكم العربية بالإضافة إلى دول عربية كانت تعدد في الماضي مثالا للحرية في العالم كله. ٢. تمثيل الشعب بكامله، من خلال مؤسسات تنقسم بالشفاية والإصاح، في ظل قانون عام للحرية ومنصف. ٣. يعطي على الجميع على حد سواء، ويقوم عليه قضاء تزيه ومستقل قطعا. نسق الحكم الصالح هذا، بالإضافة إلى حماية الحرية بمؤسساتها الشامل، يضمن حقوق المواطنة غير مقصورة للجميع المواطنيين دون أي تفرقة. ويضمن، على وجه الخصوص، التداول السلسلي للسلطة السياسية.



الإصلاح الجزئي والتجميلي لم يعد يكفي، بل ربما لم يعد ممكناً من الأساس نتيجة لتعقد أزمة التنمية الإنسانية وتشابك جوانبها. ومن ثم، فإن الإصلاح الشامل، لم يعد يحتمل التأجيل



في الواقع، أسوأ مصير يمكن أن يحد بالأمه، ومن ثم يتعين على جميع العرب المخلصين العمل على تقادي وقوعه.

بينما يقوم البديل الفضل، الأزهار الإنساني، على عملية تفاوض سلمية تستهدف إعادة توزيع القوة وبناء نسق حكم مؤسسي صالح تبدأ بهدشه مفتتح تحترم فيه الحريات المفتاح للرأي والتعبير والتنظيم، وأهمها الأخيرة، مجتمعة، مما يؤدي إلى قيام مجتمع مدني حيوي وفعال وصالح يشكل طليعة عملية التفاوض السلمي.

مع ملاحظة أن المستقبل سيقع في موقع ما بين هذين الحدين الأقصى، ولكن المستقبل الذي ستخبره الأمة العربية في السنين القادمة سيتوقف في المقام الأول، على افعال القوى الحية في المجتمعات العربية منذ الآن، ودعوة تقرير الانتمية الإنسانية العربية، على ألا تتوالى القوى الاجتماعية المناصرة للحرية عن دورها التاريخي في قيادة مسيرة الأمة صوب مجتمع الحرية والحكم الصالح من خلال مسيرة تقارب بديل، الأزهار الإنساني.

والاستفاض منوجه، على الخصوص، لفئة المثقفين التي لم ترق حتى الآن لمكانة «انثي جنسياسا، تحريرية، في تاريخها بين السلطة والشعب، وتفصيل كارج منها للقطب الأول، وقوعا بين فكي التهريب والتفريب، بحيث تقاعست عن امتدادها لقوى التحرري كضمير للأمة وطلية ناضلاها من أجل الحرية. وستردا فرص مسيرة الحرية والحكم الصالح بإقامة تحالفات قوية بين جميع القوى الوطنية المناهضة للاستبداد في مواجهة طغفوت الاستبداد وخداهم زبانية القهر.

اشكالية الطبقة الوسطى

احتلت «الطبقة الوسطى»، أيا كان تعريفها، في كتابات كثيرة موقعا محوريا

العصبية، والتعليم المفقود لضربات النقد والإبداع، والعمل النمطي الجامد لتراثيب، وأحيانا تطايط السياسة في ظل التفرق في الداخل وتنميط العولة للوائد من الخارج. وعلى صعيد آخر، ساهمت القوى المهيمنة عالميا في العالم وحيد القطب الزاهن، خاصة الإدارة الأمريكية الحالية، في انتهاك الحرية الوطني، العربي، خاصة على الصعيد الوطني- وأبرز معالمة احتلال فلسطين والحرار وتصادد الوجود العسكري، والنموذ الأجنبي- وعبر دعمها لأصداقها الحكم المستبدين في المنطقة بسبب ثلاثية: الاستعمار- النفط- إسرائيل.

وعلى وجه التحديد، قللت الإدارة الأمريكية الحالية من كفاءة منظمة الأمم المتحدة في الحفاظ على الأمن والسلام في العالم، خاصة في العربية.

بدائل المستقبل والقوى التي يمكن أن تحمله،

يلخص التقرير حال الأمة العربية الزاهن على صورة ترقب ومخاض عسير، بين نظامين أو كود واحد أن يقضي بينهما الثاني لم يولد بعد، ينتج على يد بدائل متعددة، بحيث يشكل مستغرق طرق حاسما في تاريخ الأمة.

ويطرح التقرير تحديين حيين أقصى للمستقبل العربي، أولهما كارثي بلا منازع والثاني سبيل للخلاص ينتهي بالصالح إلى التمتع بحرية والحكم الصالح بعد نضال يؤهلهم تولع هذه الحالة الأرقى من وجود البشر.

يتجسد الجدال الخراب الآتي على أن استمرار الاتجاهات الزاهنة (من عجز تنموي وقهر في ظل، الاستبداد في الداخل والاستباحة من الخارج) سيضفي على مظالم تترامك بدون وجود أليات سلمية وفعالة لجبايتها، مما يهدد بصوة للاحتجاج العنيف يمكن أن يؤدي إلى الانتقال الداخلي بما يؤدي إلى خسائر مادية وإنسانية لا تقبل مهما مضرت، هذا،

تشخيص حال الحرية والحكم في البلدان العربية في الوقت الزاهن،

يلخص التقرير إلى أن هناك انتقاصاً جسيماً من الحرية في الوطن العربي، بسبب مزيج من القصور التنموي، والاستبداد في الداخل والاستباحة من الخارج، يظهر، في الأساس، على صورة معمار قانوني وسياسي خاقل للحرية. وينتهي التقرير إلى أن لا الثقافة العربية، والدين - خاصة الإسلام- تشكل ضوابط لبسيطة لإقامة مجتمع الحرية والحكم الصالح في الوطن العربي.

البيئة القانونية،

بعض الدساتير العربية، أو ما يقوم مقامها من وثائق قانونية عليا، ننتهك الحرية عبثاً وهياراً يتضمنها نصوصا مقيدة للحريات والحقوق الأساسية، بينما البعض الآخر يقر الحقوق والحريات ولكن يحيل إلى القانون العادي ليقن تقييدها.

وتتباين الدول العربية بالتصديق على الاتفاقيات الدولية لحقوق الإنسان ولكنها تتصلص في البات حمايتها.

وهكذا تنتهي البيئة القانونية والإجرائية القائمة في البلدان العربية، على وجه الخصوص، إلى إصدار حقوق التعبير والتنظيم (حرية التجمع وإنشاء المنظمات في المجتمع المدني والسياسي)، وحرمان مواطن من قاضيه الطبيعي المنصف، لقضي إشجالة إلى القضاء الاستثنائي والانتقاص من استقلال القضاء عموماً.

ويستمرى في البلدان العربية الانتهاك الأدهج للحقوق والحريات العامة من خلال الإفراط في إعلان حالة الطوارئ التي تمعل مصالطات الحرية.

بينما يبيت الداء في المعمار السياسي في البلدان العربية هو اختزال الدولة في الجهاز التنفيذي، التركيز على أجهزة الأمن، وفي كثير حالات لاختزال الدولة في الفرد الذي يتمتع بصلاحيات مطلقة، تمسد مطلقاً، ما أسماء التقري دولة الشعب الأسود، التي لا يغفل من إسراراً شء من محيطها المجتمعي ويجري الاحتفاظ بالسلطة عبر ترازول أليات القمع- الفساد- التهديد السراstrategicي لقوى المجتمع المدني (الاستراتيجية الواسع).

يتعرف التقرير كذلك على شرحتين محيتين للحرية في السياق المجتمعي للبلدان العربية: الأولى بسولة خلق الحرية الفردية وتشكل من حلقته التنشئة في ظل

في حمل حركات النهضة. وأضفى بعض من هذه الكتابات حالة من الرومانسية الزائفة على دور الفئة الوسطى، نجم عنها، مع ضمور الطبقة الوسطى في المجتمعات العربية بسبب سياسات إعادة هيكلة المجتمعات العربية على النقس الراسمالي الطليقي، زيادة في جرسه التضاؤل من أن ينجلي المشهد العربي الزاهن عن مسيرة حثيثة تجاه الحرية والحكم الصالح.

وغاب عن هذه النظرة المعالية في الرومانسية أن الفئة الوسطى، حالها كحال فئة المثقفين الذين ينتمون في الأغلب إليها، تتأرجح في موقل قلق بين الانتماء إلى الشعب والنضال من أجل الحرية، وما يحمل من مغارم من ناحية، وبين التذخيم على القوة (السلطة) والثروة، وتدويم الزاهن، من قبله من مغارم أية، من ناحية أخرى.

وعندئذ إن مسيرة الحرية في الوطن العربي لا يجب أن تؤول إلى شريحة اجتماعية معينة دون غيرها، على العكس، أرى أن كل شريحة اجتماعية تضم عناصر فاعلة، خاصة في شريحة الشباب، وأخرى خاملة، في منظور الحس الوطني والريضة في النضال من أجل الحرية، والقدرة على تجسم مشاقه وتحملي كاتيفه.

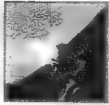
ومن ثم فإن الإمكان التحرري الأكبر يسكن في ظنن تحالفا ينشأ راسياً على منظور التقسيم الاجتماعي، بين العناصر الفاعلة في الشرائح الاجتماعية كافة. ويمكن أن يقوم الاستخدام الكهش تقانات المعلومات والاتصال الحديثة بدور الرابط عبر التقسيمات الرأسية لبلبية الاجتماعية في أشكال من التنظيم الشبكي غير القاصر على الأشكال الهرمية التقليدية. وفي حركة الكفاح، مثلاً في مصر مثال في تقديري على هذا التحالف عبر الطبقي، خاصة بين الشباب، واستغلال تقانات المعلومات والاتصال كاليهما.

هل يريد العرب الحرية؟

المعروف عن اجترار السياسة أمر منطقي في ظل الإفقار المتنامي، مما يشغل عاقل الناس بالحصون على مختلف الحياة التي تتزايد من ناحية ويعتد الوفاء بها على مستوى لائق من ناحية أخرى- وبوشية القهر الذي تمارسه أنظمة الاستبداد.

ولكن يبقى تحدي الرماد جمر متقد يغذي ذبانه اللامعة تراكم المظالم والمظالم من لالاحة والقصور والقهر والاستباحة، دون أن تجد قنوات سلمية وفعالة للتعب عليها .

المشكلة أن الناظر غير المدقق يخطئ



مسيرة الحرية في الوطن العربي لا يجب أن توكل إلى شريحة اجتماعية معينة دون غيرها

تضييع هذا الحب النافع المعطاة في التربة المائع العقيم للسلطات العاجزة إذ لم يثبت قط ما بذرت في هذه التربة الفاسدة والندس... إن هيكल المطلق يوشك أن يتهارق فاضاً قدر جهك لتدمير اسمه، وليس نزع عناصر مفردة له والتخلص منها.

جمال الدين الأفغاني، قبيل وفاته. قد يبعو من الصفحات السابقة أن دون ديار مجتمع الحرية والحكم الصالح في البلدان العربية، أهوال، وهذا صحيح، لا وراء.

ولكن علينا أن نتذكر أن منتهى هذه المسيرة العسير مقصد من النبل بحيث يستحق العناء فعلا.

وقد أشرنا في الصفحات السابقة إلى أهمية دور الطليعة المحتمية، وواجباتها، إلى تجاوز الواقع العربي المر، وتخطي أن يكون المثقفون، على وجه الخصوص، حرباً تهتك أستاذ العصر الكيفية التي تغلف الوجود العربي في الحقيقة الرهانة، تورقاً إلى بدليل إنساني أرقى للشعب العربي. وهذا دور طليعة المثقفين، فأحراب دائماً اختراق وتجاوز. وسوف تعرض هذه الطليعة لا محالة لمخاطر وخاطر، ولكن يكسبها مفعماً أن تعيش ثراء الوجود الإنساني في منتهى، وقد لا يكون إلا في الحياة مع الخطر متزاوجة مع خدمة الوطن، وأن تسهم في تخليق مشروع عربي للنهضة يخلص الأمة من ريشة الاستبداد والمهاجمة، ولكن لكي يتحقق هذا، لابد من أن تخدم هذه الطليعة جذوراً قوية إلى الدوائر الأوسع من المثقفين والشعب والعرب، تستقي منها غذاء وحياء، وتزويها رحيماً فكرياً ليكون للأزمة الحالة ترياقاً.

إن تصور الحرية المقدم فيما سبق ليس إلا رؤية جميلة، الواقع الكريه يحض عليها، ولكنه أيضاً يعمق تحققتا. وممثل الحرية في الوطن العربي في الوقت الراهن هو عدم توافر البنى السياسية القادرة على أن تحمل لطفة الخاص وأن تنميها، وتنمو بها، على درب التنمية.

وهذا سيبيح المتنق بالحرة في الوطن العربي مجرد رؤية ذات طابع فكري سياسي تتبنى مشروعاً تاريخياً للنهضة وتستعمل أن تقدم متطلباتها، ومن أهمها إطلاق طاقات البشر في أرجاء الوطن فأطية عبر تكريس الحرية كما نفهمها، فنفاضل من أجل الحرية يتدخل على كفاح ضد الشعب الهيمته في الداخل وضد المراكز المسيطرة في النظام العالي، لا يمكن أن يوفق إلا القوة الغفوية الهائلة التي تنتج من التحام الشعب بنخبة سياسية متأصلة من أجل الحرية والتنمية الإنسانية. ■

خبرة التاريخ ضعيفاً، لأن بقية من وطنية أو إنسانية ربما تستجمل الشلل المتفتنة حالياً تقف إلى هول الخراب الذي سطره المكافحة لا محالة، وتيسر بدء مسيرة الإصلاح. فقد الطغاة كذا دوما التشبث بالعروش إلى أن يقضوا عليها وإن أدى ذلك إلى القضاء على الأخضر واليابس، وهنا تكمن مأساة الأوطان الواقعة تحت حكام الطواغيت، وتبتلور المهمة الوطنية الأولى للنخب الوطنية في منح هذا البديل الكارثي بالميل السلمية كافة. فتداني المأسى التي يمكن أن تذل بالوطن وفق هذا البديل الكارثي يقع على عاتق النخب الوطنية المخلصه والنصارى، فسلاح فيه أكيده إن نجحت في إقامة التحالفات المناهضة للاستبداد التي أسفنا الحرية هذا، عندها يمكن تحالفات الحرية هذا أن يدبر مرحلة فضال الفتحاحية شهد لبده مسيرة الإصلاح في الصمت، مبدعة التنازه تقايلها الضالية الخاصة.

والمضمون الأساسي لهذا المشهد المفتح هو التصميم المطرد، بجميع الوسائل السلمية. ولتواتر العصيان السياسي والحدس، وصولاً إلى العصيان المدني الشامل، كوسائل للضغط على نسق الحكم الراهن حتى لا يجد سبيلاً إلا التسليم بعدم مقاومة حركة الإصلاح. وينتج ثحت هذا المشهد على وجه الخصوص المطالبة، الثائرة والتضامنة، بانسحاب شخصيات معينة تعد من عدم نسق الحكم الاستبدادي، من المساحة العامة. ويمكن أن يزيد احتمال ذلك الانسحاب بعقد محاكمات شعبية لعدم نظم الحكم الحالية الحثوليين في التتكيل بالضعف والفساد.

مختتم

يا ليتني بذرت حب فكاري في الأرض الضعب لأفكار الناس، خيراً من

الحتمية في نصيب الشلل المتفتنة في هيكل القوة المحتل الراهن من القوة (بوجهها السلطة السياسية والثروة) نتيجة لإعادة توزيع القوة لصالح عامة وإقامة نسق حكم مؤسسي صالح. وبهما محوراً الأساس لأي إصلاح عميق يتوخى التحول نحو مجتمع الحرية والحكم الصالح. هذه الخسارة من الجسامة يمكن بحيث تستمسك الشلل المتفتنة حالياً إلى تفايدها إن أمكن أو تأجيلها إلى أبعد مدى زمني ممكن. وليست هذه الخسارة إلا تعبيراً عن الظلم الفاضل الذي يولعه هيكل القوة الراهن على الشعب عامة، بحرمانه من نصيبه العادل من القوة، والذين يندب المضمير في استئثار القلة المتفتنة بالثروة الأكبر من القوة في المجتمع على قلة عدها وضعف مساهمتها في إنتاج مقومات القوة في المجتمع. والخشية أن عهد الحكم الاستبدادي الراهن تستمى إلى تشديد قبضة القهر بحجة الأمن والاستقرار تلمة وغطاء لحاوتهم الاستمرار في استئثار بالقوة فلنا منهم أنها ستدوم ما استتاروا في قهر الناس والمقاومة المتصاعدة، ناسين أن متناسين الحكم العربية القديمة، لو دامت لعرك ما وصلت إليه، وجاهلين بدرس التاريخ القديم والمعاصر. وهذا شأن الطواغيت دائماً يمتون النفس بإحكامهم المقيضة، حتى تفسد الأرض من تحت أقدامهم بلا راد لها.

والخوف، كل الخوف، أن هذا التوجه المكابر يعني، في تحليل تقدير، التنمية الإنسانية العربية، لإحرام البلدان العربية في دومة العنف الدمع التي يطلقها بديل «الخراب الآتي». مأساة هذه الشلل الهيمته في أنظمة الحكم الاستبدادية الرهانة أنه محكوم عليها لا مناص، ومأساة الأوطان أن تظل هذه الشلل سائرة في فيها، قابضة على نصيبها الظالم من القوة ولو انتهى الأمر بخراب مقيم. يبقى احتمال، لكنه يبدو على ضوء

الجمر ولا يرى إلا الرماد. ويتعمد من ينشئ موضوعاً إلى يني الاستبداد الرهانة أن يصفر النظم من الجمر متوقفاً عند رقيقة الرماد، إما رياء للظلم الحاكمة أو حفاظاً على مصالح مستمدة من نفاقهم.

ولكن من يخلط وجود الجمر تحت الرماد، يقع في خطأ غشّي البصيرة. ومن لا يريد أن يرى إلا الرماد، يقع ثمة باهظاً في حكم التنازع على انعدام بصيرته. والواقع يكتب كليهما، فإن لم يكن إلا الرماد فلم تلجأ طواغيت القهر إلى ملء السجون وإلى انتهاك آدمية البشر بأشكال من التعذيب يندى لها جبين الإنسانية. وكثير من أنظمة الحكم العربية قد تحطت حاجز الدم، بإزهاق أرواح بريئة لم يكن لها من ذنب إلا التمسير، وفي أحياناً سلمية، من الغضب المكبوت الناجم عن مظالم الحكم الاستبدادي. يعد أن يلتصق تماماً من إمكان وجود حلول سلمية فعالة تتطلب إصلاحاً حقيقياً منته أنظمة الحكم الاستبدادي، ومن قبلها لفسا بغير حق كمن قتل الناس جميعاً.

وتخطت بعض أنظمة الاستبداد كذاك حاجز الجحالة والإنسانية إلى خلال تشجيع بعض من أحبط أوتاهم على المساس بأعراض ومواطنات أثناء ممارستهم لحقهم الدستوري في التعبير السلمي. والعلامة الأوضح على فقدان بصيرة من لا يرى الجمر في أي تصاعد أشكال الاحتجاج على مظالم الحكم الاستبدادي، ومنتهكي الحرية على الرغم من بشاعة القهر والتتكيل في عموم الوطن العربي من مقاومة الاحتلال في فلسطين والعراق، ومظاهرات الآزر، في لبنان، والاعتراض على التطبيع مع إسرائيل في تونس وموريتانيا، والانتفاضات القضاة والحامين وأبائة الجامعات والأخون وكماية، في مصر، ناهيك عن أشكال الاحتجاج العنيفة حتى في بلدان الوفرة النضيلية مثل السعودية والكويت وغيرها. وليس في هذا كله إلا تأكيد جازم على أن الجمر الرائد تحت الرماد يستفيد من أي مبة خير محتملة بالأكسجين، أو أي شفرة في متناول الاستبداد، لينضمر نارا يملأ أن تطهر أرض الوطن من القهر.

هل سيتمح أنظمة الحكم الراهنة ببدء مسيرة التحول نحو الحرية؟

فلما لن تبسح أنظمة الحكم الراهنة طواعية، لتسمح المساحة المجتمعية واتحة الشطر الابتدائي لبده مسيرة الإصلاح السياسي العميق، من خلال قيام مجتمع مدني قوي وفعال يقود مسيرة الإصلاح، ولتقتصد الاحترام الهبات للحرريات الضاح للبرأ والتعخير والتعطيل، خاصة الأخيرة. والسبب واضح وصيغف فالحسارة

عمل المبادئ الديمقراطية، المؤلف من حوالي ثلاثين عراقياً يجتمعون ضمن إطار مشروع مستقبل العراق، التابع للحاروجة الأمريكية، ويهدف هذه الأنشطة أوجها في ٢٠٠٢/١٠/٣ حين انعقدت في «معهد أميركان إنتربرايز American Enterprise Institute» ندوة تبحت مستقبل العراق بعد حرب أمريكية جديدة ضده. «وكان للبحث الذي ألقاه مكية في الندوة تأثير خاص، ولقي تقييلاً من الإدارة الأمريكية. وخلاصة البحث: غزو أمريكي للعراق، وإقامة نظام فيدرالي فيه، وبناء عراق «عراقي، غير عربي، ويلعب من إيجاب الإدارة الأمريكية بمسؤول مكية أن الرئيس جورج بوش الابن استقبل يوم ٢٠٠٣/١/١٢ في البيت الأبيض...» وبعد إنجاز الاحتلال الأمريكي للعراق قام كنعان مكية بزيارة علنية لإسرائيل (زارها سراً قبل ذلك ثلاث مرات حسب قوله) واحتفت به جامعة تل أبيب ومنحته شهادة الدكتوراه الفخرية، وأجرى أثناء الزيارة مقابلة مع صحيفة «يديوت أحرونوت»، أعرب فيها عن

يرى باحث عراقي (طارق الدليمي) أنه بعد حرب الخليج الثانية في أوائل ١٩٩١، وقيام الانتفاضة الشعبية ثم القضاء عليها ظهر مقال بقلم سمير الخليل يدور حول مسألة تغيير النظام في العراق، وتناول في جانب منه التكوين الإثني والمذهبي فيه، وقضية الحروب وضرورة التخلص منها، وجاء بفكرة عجيبة فحواها أن العروبة في العراق شأن سني، أما الشيعة فهم أقل اندجاءاً للثقافة القومية. وتلاقت هذه الأفكار مع دراسات وتحليلات منشورة في بعض الدوريات السياسية والإستراتيجية، مهدت لقيام التنظيم الذي عرف فيما بعد باسم «التجمع الوطني العراقي»، ويتلقى الدليمي خطوات تكوين هذا التجمع والاجتماعات المتتالية التي عقدت في ٩١ و ٩٢ (يلفت النظر هنا وجود سعد الدين إبراهيم في الاجتماع الأول الذي عقد بإحدى ضواحي العاصمة النمساوية فيينا)، وكان لأعضاء هذا التنظيم اتصالاتهم بباركان الإدارة الأمريكية، وتخصصت

والعفيف الأخضر (تولسيان) وأخير أمين المهدي (مصري). وقد نجد أنفسنا في النهاية. كما وجد بلال نفسه. أمام «منظومة فكرية متكاملة تسعى إلى قبول الهيمنة الأمريكية، وإلى قبول إسرائيل باعتبارها أداة أساسية في عملية الهيمنة...»



ولعل كنعان مكية أن يكون أكثر هؤلاء الكتاب إقبالاً في السياسة العملية، وتفيد المعلومات المتوفرة عنه أنه عراقي شيعي ابن مهتمس معماري معروف، وقد درس بدوره، الهندسة المعمارية في «معهد ماساتشوستس»، وعمل في مكتب أبيه، غادرت العائلة بغداد عقب استيلاء البعثيين على السلطة في ١٩٦٨، حصل على الجنسية البريطانية ثم توجه للإقامة في الولايات المتحدة. في عام ١٩٩٠ نشر كتابه «جمهورية الخوف»، علل فيه طبيعة النظام العراقي وما يحمله من خوف على مستوى الفرد والجماعة،

■ على أهمية هذا الكتاب في المشهد العربي الراهن، ورغم صدوره أول هذا العام، فلم ألق على عرض له أو مناقشة في صحافتنا المصرية على الأقل (ربما كان الاستثناء ما كتبه الأستاذ هسيدي، أهرام ٢٠٠٥/١/١٨). وجه الأهمية أن صاحب الكتاب: الأستاذ بلال الحسن، الصحفي والباحث الفلسطيني (ولد في ١٩٣٩، تخرج في كلية الآداب، جامعة دمشق، وعمل بالصحافة في «المحرر» و«الحرة» و«البلاغ» و«الصفير»، وأسس في باريس مجلة «اليوم السابع» ورأس تحريرها من ١٩٨٤ حتى توفيت في ١٩٩١، من كتبه المنشورة: «السلام الأجوف»، عن اتفاق أوسلو، و«الخداع الإسرائيلي» عن مفاوضات كامب ديفيد (الثانية) عمد إلى جمع مقالات عدد من الكتاب في صحيفته «الحياة» اللبنانية، نشرت خلال السنوات الخمس الأخيرة، تدور كلها حول الصراع العربي-الإسرائيلي، وأخذوها لهن من «القراءة النقدية»، ويقول في تقديم كتابه إنه تجنب مناقشة كثير من الأفكار التي يختلف معها حول قضايا مثل التراث

وجوه مكنة

أمنيته في اعتماد أمد احتلال أمريكا للعراق...

ولم تكن ندوة «أميركان إنتربرايز»، مجرد ندوة بحثية، كانت في الحقيقة «تدوين» ندوة عسكرية لتبنيها ندوة سياسية. تحدث في الأولى ضباط عراقيون، وحلّلون عسكريون أمريكيون، وكان ضروباً صياغة الكلمات العسكرية الخشنة والغظة بلغة سياسية، وحسب اللغة البحثية السائدة. وهذا ما فعله كنعان مكية في الندوة الثانية حين دعا إلى قيام «عراق غير عربي»، أي عراق ينمزل عن محيطه العربي، عراق لا يكون له دور في الصراع العربي-الإسرائيلي... وهذه مجموعة الأفكار التي تم الأخذ بها لتكوين الهدف الإستراتيجي للاستيلاء على العراق للعراق، والتي برع بول بيرمر في تنفيذها بعد إنجاز الاحتلال في ٢٠٠٣/٤/١٤.

خابت آمال مكية. صحيح إن الأمريكيين استمروا بشغف إلى آرائه، واستندوا إليها، فكانت أفضل تغطية سياسية ممكنة، إنهم يشنون الحرب بناء

الدراسات والأبحاث عن وضع خطة لإسقاط النظام العراقي وإقامة نظام جديد.

وانهمك كنعان مكية في أنشطة متعددة، تتوتر كلها نحو هذا الهدف طوال السنوات التالية، باحثاً ويوفيسراً وعضواً في منظمات عديدة لعل أهمها أنه كان أحد أعضاء «فريق

وكان يستخدم اسماً للكتاب هو سمير الخليل، بهذا الاسم أيضاً نشر كتابيه الثاني «القصة والصمت» والثالث «التصميم». أما كتابيه الرابع، وهو رواية تدور حول بناء قبة الصخرة وقد صدر في ٢٠٠١، فحمل اسمه الحقيقي وشاع قبل ذلك بسنوات أنه مؤلف الكتب الثلاثة الأولى...

السلطة الأمريكية لم تسلم السلطة

إلى أحمد الجبلي (القائد السياسي) ولم تسلمها إلى كنعان مكية (المنظر). فأصيب بخيبة أمل. علّق كاتب عراقي على خيبة الأمل هذه فقال: «إن نلخّذ نحن بمن كان مخدوعاً...، أما نحن فنقول المثل المعروف في عاميتنا: «آخر خدمة الفز...»!



والحادثة والعولة والسلام مع إسرائيل... «لأنني اعتبر الخلاف حول هذه القضايا أمراً طبيعياً...» لقد اُخترت أن أناقش نوعاً خاصاً من الأفكار يبدو في ظاهره شورياً واديكالياً وحدائياً، ولكنه في العمق، مفرق في الرجعية وفي الدعوة لتدمير الذات، فكر يجاهد لكي يصوغ نظرية تبرر الاحتلال أمام كل مستعمر، وتعتبر خطية المستعمر تابعة من ذاتنا نحن، نحن الذين يجب أن نتبدل كي تصبح نظرتنا إلى المستعمر نظرة إيجابية... والكتاب الخمسة الذين اختار مناقشة أفكارهم هم، حسب ترتيبهم: فيصل الكتاني، كنعان مكية (عراقي)، حازم صافي (لبناني)، صالح بشير

ثقافة الاستسلام. قراءة نقدية في كتابات كنعان مكية. حازم صافي. صالح بشير. العفيف الأخضر. أمين المهدي بلال الحسن بيروت: رياض الريس، يناير ٢٠٠٥



لعد التلبد

فنية الأسلام

الساحة العربية، يبدأ يركز على أن العمل القومي هو الأساس، ويبدأ «مرحلة قومية في تفكيره وكتابات.. لمت نظري فيها تصنيف مبسّراً لأهم رعاء الحركة الوطنية العربية الحديثة بأنهم إما جواسيس لبريطانيا أو جواسيس لفرنسا... في التشنيعات بدأت علاقة حازم صاغية مع الفكر الليبرالي. ويرى بلال أن المشكلة ليست في الليبرالية لكنها في الشطط في استخدام منهجها. هذه المرحلة في مسيرة حازم صاغية الفكرية شهدت كتابه «دواع العربية» (صدرت طبعته الأولى في ١٩٩٩)، ثم شهدت دراسته عن «أم كلثوم». يصفها بلال. أي الدراسة. بأنها «حافدة». ويرى أنها تنقذ في فهم «حالة حازم صاغية» بأكثر مما تنقذ في فهم حالة أم كلثوم». وقد التفت كتاباته «بحدة تدميرية مستفزة» وربما يكون هو ساعياً وراء هذا الاستفزاز ومسرّحاً له. ويبدأ ميله الواضح إلى تدمير الرموز العربية... وأخيراً يسجل بلال لصاغية أنه في كل هذه التحولات،

إلى يلده لبنان من هناك. ورغم هجرته فإنه تمكن من اللغة العربية تمكناً ملحوظاً. يحظى بصفات شخصية إيجابية، فهو لطيف وصادق ودود وقليل. وقد لعب الفلك دور الحرك في بناء ثقافته.. لكن لديه نزعة تهتم بالأفكار أكثر مما تهتم بالواقع والواقع. هنا الاهتمام بالأفكار بعيداً عن الواقع، جعله دائم التنقل بينها... ويتابع بلال هذا التنقل: من التأثر بالحرب السورية القومي الاجتماعي، الذي غادره بسرعة إلى تبني الفكر الماركسي خارج نطاق الأحزاب الشيوعية، ويقول بلال إنه عرّفه شخصياً في تلك المرحلة (١٩٧٤)، وكان له «ليبال. دور في اجتذابه لعالم الصحافة، الذي دخله كاتباً لا صحفياً، ولا يزال». وتابع بلال تحول الفكر عند نجاح ثورة الخميني، فتبنى «الخمينية، بحماسة كبيرة، وكتب دراسة طويلة عنها نشرها في كتاب مستقل (بعتوان «ثقافات الخمينية: ١٩٩٥)، شيئاً فشيئاً بدأت هذه الحماسة تضعف، ولم يعد يرى أن الخمينية تصلح منهجاً للعمل في

مخدوعاً... أما نحن فنقول المثل المعروف في عامتنا: «أخر خدمة الفز...». ولعل الفصل الخاص بالكاتب حازم صاغية أن يكون أهم فصول الكتاب، فيعد مناقشة مقالين كتبهما حازم بالاشتراك مع صالح بشير أحدهما في ١٩٩٧ والثاني في ٢٠٠٠، ويرى أنهما ينطلقان من أفكار كنعان مكية، ويصلان بها إلى نهاياتها «فترضيف بعض المستلزمات الفكرية الجديدة، وتناقش بعض المواضع السياسية المباشرة، وتكون الخلاصة تبني مفاهيم إسرائيل حول التسوية والتي تنطلق من مفهوم الأمن لإسرائيل، والتتظير لضرورة التطبيع مع إسرائيل قبل الوصول إلى تسوية. كي نطمئنها ونهئدي من روعها الأمني... بعد مناقشة هذين المقالين يفرغ بلال الحسن لثناقة أفكار صاغية باهتمام واضح، وهو لا يخفي مبررات هذا الاهتمام. من البداية يقدم بلال الحسن حازم صاغية بهذه الكلمات: «حازم صاغية شخص متميز وصوت متميز، نشأ في كنف عائلة مهاجرة إلى أفريقيا، وجاء

على رغبة العرافيين واستجابة لطلب عراقي، ولكن مع اقتراب موعد بدء العمليات أخذت بعض خطط الإدارة الأمريكية تظهر للعلن، وفوجئ مكية بأن الأمريكيين ينوون استلام السلطة في العراق مباشرة، وبواسطة حكومة عسكرية يعينونها» وفهم أنه وزملاءه لن يكونوا رجال السلطة الجديدة كما توهم وتوهموا، فبادر إلى كتابة مقال بالإنجليزية (فقط) عن فيه حملة عنيفة ضد قرارات الإدارة دون أن يتخلى عن إعجابه الشديد بها ويقعها، طالبا الدعم من الأمريكيين، ومن الرئيس الأمريكي بالذات... بقيت نقطة الخلاف كما هي: أن السلطة الأمريكية لم تسلّم السلطة إلى أحمد الجبلي (القائد السياسي) ولم تسلّمها إلى كنعان مكية (المنظر). فصاغيب بخيبة أمل وأخلى العراقي... ملق كاتب عراقي على خيبة الأمل هذه فقال: «لن نتخضع بمن كان



مقالات حازم صاغية حين يتعلق الموضوع بالنضال، وبالصراع العربي-الإسرائيلي، وبمواجهة إسرائيل، وبالانتفاضة الفلسطينية، تنضج بنزعة تميل إلى التشهير والشتم والقسوة اللغوية

كان صدافاً مع نفسه، فأعلن قضية فكرية مع ماضيه كله، وعارس نقداً علنياً لقطيعته ذلك...
... (افتتح قوساً لأضير إلى أن هذا العرض يتكلم بإضافة صغيرة عن كتاب حازم صاغية الأخير: «بعت العراق، سألته صدام قياماً وحكاماً... ٢٠٠٣». عكف حازم على دراسة العراق في مرحلة تمتد من أوائل الخمسينيات حتى سقوط نظام صدام، وفي تقديمه يقول: «إن أي عمل من العراق لا يستطیع، مطلقاً، أن ينجح»، «العراق باختلافاته، كما يتحولاته، ولا أن يتسلل إلى الأمتنة التي حببناها أسوار صدام وضومض نظامه... والحال إن الفضول اللاحقة لا تحمل هذا الزعم»، زعم التغطية الشاملة، بقدر ما تهبط إلى كتابة قصة العراق البئس: وهي شبيقة متلما هي مأساوية، لكنها، مثل كل قصة، يحولها الإعلام ببعض التفاصيل لمصلحة التحويل المبالغ فيه على تفاصيل أخرى، وعلى العموم يبقى الوجه العام للنمر للسر كاتفة ما كانت التفاصيل المختارة، المحك الأول لقيامها والحكم عليها...، وهكذا تضيئ فضول السرد، من الأول يعطون «التأسيس السوري، إلى السابع عشر بعنوان «دخام بلا مسك».

وكان الحاصلان ٢٠٠٠ و ٢٠٠١ مسرحاً مناسباً لحازم صاغية كي يقدم عرضه المنفرد المتواصل (٨ مقالات في الشهر في المتوسط) عن موضوع واحد هو الموضوع الفلسطيني، فقد شيد هناك الحاصلان مفاوضات كاتب ديفيد الثانية (باراك)، عرفات) واندلاع الانتفاضة الفلسطينية وصعود اليمين الإسرائيلي إلى السلطة في إسرائيل، وسوف يكتب حازم عن هذا كله، وسيكرر أفكاره بإصرار ولإحاح. ويبرز بلال الحسن رؤيته النقدية لكتابات حازم صاغية على النحو التالي: «أولاً: من ناحية الأسلوب: مقالات حازم صاغية حين يتعلق الموضوع بالنضال، وبالصراع العربي، الإسرائيلي، وبمواجهة إسرائيل، وبالانتفاضة الفلسطينية، تنضج بنزعة تميل إلى التشهير والشتم والقسوة اللغوية، وهي نزعة تؤدي إلى تحويل النقد من هدف، فيبدأ من أن يكون نقداً، ولو قاسياً، هدف الإصلاح والتطوير والتحسين، يصبح نقداً مشوشاً هدف التدمير والإبادة والاستخفاف بتضحيات المناضلين. ثانياً: من ناحية المضمون، فانتقادات حازم صاغية تنصب على الفلسطينيين والعرب، وتقتضي من ذلك إسرائيل، وإذا حدث وانتقد إسرائيل في موقف، ما، فإنما ليتكّن على هذا النقد ليسب جام غضبه على النضال الموجه ضد إسرائيل، وحين يعرض على هذا المنهج روحه انتهازية، نجد أن هذا الهدف يتلخص في قبول كل ما تريد إسرائيل أو تعرضه في المفاوضات، وأتخذ يتحول كل رفض، وتحول كل معارضة إلى موقف مدان ينفخ فيه حازم صاغية بهماهم نفسى. ثالثاً: من ناحية الهدف والغاية، فما

يعرضه حازم صاغية على القارئ في النهاية، إلى جانب الإشادة بإسرائيل والإعجاب بها، هو ضرورة الخروج من الذات، وقبول المفاهيم الغربية العروضة، والأمريكي منها بخاصة، ليس في إطار الثقافة فحسب، وإنما في إطار المواقف السياسية المرافقة لها أيضاً (المصلحة والحداثة حتى يفهموها الاستعماري)» (ص ٧٠-٧١).
... هذه الأحكام العرفية يدلل عليها بلال الحمن في المناقشة التصيلية التي تعقّبها من خلال هذه الموضوعات: هدم فكرة الثورة، الترويج للاستعمار، البولة الأمية (هدم فكرة الوحدة العربية)، تشويه المفاهيم (الأرض، القضية)، تشويه المفاهيم (التطبيع، الاستفهاد، الترويج للتراجع السياسي (القرارات باراك في كاتب ديفيد)، الترويج للتراجع السياسي (القدس)، تحليل الانتفاضة (دعوة لئياس)، التهليل «داشون الجديد»، وأخيراً تهميش القضية الفلسطينية (مضمون التطبيع الثقافي)



ولنقف، لحظة، عند هذا العنوان الأخير: نشأ الإدراك الخصري العام بأن دولة إسرائيل تشكل خطراً إستراتيجياً على المنطقة كلها منذ تأسست في ١٩٤٨، ولم يكن الفلسطينيون منبج هذا الإدراك، بل العرب جميعاً، وكانت الهجرة اليهودية، وهو ما تحقق في ١٩٤٧، وإفتره بائوسية ظلت إسرائيل تقوم بدور وظيفي، لصالح الولايات المتحدة الأمريكية، فهي قاصدة العسكرية الأكبر في المنطقة، وهي التي تتولى مهمة إشغالها ومنع أيديقيرات لا تتفق والمصالح الأمريكية، حاربت كل مشروعات الوحدة أو التقارب وعملت على تطويق المنطقة كلها من الحروب إرشاء للزعزعات الاستعمارية (١٩٥٦)، ووضعت خطة للسيطرة على المياه في الأرض العربية، مما دفع إلى حرب ١٩٦٧.

كل هذه العوامل قد بلورت الإدراك الخصري (دولاً وشعوباً) بالخطر الإستراتيجي الكامن في دولة إسرائيل، ومن ثم اعتبر العرب قضية فلسطين مركزية في نضالهم من أجل الاستقلال والتحرر. تلك الحقائق البديهية النابعة عن تشاريخ المنطقة تصطبغ برغبات الداعمين إلى «التطبيع الثقافي، الذي يريد تغيير الأسس والمفاهيم العربية، وتقديم تصور مختلف لتاريخ الصراع العربي-الإسرائيلي. وحسب هذا التطبيع يجب النظر إلى وجود إسرائيل لا باعتباره دأماً واقعاً، بل باعتباره دحفاً في الوجود، بعبارة ثانية: إسرائيل لها حق الوجود في المنطقة العربية كمثل حق السوريين واللبنانيين والعراقيين، من حيث إن وجودها هو من نتائج الحرب

العالية الأولى، كما أن وجود سوريا ولبنان والعراق (كدول) هو من نتائج هذه الحرب كذلك، نقطة ثانية، لأن وجود إسرائيل هو من نتائج «الحركة النازية»، إنشاء الحرب العالمية الثانية، والتي هي، مأساة إنسانية كبرى، ومن ثم ليس العرب أن يستعاضوا معها... فليس من أجل استفقاعها وإدانتها والبحث في وسائل عدم تكرارها فقط، بل من أجل فهم الأسباب والمبررات الأخلاقية لقيام دولة إسرائيل، حماية لهم من اللامساكية والأثبات والأدوية...» (ص مثال لحازم صاغية وصالح بشير بعنوان «عولة الحركة أو كسر الاحتكار اليهودي لها»)، ويعترض هذا التطبيع الثقافي، أيضاً، تقديم وجهة نظر «واقعية»، المنطقة «تنطلق من مفهوم «الدولة الأمية، حيث تعبر إلى والأقليات والعروضة من تعددية يجب الحرص عليها، وإسرائيل جزء من هذه التعددية، والأ... إن المنطقة ستندفع نحو الحروب، ونحو الاستفاد، ومن مطالب هذا النهج أيضاً أن يكف الفلسطينيون وأن يكف العرب عن اعتبار القضية الفلسطينية قضية مركزية، ذلك أن... بالنص، «الانحسار في قضية واحدة هو من سمات الاستفاد...» من علاقة قضية فلسطين ببقية يعبرها مبتدلة يكتب. هي ثبناً مثلاً بشكل الشهداء والشهادة المعمول، والفقرى لنظام القيم المعمول به، ويعلق بلال، «وكان التبرع لبثان من أوائل الإسرائيلي يمكن أن يتم دون شهاده، وإذا وجدوا في أفضل دسائهم، والتركيز على قيم مثل تعلم الكوميونوتر، من أن «الشهادة» أثبتوا أنهم كانوا خيرة من الكوميونوتر، وعن نظام القيم «الفساد» في سوريا يقول: «في سوريا تنعقد البمولوة لرجالات الحكومة الواحدة كعدنان المالكي وجول جمال...» ولا أدري ما الذي يزعم حازم صاغية في استذكار أبطال المقاومة السوري في مقاومة إسرائيل...» ثم يوسع حازم صاغية نطاق استنزافه بقيم القضية الفلسطينية فهاهنا بذلك إبطال الترخيب الإسلامي، فيقول: «حين يستحضر من التاريخ الإسلامي خالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي، يستحضرون من داخل هذا التأويل وفي سياقه...» إن الأفضل، حسب منهجه، هو إدراك بأن صلاح الدين الأيوبي لم يجرع القدس.

إن دعوة حازم صاغية إلى تغيير سلم القيم هذا، هو جوهر النزعة التطولية لشعار التطبيع الثقافي الذي يشيرون به، والمخل هو عدم التركيز على قضية مركزية عربية... (ص ١٢٥-١٢٦).
... إلى حازم صاغية في الأهمية التوقس الضيف الأخرى. من البداية يقدم بلال الحسن لومة لتحولاته، بقدر قيمته حياطة مريضاً من نوع خاص، يؤمن بالاشتراكية ويرفض الليبرينية، يؤمن بالاشتراكية ويرفض تجزيرة الاتحاد السوفيتي، وانفق زحاً طويلاً من عمره يحاصر الأقليات المسيحية... تحمس

بارك، الانتفاضة، مرحلة شارون، ثم هجاء الثوار. ولتقف لحظة، عند هذا العنوان الأخير، ينتقد الحفيف وقوف الشعب الفلسطيني في وجه إسرائيل، يدعو إلى نيل فكرة الثورة وضرورة التماسح مع العدو الإسرائيلي والأمريكي، بغير هذه الدعوة بتوازن القوى، لكنه يحولها لنظرية سياسية ثابتة، وكالمألوف عنده يولي وقائع التاريخ الواقع من أجل إثبات صحتها. يكتب في مقالة بعنوان «لماذا ينتظرون، فلسطينيين وعرباً، مستقبل أكثر بؤساً؟»، الأمير عبد القادر الجزائري كان مسئولاً عن هزيمة شعب أمام الاحتلال الفرنسي، عندما فشل. يستقو من مفتي فاس، الخبير الانتحاري، أي الجهاد حتى آخر راشد، رافضاً عرض التقاسم الجزائي مع المحتلين... ويديره اختار صرايب المقاومة الياسة على مفاوضة المحتلين البريطانيين للحد من الخسائر... ثم يصل إلى دعاء الأخيرة والتي من أجلها ساق هذين الثقلين من التاريخ، «مشرق عرفات مقترحات كلينتون، متعجباً الانتفاضة الانتحارية، ليقود شعبه إلى الطريق المسدود».

تعليلاً على هذه الجردة التاريخية، يكتب بلال، «فما دامت فرنسا قد احتلت الأرض في الجبال العالية والصحراء القاحلة وتترك لهم الساحل وسهوله وموانئه ومدهته فقط؟ أية محافاة تلك هذا دعت الأمير عبد القادر كي يرفض هذا العرض القري؟... وإذا كان الأمر مدناً في نظر العفيف فلماذا لم يقبل التنازل عن نصف وطنه، فإن إدانته لأحد عرباى تتم تون وجود مساومة استعماله على نصف أرض الوطن...» قامت بريطانيا بحملتها الاستعمارية لاحتلال مصر، فقاد جيش بلاده ضد عملية الاحتلال، وقد نجح في بعض المواجهات لكنه خسر الحرب في النهاية...» يستخلص الحفيف الأخير هذا التاريخ كله ليجمعه واحدة تقول: «اختار المقاومة الياسة على مفاوضة المحتلين للحد من الخسائر...» كالمألوف، إذن، من أحمد عرابي، وهو العسكري، ووزير الدفاع، والثائر على تفشى النفوذ الأجنبي، أن يقبل رسمياً وإيراناً الاحتلال البريطاني لمصر وأن يوقع مع القوات الغازية صك القبول العمري بالاستعمار والترحيب به وإعلانه الصرعية الكاملة، وهذا ما لم يفعله عرابي، فاستحق لعنات الحفيف الأخضر...»

أما إدانته لعرفات فتد إلى ما هو أشمل وأعمق من مجرد رفض مقترحات كلينتون، فتد إلى إدانة فكرة الثورة المسلحة الفلسطينية، بدءاً من الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال البريطاني في ١٩٣٦، وانتهاء بمواجهة الفلسطينيين الشجاعة للهجمات الإسرائيلية على بيروت في ١٩٨٢. إنه في سبيل التماس الملاج، وكيف انهارت كلها، وعاد إليه مرضه أشد وأقوى؛ انتصار الجزائر على فرنسا ضد الجرح النرجسي، لكن هزيمة ١٩٦٧ أعادت فتح الجرح... فعاد المثقف إلى استصغار ذاته منذ ذاك. وأصبحت حاجته إلى البطل الفردي والجماعي هائلة...» ثم العنوى على البطل في الثورة الفلسطينية، لكن هزيمة أيلول الأسود (الأردن، ١٩٧٠)، ثم اجتياح إسرائيل للبنان (١٩٨٢)، صبا، مجدداً، الملح على الجرح...» في ١٩٧٩، تعرف المثقف خصوصاً الإسلامي، على نفسه في الخميني الذي هزم الشيطان الأكبر... والإسلامي الذي أسقط على الخميني تخييلاته التي عجز عن تحقيقها بنفسه... انضم إلى المثقف القومي، لبياها معاً، صدام حسين بطلاً مثقداً، لكن هزيمته الصاعقة في ١٩٩١ جعلتهما في حالة يتم وحداً...»

وحداً (الإسلامي والقومي) منفضهما في الانتفاضة (١٩٨٧-١٩٩٢)، لكن اتفاق أوسلو وضع حداً للأوامر الخلاصية...» في العترة الجديدة من كل بطولة (١٩٩٣-٢٠٠٠) - المسحب الجيش الإسرائيلي مهزوماً من جنوب لبنان، ففدا، «حزب الله، هو المهدى المتظفر، وانبطعت الانتفاضة (٢٠٠٠)، والتي تشربها وعى المثقفين الإسلامي والقومي كميلاً لحزب الله وجرسته العسكرية على أرض فلسطين، فتماهى الجميع معها... الخ... (الصفحات من ١٤٥ إلى ١٥٥).



هذا ملخص التصور الذي يقدمه الحفيف الأخير لنضال العرسي الحديث: إنه عرض نفسي، حتم مقدر لا سبيل إلى دفعه، وبالحق عبر القرون، ويسكننا دائماً، نحمه داخلنا، فلا خلاص. لكن السؤال يطرح نفسه: لماذا يجد الحفيف تأكيد العرب لثورتهم وانتصاصهم ضد العدو الإسرائيلي مرضاً نفسياً؟ ولماذا يتجاوز الحقائق الموضوعية (مثالاً لهذا التجاوز، حين يقرر أن المثقف الإسلامي انضم إلى القومي، وبياها معاً صدام حسين، فهذا لم يحدث أبداً على أرض الواقع، ثم حين يقرر أن الانتفاضة الفلسطينية... ميلاد حزب الله وجرسته السحرية على أرض فلسطين، رغم كل وجوه الاختلاف الموضوعي بين التجريبتين، بشهادة الواقع، وشهادة أطراف التجريبتين ذاتهما).

ويتابع بلال الحسن مناقشة أفكار الحفيف الأخير تحت هذه العناوين: تعشيه تاريخ فلسطين... اللاجنون: التحريض ضد حق العودة، الوطن والحداء... السلام والمفاوضات: دعوة للتأمام مع الجلاء... الانتفاضة: مرحلة

تلتويكس وياكوفين وروزا لويسمورج... كان محرراً رئيسياً على الدعوة إلى حلول الثورة الفلسطينية مكان النظام الأردني... ثم تخلى عن هذه التجربة، يائساً، عاش بعد ذلك فترة طويلة في حالة كمون، غازل الرئيس الجزائري السابق أحمد بن بلا وهو في مناه في فرنسا، وتقمص دعوة الإسلام في المجلة التي كان يصورها، ورافقه في رحلة العودة إلى الجزائر... وحين اكتشف أن الجماهير الجزائرية لم تنخرج لترحب بعودة بن بلا المحض، فضل التخلي عن التجربة كلها والعودة إلى باريس... ثم اختار أن يغازل النظام التونسي، وهو الذي قضى حياته معارضا له... فجة عاد الأخضر إلى دائرة الضوء (١٩٩٨-١٩٩٩)، ليبرالياً متحمساً لكل ما هو عربي وأمريكي... ووجد في التحليل النفسي ملجأه الأيديولوجي الجديد، بدلاً من الماركسية، وهو يبتز من التحليل النفسي يصلح، بشكل خاص، لعهم المجتمعات المتأخرة، وشعوب الشرق (الصرب وإسملون) هو منه أشعوب المتأخرة، ليس تأخر اقتصادياً، بل تأخر ثقافياً وفكرياً بالتحديد...»

يلخص الحفيف الأخضر فرضيته الأساسية: «فرضيتي هي أن الحضارة النفسية لمسيكولوجيا الجماهير وزعمائها مفيدة خصوصاً في المجتمعات المتأخرة التي ما زالت مسرعة للصراعات الإثنية والحروب الدينية...» ويستعين أن غريزة الموت في المحرك لشعوب يأكلها، أبسط تعبير عن غريزة الموت هو الانتحار، أما أفضله هو البحر الأبيراء أفراداً وجماعات كما يفعل الإرهابيين، وشعوباً وأما كما يفعل القادة بقراراتهم الجبولة... (وهذا القادة منه هم هتلر، رغم أنه ليس وليد الشعوب المتأخرة، بل وليد «الحداثة» الغربية، وتولد نظام ديوموراطي أيضاً، ثم عبد الناصر وصدام حسين)... ويبلغ الحفيف الأخير في تطبيقه لسلسته هذه مدى من المهزل الخاص، إنه يكتب: «في اليوم الأخير من القرن العشرين نرد أصحاب السيارات التي في مصر على قرار وضع حزام الأمان... لماذا نفسر ذلك إن ثم يكن بالرغبة في الاستشهاد على قارعة الطريق؟... قل ما شئت عن رغبة الألف قلدي السيارات في الانتحار الجماعي، لكنه لون من العماء الفكرى ويؤس الانتحار بمنهج لا يقر صحتته سوى صاحبها...»

ويوسع الحفيف من تطبيقاته، لتشمل التاريخ العربي الحديث كله، في أوج انتفاضة الأقصى، في ديسمبر ٢٠٠٠، نشر مقالاً بعنوان «فرسى بورتريه سيولوجي لقوانين الانتفاضة...» بدأ بحملة ذابليون على مصر حين تحول العرسي على عين نفسه من فاتح إلى مفتاح، وتربط على ذلك انهيار ثقته بنفسه، لذلك بات مهووساً بمنفذ، يائساً من أعلى، ببطل... ثم يعيد الحركات والثورات التي أياها بالعربي، والمثقف،



انتقادات حازم صاغية
تنصب على الفلسطينيين
والعرب، وتلغى من ذلك
إسرائيل، وإذا حدث
وانتقد إسرائيل في موقف
ما، فإنها ليتكن على
هذا النقد ليصيب جام
غضب على النضال
الموجه ضد إسرائيل



كتاب الزاوية



محمد عبده

العروة الوثقى

الإمام الراحل محمد عبده ترك تراثاً عظيماً مازال العالم الإسلامي ينهل منه، بل إنه تطرق إلى قضايا وطرح أفكاراً يجد البعض أن إثارتها في الوقت الراهن مجازفة كبرى. ومن التراث العظيم للإمام العظيم جريدة «العروة الوثقى» التي أنشأها السيد جمال الدين الأفغاني في باريس لتعبر عن جميع «العروة الوثقى». واستدعى الأفغاني تلميذه محمد عبده من منفاه في بيروت ليرأس تحريرها.

وقد صدر العدد الأول من الجريدة في الخامس من جمادى الأولى سنة ١٣٠١هـ الموافق ١٢ مارس ١٨٨٤. وعلى الرغم من نفقاتها الباهظة، فقد كانت الجريدة تهدي إلى ملوك العرب وأمراءهم وقادتهم وترسل إلى كل من يطلبها مجاناً. وقد انتشرت في الأقطار الإسلامية إلا أن المستعمرين وأعوانهم حاربوها في مصر وسائر الأقطار الأخرى فلم يصدر منها إلا ثمانية عشر عدداً. وصدر العدد الأخير في ذي الحجة سنة ١٣٠١هـ الموافق أكتوبر ١٨٨٤م.

وقد تضمنت هذه الأعداد القليلة صورة من جهاد الأفغاني وعبيده وتعاونهما في خدمة الشرق والإسلام والمسلمين ودفاعهما ضد الاستعمار والمستعمرين بالإضافة إلى ما احتوته الجريدة من صفحات عن ذكريات ومعلومات تاريخية جلية.

وبمناسبة الذكرى المئوية لرحيل الإمام الشيخ محمد عبده تقدم «وجهات نظر» مقتطفات من جريدة «العروة الوثقى»، والتي تضمنها كتاب «النثر الإسلامي جمال الدين الأفغاني» بقلم الشيخ محمد عبده والصادر عن دار الهلال

١٩٩٩

يكتب: متنصفاً ومتباهياً: «نحن الذين طأنا حللنا مخاطر الكفاح المسلح على الشعب الفلسطيني سواء في فلسطين ١٩٣٦ أو في الأردن ١٩٧٠ أو في لبنان ١٩٨٢».

الختم. بلا عسك، على حد تعبير حازم صاغية. هو الكاتب المصري أمين المهدي. ولأسباب ضرورية يقدم بلال تعريفاً به، جاء فيه: «لم يعرف أمين المهدي ككاتب أو ناشط سياسي.. في الجامعة لم يكن له نشاط طلابي بارز، وفي النشاط الحزبي كان مجرد عضو عادي في «حزب التجمع»، ويسأل المعارضين: «لكوا أنهم لا يعرفونني إلا القليل». قالوا إنه كان يعمل في صياغة المطابع في دار «أخبار اليوم».. ويقولون إنه تزوج في القاهرة سيدة فلسطينية أقنعته بالذهاب معها إلى بيروت أواخر السبعينيات؛ وتعرف عن طريق تلك السيدة إلى صلاح خلف (أبو إياد) مسئول الأمن الموحد في الثورة الفلسطينية، وعاد بعد فترة مع زوجته إلى القاهرة حيث أنشأ مطبعة ودار نشر. وشاع دون تأكيد من أحد أن «أبو إياد» كان ممول تلك الدار، وساعت بعد ذلك علاقته مع زوجته مفهلتها. بينما كانت قيادة الثورة الفلسطينية قد انتقلت إلى تونس أواخر العام ١٩٨٢.. ويقولون أنه بعد توقيع معاهدة السلام المصرية، الإسرائيلية وبيروز موجة «الطبيع، ذهب إلى إسرائيل، وتعاقد مع وزارة المعارف من أجل ترجمة عدد من الكتب إلى العربية، وبالعكس.. ويقولون إنه ذهب إلى الجزائر لفترة، ساعدته أن يكتب عن التجربة الإسلامية في الجزائر، وأصدر كتاباً في الموضوع كتب مقدمته الدكتور رفعت المسعود، اليساري المعروف.. ويقولون إنه حاول في فترة التسعينيات تأسيس جماعة معاداة مسيرية. إسرائيلية ولكن محاولته لم تكمل بالنجاح، ويقولون إنه لم يعرف في مصر ككاتب. ولم يكتب أو ينشر في أية جريدة مصرية.

ويقف المعارفون في ذكر معلوماتهم عند هذا الحد، وتقر سنوات من حدث يذكر إلى أن ظهر شجاعة كاتباً شبه منتظم في جريدة «الحياة»، ومبشراً بالسلام مع إسرائيل، وكان ذلك أواخر العام ١٩٩٩.. واستمر يكتب في «الحياة» حتى مطلع عام ٢٠٠١ ثم أخذ الصمت إلى أن ظهر من جديد كاتباً في الموقع الإلكتروني لصحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية بدءاً من ٢٥/٢/٢٠٠٢ (مقالان) ثم نشر له الموقع مقالاً ثالثاً وأخيراً في ١١/١١/٢٠٠٢.

ماذا يكتب أمين المهدي؟

أول كل شيء أن يخلق تاريخاً خاصاً للصراع العربي الإسرائيلي، فيطرح أن تيارين كانا موجودين لدى كل جانب من بدء الصراع: تيار الحرب وتيار السلام، وقد انهزم تيار السلام لدى الجانبين، فخلا الميدان لقادة التيار المعسكري

للتصراع، ويظهر أن هذين التيارين ولدا.. مع بداية الصراع الشامل في ١٩٤٨.. يريد الوصول إلى أن تيار السلام حين يبرز اليوم هو استمرار لتيار قديم، ويعيد. من ثم، إنتاج المقولة القبيصة. الجديدة بأن المتطرفين في الجانبين هم سبب المشكلة، وأنهما وجهان لعملة واحدة، وأنهما يضعيان شرعية متبادلة يمنحها كل طرف للآخر.

ولكن.. هل بدأ الصراع، حقاً، في ١٩٤٨؟ يكتب بلال الحسن: «الم يبدأ هذا الصراع رسمياً عام ١٩١٧ الذي صدر فيه عصبة الأمم المتحدة بوضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني؟ ولص قرار الانتداب بتفتيت وعد بلفور على الأرض؟ الم يبدأ هذا الصراع، رسمياً، عام ١٩٣٦ حين أطلق الفلسطينيون ثورتهم الكبرى ضد بريطانيا، بسبب احتلالها، وبسبب انخراطها إلى جانب الحركة الصهيونية ورعايتها للهجرة اليهودية إلى فلسطين؟.. لماذا إذن يختار أمين المهدي ١٩٤٨ لبداية الصراع؟ يواصل بلال: «هو العام الذي شهد ولادة دولة إسرائيل، بريد أمين المهدي أن يبدأ النقاش من هنا، ليغلي تاريخ الصراع، ولينزع عن إسرائيل صفاتها كجزء من الشرع الاستعماري الكبير، وليجعل من وجود دولة إسرائيل حقيقة ثابتة نبتت هكذا، من صراع ومقاومة، وصيحت التفكير بعد ذلك بمواجهتها أمراً عبثياً، ويكون التماهم والسلام، دون شروط، هو قاعدة التفكير والعمل، وهنا يبرز موضوع السلام (الطبيعي) كنتيجة طبيعية، ويتحول موضوع المواجهة إلى نتيجة غير طبيعية.. وفي أجل أن يحذر المهدي تاريخه المزيف يقسم الإسرائيليون إلى دعاة سلم ودعاة حرب، ويثبت قوائم لكل طرف، ويناقش بلال هذه القوائم في ضوء الحقائق الموضوعية الثابتة في سيرهم وأعمالهم، ويخلص إلى أن محاولات أمين المهدي إلى اختراع تاريخ خاص للصراع العربي الإسرائيلي، يجعل من السلام مقولة أزيية تأمر عليها دعاة الحرب من الجانبين، هي محاولات مصحكة، لا علاقة لها بالتاريخ ولا بالسياسة..»



يقول أمين المهدي إن «الفاشية، العربية هي التي ساعدت الحركة الصهيونية على إقامة دولة إسرائيل، ويتساءل بلال الحسن في مناقشة، لماذا تخلو «نظريته» أمين المهدي من أي ذكر لدور الاستعمار الأجنبي أو حتى لمرجود؟ لماذا يغيب دور بريطانيا وفرنسا منذ انتهاء الحرب الأولى وحتى ١٩٤٨؟ لماذا يغيب أي ذكر لدور الولايات المتحدة الأمريكية. وقرار الرئيس الأمريكي

كتاب الزاوية



العروة الوثقى

الجريدة ومنهجها

سيأتي في خدمة الشرفيين على ما في الإمكان من بيان
الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف
وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات والاحتباس
من غوائل ما هو آت.

ويستقيم ذلك البحث في أصول الأسباب ومناشئ الملل
التي قصرت بهم إلى جانب التفريط والبواعت التي دفعت بهم
إلى مهام حيرة ععبت فيها السبل واشتبهت بها المنابر وتاه
فيها الخريت (الحاذق) وضل المرشد حتى لا يدري السالكون
من أين تضجهم الطوارق المفزعة والمزعجات المدهشة
والمدهشات القاتلة.

وتكشف الظلما ما استطاعت عن الشبه التي شعلت أوهاهم
المزهرين وليست عليهم مسالك الرشد وتزيح السواسل التي
أخذت بمقول المنعمين حتى أورثهم اليأس من مداواة علائهم
وشفاء أدوائهم. وظنوا أن زمان التدارك قد فات وأن العماية
بلقت حدها.

وتراعى في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين
الأمم وتمكين الألفة في أفرادها وتأييد النافع المشتركة بينها
والسياسات القومية التي لا تميل إلى الحيف والإجحاف بحقوق
الشرفيين.

ومع كل هذا فهذه الجريدة تتبع سير الداعين إليها
والحاملين عليها، لا تظهر إذا أدلجوا ولا تنجد إذا غوروا،
وتذهب مذاهب الرشد، وتصيب بحول الله مواقفه عند من
سبق إلى أزلى علم الله هدايته، والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم.

وترسل إلى الذين تعرف أسماعهم مجاًن بدون مقابل
ليتداولها الأمير والحقير والغنى والفقر، ومن لم يصل إلينا
اسمه فما عليه إلا أن يكتب إلى إدارة الجريدة بالاسم المعروف
به ومعل إقامته على النهج الذي يريده، والله الموفق.

على كل هذه الأقوال يعلق بلال: «ومن
الصهيونية دعماً مخلصاً؟ والجواب،
ببساطة، هو أن إبرز هذه الوقائع ينسف
«نظرية» أمين المهدي، «التاريخية»، وهو
لذلك يتجاهلها عمداً، ثم يختار
الوقائع التي تقود إلى دعم موقفه
السياسي الرافض، إنها عملية تزوير
بدائية...»

كما يحلو لأمين المهدي، وغيره من
الكتّاب، وحين يبحثون بضرورة التطبيع
مع إسرائيل فقط، سرد سلسلة من
الأوصاف للأنظمة العربية القائمة،
تصنعها لفظة «الفاشية»، فهل يمكن
وصف هذه الأنظمة بالفاشية حقاً؟
يقدم بلال، في مناقشته، تعريفاً علمياً
للفاشية (يستعين فيه، صامداً،
بموسوعة أمريكية المصدر والتحليل
والعقلية)، ويورد الوانها المختلفة
والسمات الخاصة بكل لون منها،
وينتهي إلى أن أمين المهدي يقدم تعريفاً
خاصاً به للفاشية يجعل من كل التيارات
الفكرية، المدنية أو الوطنية أو القومية
أو العربية، تيارات فاشية. إنه يكتب:



«الفاشية هي صورها العدسي للذات،
تهدف إلى الاندماج والتلاشي في
الزعيم أو المخلص، أو في فكرة الخلاص
الواحدة، المدنية أو الوطنية أو القومية
أو العربية. أو فكرة خليط من بعض أو
كل ذلك...». بهذا التصريف، الخاص،
تصحيح الحركات الدينية مهما كان
نوعها، والحركات الوطنية العاملة
للتحرر من الاستعمار (على امتداد
آسيا وأفريقيا في القرن العشرين)
والحركات القومية الساعية إلى
توحيد بلادها (على امتداد أوروبا القرن
التاسع عشر)، كلها حركات فاشية
مدانة!.

ويمضي أمين المهدي إلى ما علم
يجوز واحد من فسران التطبيع على
بلوغه، إلى الغزل الواضح بالحركة
الصهيونية وإسرائيل، باعتبار أنهما
يمثلان الحضارة والحدادنة
والديموقراطية والنزعة الإنسانية.
يقابل عملية الغزل هذه كراهية عميقة
للفلسطينيين والعرب، باعتبارهم
ضاحين وسيدوا وفاشيين... عن
الصهيونية يقول إنها جاءت، من البداية
«بنظام ديموقراطي فصاعداً الخفية في
كل الجالات، وفي إطار قومي علماني
صرف... ويسفر: «تسلطت الأسس
الاجتماعية للاستيطان في إطار فكر
متحرر أوروبي النفذة...» ويقول: «جاءت
الصهيونية إلى بلاد العرب عبارة عن
أيديولوجية خلاصية شمية. وهنا
تكمن دوافعها وجوانبها الانسانية...
وسلكت الصهيونية في التنفيذ مسلكاً
علمانياً عقلانياً مؤسسياً
وديموقراطياً...» ويقول أخيراً: «تنبأت
الصهيونية بانتصار الغرب والتطور
الراسمالي، فاختارت موقعها ضد
القوميات (1) وضد النارية والفاشية
والستالينية، وهكذا راهنت على معسكر
المتضررين وانصرفت معهم...»

في نهاية مقاله الذي سميت إليه
الإشارة يكتب فهمي هويدي: «إن المشكلة
لألسف، ليست فقط في الترويج لهذه
الثقافة البائسة، ولكنها أيضاً في الأجواء
التي حيات مناخا مؤاتيا لإطلاق ذلك
القدر من السموم من خلال المنابر
الإعلامية العربية، وتضاعف الأسف إذا
أدركنا أن تلك الجرح من السموم جرى
بنها من منبر واحد، فما بالك إذا جمعنا
الكتابات المماثلة التي حفلت بها المنابر
الأخرى...»

والحقيقة أن جهداً أكبر يجب أن
يبدل في هذا الاتجاه، اتجاه فضح كتاب
هذه الثقافة السامة: ثقافة الاستسلام،
على نحو ما فعل بلال الحسن في هذا
الكتاب III

ثرومان بدءاً من ١٩٦٦ بدعم الحركة
الصهيونية دعماً مخلصاً؟ والجواب،
ببساطة، هو أن إبرز هذه الوقائع ينسف
«نظرية» أمين المهدي، «التاريخية»، وهو
لذلك يتجاهلها عمداً، ثم يختار
الوقائع التي تقود إلى دعم موقفه
السياسي الرافض، إنها عملية تزوير
بدائية...»

كما يحلو لأمين المهدي، وغيره من
الكتّاب، وحين يبحثون بضرورة التطبيع
مع إسرائيل فقط، سرد سلسلة من
الأوصاف للأنظمة العربية القائمة،
تصنعها لفظة «الفاشية»، فهل يمكن
وصف هذه الأنظمة بالفاشية حقاً؟
يقدم بلال، في مناقشته، تعريفاً علمياً
للفاشية (يستعين فيه، صامداً،
بموسوعة أمريكية المصدر والتحليل
والعقلية)، ويورد الوانها المختلفة
والسمات الخاصة بكل لون منها،
وينتهي إلى أن أمين المهدي يقدم تعريفاً
خاصاً به للفاشية يجعل من كل التيارات
الفكرية، المدنية أو الوطنية أو القومية
أو العربية، تيارات فاشية. إنه يكتب:

«الفاشية هي صورها العدسي للذات،
تهدف إلى الاندماج والتلاشي في
الزعيم أو المخلص، أو في فكرة الخلاص
الواحدة، المدنية أو الوطنية أو القومية
أو العربية. أو فكرة خليط من بعض أو
كل ذلك...». بهذا التصريف، الخاص،
تصحيح الحركات الدينية مهما كان
نوعها، والحركات الوطنية العاملة
للتحرر من الاستعمار (على امتداد
آسيا وأفريقيا في القرن العشرين)
والحركات القومية الساعية إلى
توحيد بلادها (على امتداد أوروبا القرن
التاسع عشر)، كلها حركات فاشية
مدانة!.

ويضي أمين المهدي إلى ما علم
يجوز واحد من فسران التطبيع على
بلوغه، إلى الغزل الواضح بالحركة
الصهيونية وإسرائيل، باعتبار أنهما
يمثلان الحضارة والحدادنة
والديموقراطية والنزعة الإنسانية.
يقابل عملية الغزل هذه كراهية عميقة
للفلسطينيين والعرب، باعتبارهم
ضاحين وسيدوا وفاشيين... عن
الصهيونية يقول إنها جاءت، من البداية
«بنظام ديموقراطي فصاعداً الخفية في
كل الجالات، وفي إطار قومي علماني
صرف... ويسفر: «تسلطت الأسس
الاجتماعية للاستيطان في إطار فكر
متحرر أوروبي النفذة...» ويقول: «جاءت
الصهيونية إلى بلاد العرب عبارة عن
أيديولوجية خلاصية شمية. وهنا
تكمن دوافعها وجوانبها الانسانية...
وسلكت الصهيونية في التنفيذ مسلكاً
علمانياً عقلانياً مؤسسياً
وديموقراطياً...» ويقول أخيراً: «تنبأت
الصهيونية بانتصار الغرب والتطور
الراسمالي، فاختارت موقعها ضد
القوميات (1) وضد النارية والفاشية
والستالينية، وهكذا راهنت على معسكر
المتضررين وانصرفت معهم...»



فيكتوريا الإنجليزية عندما تولت الحكم عام ١٨٣٧



فيكتوريا الأمريكية

الإنجليزية تدعى الفضية والأمريكية تستعرض الفضيحة

فيكتوريا

محمد المهدي

مرحلة البير

عاشت فيكتوريا إلى سن الحادية والثلاثين، حكمت منها خمسة وستين عاماً (١٨٣٧ / ١٩٠١)، نصبت ملكة في سن السادسة عشرة والتصق اسمها بثلاثة رجال، الأول قبل زواجها كان رئيس وزراءها لورد ميلبورن (أحرار) المستهتر في سلوكه الشخصي والجذاب للملكة الصغيرة، وانقطعت صلتها بعد زواجها. والثاني زوجها الأمير البير (ALBERT) الذي كان يصغرها بثلاثة أشهر، وأصبحت قصة حبهما حديث أوروبا بل وسخرتها ولكنه مات عام ١٨٦١. ثم خادمتها الاسكتلندية الشرس جون براون الذي اختصته بصفحات عديدة من مذكراتها ومات ١٨٨٣، وقيمت (أم أوروبا) كما يلقبها الأحياء، أو السيدة مليون، ثم السيدة البير، ثم السيدة براون كما يلقبها الكارهون أو العارفون بالخفايا الفيكتورية.

كانت عصيبة المزاج ذات اهتمامات المبدع الثامن والسبعون. - يوليه ٢٠٠٥ م

فيكتوريا هي إحاطة العالم بحزام استعماري (٣٣ مليون كيلو متر)، والسيطرة على ربع سكانه (٥٠٠ مليوناً) آنذاك. فيكتوريا هي سيطرة الإنجليز على الهند ثم على سناغافورة عام ١٨٤٩، وسيطرتهم على الصين بفرض حربي الأفيون من عام ١٨٣٩ إلى عام ١٨٤٢، وسيطرتهم على هونغ كونغ، وريعت كل من كندا وأستراليا بنظام إنجليزي خاص، ودخلتهم القتال مع البوير (الهنوديين) في جنوب أفريقيا، وإقامة النظام المنصري هناك، وتصفيية الصراع مع الروس بتقسيم مناطق النفوذ على حساب أفغانستان وإيران والتبت، وتعميد الطريق الاستعماري بالسيطرة على جبل طارق وقبرص واحتلال مصر عام ١٨٨٢، والوصول إلى باب المندب أو مخرج البحر الأحمر، والوصول إلى الصومال والخليج العربي، والسيطرة على أفريقيا ساحل الذهب ونيجييريا وكينيا وأوغندا، ومحاولة (سيمبل رودس) الوصول من الكلاب جنوباً إلى القاهرة شمالاً.

براون (John Brown) ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تثار فيها هذه القصة، ولكنهم هذه المرة أكدوا أنه كان يدخل غرفة أرملة وندوسر كما كانت تسمى - ليلاً ولا يخرج إلا بعد ساعات طويلة. فيكتوريا هي القرن التاسع عشر، ولا نبالغ إذا قلنا أنها القرن التاسع عشر ليس لإنجلترا فقط، ولكن للعالم الاستعماري بكامله، حصلت إنجلترا في عهدها على لقب الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس، وحصلت على لمطوح عصرها وسيطرتها وتوزع أحفادها على عدة عروش، على لقب (أم أوروبا). فيكتوريا كانت تمثل بالفعل الفكر الإنجليزي خلال هذا القرن الذي دوخ العالم الثالث وأثار غيرة المنافسين في أوروبا وانتهى بالحرب العالمية الأولى، كانت تمثل التحفظ الإنجليزي والتسترا الإنجليزي مع ما في داخله من عنصرية وريعية في السطو بواجهة متأنقة وباطن متعفن جعل برنارد شو أو أحد الشهود من أهلهم يسخر من جزيرة جون بول والتفاحة التي أضنت عربة التفاح بكاملها،

جميعها عصر واحد... القرن التاسع عشر. وطموح واحد... رغبة محمومة للسطوة والسيطرة على مقدرات زمانهما. إحداهما ورثت السلطان، وإمبراطورية أسطورية، فلم تكتف، تسربت بمسوح الزهد المخادع لإحكام يديها على القريب سعيًا لإحاطة الكرة بأدور الاستعمار باسم الملكية البريطانية. والأخرى لم تترك إلا الفقر، وقدره. التصب على القريب لتصل إلى البعيد، فما أبعد. القريب الزواج من الشريعة، والبعيد اللبس على كل الحبال لامتلاك رأس المال، ولأبعد سلطان عظيم باسم رئاسة الجمهورية الأمريكية. ونبدأ القصة مع الأسبق منهما هي الطموح... الملكة هيكتوريا.

فيكتوريا الإنجليزية

نشر في السبعينيات من القرن الماضي كتاب يتحدث عن علاقة الملكة هيكتوريا (Victoria) بخادمتها جون



فيكتوريا، ولا من زوجها بعد أن بدأت تحمل للبلدانة. تلقى الأمير خبر وفاة (بيرو) ابن عمه ملك البرتغال بمرض التيفوئيد، كما بلغه أن ابنه الأمير (دي جال) البالغ من العمر تسعة عشر عاماً على علاقة بامرأة، وكان حرصاً على سمعة العائلة المالكة، إلى جانب رفضه التام لأية علاقة جنسية خارج الزواج. وحينما ساءت حالته الصحية لم تترك فيكتوريا بل كانت تنفرد في غرفة لمواجهة حالة اليأس التي تنتابها. ولم تترك حتى حينما بلغها نبأ وفاته.

أقبلت عليه وقبلته في جبينه، ثم جثت على ركبتيها تناديه في حنان إلى أن ساعدوها على الخروج من الغرفة، حينذاك ضربت كفيها على جبينها ضربة خفيفة مرددة (عقلى... عقلى).

مرحلة يراون :

غيرت فيكتوريا مكان إقامتها بعد وفاة الأمير، تركت

يرضى شخصية فيكتوريا . متسلطة وجدت من يقوم بالجهد ويقدم الحلول ويحتفظ لها بالهبة والسلطان. وتصورت في لحظة اندفاعها العاطفي أنهما سيبلغان الشيخوخة معاً، ولكنها نسيّت من فرط ذاتيتها أنها تستهلكه وتعجل بشيخوخته وموته.

في أول ديسمبر عام ١٨٦١ وجدته يرتعش بصورة غير طبيعية، استدعت الطبيب جيمس كلارك، وكان لا يقل عنها ذائبة فرفض أن يشاركه في الكشف أحد، وشخص المرض على أنه نزلة برد شديدة، ولكن الحالة ازدادت سوءاً فاستدعى الطبيب وليام جيز الذي قرر أنه مصاب بالتيفوئيد.

استراحت فيكتوريا لتشخيص الدكتور كلارك فظلت تصبر بعنادها رغم تدهور صحته على أنه سيشفى قريباً، أما الأمير فكان يشعر بدنو أجله وقال لها : أنا غير متعلق بالحياة، إذا كنت مصاباً بمرض خطير فإني أتعجل التحمل الرحيل. وأحاطت بعض الظروف النفسية به فشاركته في هد كيانه، ولكنها لم تنقص من عزيمته

في (بالووال) القصر الملكي الاسكتلندي في منطقة (هاى لاند) بعيداً عن الممارك السياسية الداخلية والخارجية.

في قصر وندسور كان الأمير يعمل بشكل دائم في مكتبه حتى ظهر عليه الكبر أكثر منها بكثير. ترهل وتساقط شعر رأسه بينما احتفظت هي بقوتها وحيويتها. كان يعمل لوضع الخطط في مختلف الفروع حتى يوفر على الملكة والحيوية الوقت لاتخاذ القرارات في مشاكلها. يبدأ يومه في السادسة صباحاً، واثنا تناوله الإفطار يقرأ (التايمز) ويشرح بين الحين والآخر، وينزعج إذا حاول أحد مقاطعة، ولكنه مع فيكتوريا كان صبوراً، كان يقبل تصرفاتها السطحية مع إبداء الإعجاب بصورة مصطنعة، أو عصبيتها وضحكتها المتوترة أو عنادها أو حزنها الذي تفرق فيه حينما يموت شخص عزيز عليها، ثم تنصرف عنه فجأة. وفسر البيض موقف الأمير أنه خوف من صاحبة الجلالة، ويهتما أن يفسر موقف صاحبة الجلالة منه. كان الأمير يمثل النموذج الذي

محدودة وبالتالي كانت تعرف طريقها بسهولة دون تقلب للأمر أو دفعها في ممرات فكرية متعددة. وقبل الزواج من الأمير ابن خالتها كانت تستند في تسمير أمور دولتها على رئيس وزرائها مليون، ولكنها ما لبثت أن اندهشت بمطاقة الشباب وحرارة المزاج نحو الأمير الشاب الوسيم، وقررت الزواج منه وتكرت مليون يقول (لقد انتهى الأمر).

ويعلق صحفي جرى في زمانها هو شارل جريفيل بأن الملكة اختلفت تتعلق بالبير مع مرور الأصوام حتى تعدت الحدود، وتحول التحلق إلى نوع من الخضوع فكانت لا تطيق البعد عنه لمدة يوم واحد، وحينما ذهب للصيد في ألمانيا لمدة أربعة أيام وحده كانت تشكو بأن غيابها بالنسبة لها مصيبة كبيرة. ويتحكم جريفيل بأربعة أيام ... رغم أن جلالتها كانت لا تتورع عن إبعاد بعض وصيفاتها عن أزواجهن وعن عائلاتهن لشهور طويلة، اشترت فيكتوريا مقاطعة أسبوعين في جزيرة ويت لتنفرد بالبير، وكانا يعلنان في أحيان كثيرة انزعاجهما

الثالث من براون. وأبدي عميد وندسور «دافيدسون» قلقه لذلك، وخشيت الملكة أن يقدم استقالته، وانتهى الأمر بأن عدلت عن رأيها، وأعلنت عن إصدار الجزء الثالث، ولكنه لا يخلو من صفحات عديدة تتحدث عن براون، في الوقت الذي عين فيه دافيدسون رئيس أساقفة كنتربري.

هذه القصة ذاعت وأصبحت السيدة التي كانت تنسب إلى ويلبورن ثم إلى الأمير تسمى السيدة براون... وكانت قمة الإهانة للملكة في القرن التاسع عشر.

القمة الاستعمارية :

شعور الاستياء كان ينتشر في إنجلترا من تصرف الملكة، وأعلن شارل برادلي وهو راديكالي ملحد في خطبه إدانة العائلة المالكة، وافتتحت الكثير من النوادي الجمهورية في أنحاء إنجلترا وأصدر جورج أوتو ترفيلان كتاباً بعنوان «ماذا تفعل هناك ؟»، أي الملكة . يكشف فيه فضائلها، خاصة بخلها وحبيها لجمع المال، وأعلن آخر أن العائلة الملكية تكلف الدولة مليون جنيه في العام، وأن هذه الإنفاق الهائل لا يستתר نوعاً من التمييز فقط، ولكنه مساوئ قبيحة.

ظلت فيكتوريا رغم الهجوم عنيفة المزاج، أكولة، محافظة على الشكليات، تقبل في شراة على أنواع البودنج والبطائر المحشوة بالكرمية، والحلويات واليسكوت. كانت مالتها لها طقوس خاصة وفخامة خاصة. الأطباء من الذهب، أو السيفر، والخدم الهنود يقفون

الدعاء والإطلاق على دخيلة الأمور بحيث كان يحسن الإصفاء لتفاهات براون. أما فيكتوريا فكانت تقول عن براون «إنه تابع، وخدم اقدم، وغلام، بل وخدم غربة أيضاً، ولكن هذا القول كان لا يمنع وربما قصد به ألا يمنع من أن ينضم براون في الخرفة المجاورة لغرفتها في وندسور حيث كانت لا تستريح إلا في حضوره بصورة تثير الدهشة والسخرية والريبة.

كانت فيكتوريا بالانكاد مشدودة إلى براون، وفسر البعض هذه العلاقة بأنها لا تعدو أن تكون علاقة خادم مفخسل بسيدته، وفسر آخرون هذه العلاقة بأن تهاون الملوك أو الملكات مع خديمهم شيء لا يتنصص من سلطاتهم لأن الخدم انضهم جزء من هذا السلطان، بينما لا يجد أقرب الناس إليهم نفس الهاملة لأن ذلك يقبل التفسير بوقوعهم تحت سيطرة الآخرين، ولكن يعود فريق ثالث فيؤكد أن تصرف فيكتوريا مع براون فيه تجاوز كبير لم يمنح لغيره من الأتباع أو الخدم. وبالتالي تعرضت الملكة لموجة من النقد ارتفعت إلى درجة توجيه الاتهام أو الهجوم على فيكتوريا وإبرون الذي تمتع على حد قولهم بمكانة تقرب من الشريعية.

وحينما مات براون 18٨٢ أقامت له الملكة نصيباً تذكارياً، وكانت تحفظ له بعد من الممثلين الصغيرة. وفي يوم الأحد كانت حروصة على أن تضع على ماندتها ملاحين فبضيتين على شكل أصداح بحرية، كان براون قد أهداها للملكة. وبعد أن كتبت الملكة جزئين من تاريخ حياتها صممت على إصدار الجزء

آخر جرعة دواء لمدة أربعين عاماً، أي بقية عمرها. كما كانت تقوم يومياً بتشر الزهر على سريريه وتحمل بعضها إلى كاتدرائية سان جورج.

عاشت فيكتوريا في حداد لمدة أربعين عاماً. في بادئ الأمر قلت صحتها بأمرتها وتم تكن تقابل إلا الزوار للضرورة. وحينما كانت نذهب أو تغادر وندسور كان يتم إخلاء المحلة من أفراد الشعب، وبمرور الوقت وبإصرارها على هذه الطقوس القاتمة بدأ الناس، وبدأت الصحافة تثير الأقاويل، وبدأت التساؤلات هل هذه المظاهر صادقة وكيف تتحمل الملكة هذا اللون من النظام القاتم؟ وما هي إذن حقيقة علاقتها بخادمها الإسكتلندي جون براون.

جون براون كان أحد أتباع زوجها الأمير، وبعد وفاته توثقت صلة براون بالملكة. كان اسكتلندياً خشن المظهر والطبع، ورغم تحفظ الملكة الأوتوقراطية، بل وصرامتها التي لا تقبل أي نقد، إلا أنها كانت تقبل من براون اللوم بل التفرغ في سرور. كان يسمح لنفسه بمجادلة، بل وطريقة التي تروقه. بل كان يناديها يا (امرأة). وكان طبيعياً بعد ذلك أن يتجرا على حاشيتها والمقربين منها وبطريقة فجأة، ويسمح لنفسه بنقطة في مجادلة الوزراء، ويضرب على أكتفهم كنوع من الداعبة أو السخرية.

ومن أشهر وزراء فيكتوريا (جلاستون) و(دزرائيلي). الأول كان يكره براون ويلقبه في استخفاف بديك في ثوب طاووس. أما دزرائيلي فكان من

وتندسور في أوسبورن، وحينما كانت لإجرات جنازة الأمير تعد. كانت الملكة قد قررت ارتداء ملابس الحداد طوال حياتها.

لا شك أن وفاة الأمير أثرت على الملكة بشكل واضح فبدت أكبر من الأربعين التي بلغتها، لكنها بدأت تعيش حاضرها، كان الأمير يقول عنها أنها تعيش في تقاليد الماضي العريق بقدر ما تعيش في طموحات المستقبل الزاهر. أخضعت نفسها والمحيطين بها لنوع من الحداد الدائم، وفسر البعض تصرفها بأنه نوع من الأناذية. ولكنه كان في الحقيقة أكثر من بعد نظر.

لم يكن من حق أحد من البلاط أن ينسى الأمير. ظل الرجال يلبسون الحداد إلى نهاية ١٨٨٢. أما السيدات المصاحبات للملكة فلم يصرح لهن بإرتداء الألوان الرمادية أو الكحلية إلا بعد عام ١٨٨٤. وظلت الوصيمات القرصيات الصلبة بالملكة يلبسون الحداد ملها. بينما ظل الخدم يلبسون الأسود لمدة ثمانية أعوام. أصدرت الملكة أوامرها بأن تظل أجنحة وندسور التي كان يشغلها زوجها كما كانت. قامت بختم الأبواب والأشياء الخاصة التي كان يستعملها، أو الأوراق التي كان يعدها، أو أعدها ومتعت الاقتراب من ملابس. بل يحكى البعض أن خادم الأمير الخاص ظل يعد يومياً إثناء الماء الساخن في حمام الأمير كالعادة، ويعد ملابس نومه على السرير، وقالوا أن الملكة كانت قبل أن توفى على الأوراق الهامة تنظر إلى مكان جلوس زوجها وتسال في هدوء إن كان يوافق عليها، وظلت تحفظ بالكوب الذي شرب منه

الأسرة الميكتورية
في مطلع الملكة



الأولى وعادت الهتافات. أشارت المرأة بيدها في وقار فهبات الضجة. أعلنت فيكتوريا «اليوم أعلن رسمياً ترشيحي لرئاسة الولايات المتحدة الأمريكية». ووقت القضاة احتراماً. وروما اندشت لجرأة هذه المرأة. بلد قام على عضلات ومغامرات الرجال. مسدسات وبنائق التهوير. كان طبيعياً أن يقتصر فيه حق التصويت على الرجل فما بالك بالترشيح للرئاسة. ظلت أمريكا في دهشة لمدة عامين من عام ١٨٧٠ إلى ١٨٧٢ موعد الانتخابات الجديدة لرئاسة الولايات المتحدة.

لمسة فيكتوريا مع التاريخ الأمريكي يتجاهلها عادة الأمريكيون برغم ما بها من مغامرة يحررها طموح على الطريقة الأمريكية. طموح مخلوط بدعوة اشتراكية، أو دعوة لتحرير النساء. تلفها رغبات متوهجة وأحياناً داعة. في وسط ضباب من عالم روحانيات الدجل تخفي دوافع من النصب والفش وزغبة جامحة للإثراء بعد مرحلة من الجوع والتشرد والمخاطرة. ولعل هذا الخلط في لمسة فيكتوريا هو الداعي لتجاهل التاريخ الأمريكي، أو على الأقل حركة التحرير النسائية الأمريكية لقصة طويلة هزت أمريكا بكاملها. ووصلت أوروبا طوال ربع قرن كامل.

الأصول الأسرية :

اسم أسرة فيكتوريا «كلافلان، والديها (CLAFLIN) و«بويك» ولد في

ثم صارت زوجة إمبراطور وحامية للفضيلة. وعلمها أيضاً لتليست روح كليوباترا كما صورها خيال العديد من الشعراء والأدباء، طموحة عند شكسبير، وتلب بالذلال عند برنارد شو، أو بطلنة قومية عند شوقي. فيكتوريا دار في خيالها كل ما يصلها بملكات الزمان الغابر والحاضر، من كليوباترا إلى ملكة زمانها وزمان أوروبا بكاملها. وزمان الاستعمار الإنجليزي، الملكة فيكتوريا. ولتترك إصدار الحكم عليها حتى الانتهاء من رواية قصتها.

في ٦ يونيو عام ١٨٧٢ كانت قاعة «كويرا» الواسعة في نيويورك تملج بألاف من البشر... رجال تتخللهم بشكل غير متوقع العديد من النساء، ويرفع الجميع الرايات وتصدر الحناجر كلمة واحدة «وود هول ... وود هول» تحدثت الهتافات متنادية «انضموا فيكتوريا وود هول، ساد الصمت في القاعة فقد أشرف عند مدخل القاعة زعيم هندي بصدر عار ورياش منموشة يصحبه رجال بثياب رسمية إلى مهد يتصدر وسط الصف الأول». هز الزعيم رأسه وفعل الجلوس على الأرض... ليس غريباً فقد كانت صاحبة الدعوى تنادي بالمساواة بين الرجل والمرأة، وبالمساواة بين الأبيض، والأصفر، والأسود.

رفع الستار ببطء وساد الصمت، ظهرت امرأة في الواجهة والثلاثين من العمر، تقف في شموخ، ترتدى سترة طويلة من الخمل الأسود وربطة عنق قرمزية وتطنطن من السنان مشدداً إلى الساق، يغشي نهايته عند القدم شعاع أبيض كزى الفرسان. زالت صدمة اللقاء

والشعاليين الذي يعرفون مهامهم من الطبقات الفقيرة. وكانت تقول أنه يجب جلد هؤلاء الدعاة الذين يتنادون بإعطاء حق التصويت للمرأة! كانت تمثل الرجعية في لمة توازنها مع نفسها ويكفي أنها كانت على قمة أكبر إمبراطورية استعمارية عرفها العالم. ويقولون أن فيكتوريا قد ارتدت شكلاً حزام العفة بعد موت زوجها الأكبر، وأنها في ذلك كانت تمشل نموج الحزام الحضاري المصطنع الذي أحاطت به إنجلترا العالم.

وكما أن الحزام يعمرون به العالم قد اكتشف وأنحل عن وسط العالم بثورات التحرر في القرن العشرين. فكذلك كشف لنا التاريخ أن حزام فيكتوريا لم يعمر بالعمة حول وسطها إلا شكلاً وحفاظاً فقط على التناقض بين حزامها الخاص وحزامها الاستعماري.

فيكتوريا الأمريكية

فيكتوريا وود هول (VICTORIA.WOODHULL) ... كانوا يسمونها في أمريكا «الفضيحة»، ظهرت أواخر القرن التاسع عشر، لعلمها أوزت لبرنارد شو بالصورة الواقعية لفتاته بالسة الزهور، «البراءة» في مسرحية بجماليون. فقد كتبها عام ١٩١٢، وعرفناها بعد فلمنة المسرحية باسم سيدتي الجميلة... ولعلها أيضاً تمجد صورة تيمودورا زوجة الإمبراطور جستيان. كانت تيمودورا ممثلة وداعرة

دائماً وراعيها في سكوت، واسكتلندي جيلي يتولى تقديم النبيذ. يليسون ملايس مذهبة وقرمزية في الشتاء، وبيضاء في الصيف، وأيديهم معقودة على أحزماتهم، ودقوهم تبوء عجيبة من شدة سوادها مع ملايسهم الناصعة البيضاء صيفاً. أما العاملون في القصر فكانت تختارهم من الشبان أو الشابات غير المتزوجين، وتلزم الوصيفات بأن يستقبلن الزوار من الرجال في قاعة الاستقبال فقط. كما منعت الرجال من التدخين في أي مكان قرائده، ومن يعمل في مكتبها عليه ألا يقدم إليها أوقافاً تناولها وهو يدخن، ولم تستثن من هذه القواعد سوى براون.

ورغم وحدتها أيام الشيفوخة إلا أنها كانت لا تسمح لأحد من عاملاتها بمضارعتها المألوفة إلا في العشاء. جعلت هذه القواعد الصارمة الجميع يعتبرون زيارة القصر وندسور شرفاً عظيماً لرؤية أم أوروبا، أو أرسلة وندسور وبلايسها السوداء الغالية الثمن، ولكن دون ذوق. غطاء رأسها مرصع بقطع من النجوم الماسية بدون تفسيق، والأناط التي تزين خصل شعرها، والصخور الصغيرة التي تتحلى بها تمثل العديد من أفراد أسرة كبرى ترمز لها هذه السيدة الواسعة والتي كان ذوايليبي يشعر أنه حقق ذاته وأهدافه من خلالها.

كان طبيعياً أن تردد فيكتوريا آراء رجعية تناسب سطوتها الاستعمارية. كانت تقول أن التعليم، وتقصيد التعليم المتحرر أفسد الطبقات العليا كما أنه حال دون تخريج الخدم الجيدين،

فيكتوريا المصمحة والانتخابات الأمريكية.





«ماساشوستس» عام ١٧٩٦. طويل رفيع أعور. بدا كحاح من الخامسة سيناريو خاص يعتبر مقدمة طبيعية لحياة الأسرة والأبنة فيكتوريا. اشتغل مقاصراً مستحقراً، وشغلاً في الحبس، سالماً أو مروض خيول، مزرع عمالات، نصلياً تخلص بأعوجيه من السجن وحيل المشتري، التقى بخادمة اسمها «روكسانا»، من أصل ألباني يهودي، وصلت جماعتها إلى أمريكا عام ١٧٠٠ واعتنقت المسيحية، وخالطت الدماء الهندية. تزوجها، وأنجبت روكسانا ثمانية أطفال.

سكنت أسرة بويك في قرية بولاية أوهايو. ذات صباح صرخت الأم في خيل معلقة أنها تليست روح العزراء ثم أصلت بعد ذلك أنها العزراء بنفسها والدة المسيح. تأتينا بعد تقراها بها الغيب، وتسنى الماضي، وعندما نفق تعود إلى واقعها البائس. ولدت ابنتها فيكتوريا في عام ١٨٢٨ وبعد أن رعت الدنيا، شاركت لبوئها واختارتها لطقش البرق من الطرافات بالشحادة أو النصب أو السرقه. وعندما وصلت فيكتوريا إلى سن السادسة أصابتها الحمى الفيضية التي أصابت أمها. أختها، تونيس، أصابتها أيضاً الحمى وصارت العائلة عائلة الغيب والنصب.

في اليوم الثاني لتأمين الأب على بيته أحرق الفقيه هرب الأب. جمعت الأم الأولاد والقيمت بعد عهدها حين. هناك بدت مواهب الصغيرة في الظهور، قراءة الغيب وإرشاد الناس إلى أماكن أضيائهم الخائنة، أو حيواناتهم الضالة. جمع «بويل» عائلة في منزل وعلق على بابها تونيس تكشف في المستقبل بدولاً واحد. كبرت الفئات، استمرحبتهم الولد إلى المسارح لتعريف الصغيرة لقراءة الغيب والكبيره تدبير مائدة الطعام، والزواج يختار بينهم. تزوجت الأخت الكبيرة لفكتوريا من حاكم تكساس، فقيمت طفلة. صار لها بيت جميل ولكنها كفيته قليلة فلا تال كانت لا تطيق الحياة الهادئة. هربت ولحقت بأسرتها البائسة. أخت أخرى أصعب بها صيدلي وطلب منها الزواج، استمرحتهم الأم لا تقيم القليلة بتكاملها مع الابنة، قبل الرجح فخرها ببيت. في يوم زفافه هود صديقه الطبيب «كانن» (CANNING, WOODHULL) الحفل وأصعب بالأخت الصغيرة فيكتوريا. كانت في الخامسة عشرة، تاجرة، جميلة، طلب يدها فقبلت. كان طبيباً مزعياً ناجحاً قال أن أسرته في نيويورك مثلك بيتاً كبيراً وثروة. تزوج الصديقي والطبيب الأختين وأقاما مع القليلة في منزل كبير. تحول البيت إلى جحيم بغضل

وفياً من قماش «التفتاء» الأسود ينتهي عند الرقية، وينقلون قنوشا وشهدوا من أسفل وحذاء أسود.. ملاحظ بوهيمية كانت ترتديها نساء حركة تحرير المرأة في أمريكا، صافعة نزلت على آل دوو هول. في عام ١٨٨٨ كانت المرأة التي تجرؤ على ارتداء هذا الزى وتحمل شعار حركة تحرير المرأة تطارد في الطريق من الرجال وكأنها عاهرة. وتقسع من السباب النوانة على السنة النساء المتلذبات... انتهت الأزمة الثانية أيضاً بأند برجوازي، صاحبت إحدى الحارات .. يالها من فكرة ساحرة، ابتكار رانج.

الشرة والنصب ..

أرادت فيكتوريا الهرب. أحت على زوجها بالهجرة إلى كاليفورنيا حيث يبحث المقامرون هناك عن الذهب. رغم حملها إلا أنها عدت بترك البيت. قبل الزوج وبدأت الرحلة الشاقة لمدة ثلاثة أشهر إلى سان فرانسيسكو، وضعت طفلها ووصلت إلى مدينة رعاة البقر ومراكز الطرافات، والطاقات الطائشة، والعصابات، وقطاع الطرق، وصالات القمار والشرب والمعاراة والاعتداء على الصغير والكبير. مارس الزوج مهنته كطبيب عديم مذهب وسط قوم يمتزجون إلى الأبد بضعف .. فشل وانصرف إلى الشراب.

بدأت فيكتوريا تبحث عن عمل، عملت خادمة في منزل مثقلة، ومن صحتها وصلت إلى المسرح. ولما كانت تموت قيدها في الجمال والخرف والابتدال قد طالها الرجال بعرض عامة، ثم بعرض خاصة. في سن العشرين أجبرت طفلاً وانصرافها عن البيت سقط ابنها من الشرفة، أصيب بألمه.... صارت علاقتها بزوجها شكيكة، تعرضت للمجيبين، وتضرع هو للإمداد على الشرير.

في ذات مساء عاودتها الرعدة الإلهامية، تصور أن أختها «تونيس» تناديها. تركت كل شيء الزوج، والأولاد، والعجيبين، ورحلت متوجهة إلى نيويورك، في محطة مدينة «أنديانا بولس» نزلت إلى الرصيف لتخفف من ملل الطريق. وجئت صدياً يحمل لافتة كتل عليها «أطلب مشورة الزبير هيرين كلاب فلان لعلاج الأمراض المزمنة» السرطانية بخمسة دولارات في ضيق سنترال، تعرف أيضاً على مستطيلك عند تونيس المتحررة، هورتل فيكتوريا إلى فندق سنترال واجتمع شمل القبيلة من جديد. بدأوا تنظيمياً جديداً، تونيس كانت

النجمة، خصصوا لها غرفتين في الفندق، واحدة لتكشف من المستقبل، والأخرى لاصطحاب الزبائن أصحاب المزاج الخاص. ويؤكد كثير من الزبائن والشهود بعد ذلك أن فيكتوريا شاركت أيضاً في العجيب بطريفة متحفنة وباختيار خاص. لم يحقق هذا العمل طموحات فيكتوريا فافترح عليها والدها أن تنظم مؤتمرات وتلقى الخطاب بما لديها من خبرة في الحياة وخبرة في مواجهة الجماهير كممثلة وراقصة. إلقاء الخطاب كان آنذاك وسيلة هامة من وسائل الإعلام تستطيع أن ترضى به هوايتها، وتستطيع من جانب آخر أن تجر رجل الزبائن إلى فندقيهم بطريفة متحضرة. ألفتعت فيكتوريا واختارت موضوعاً موفقاً تلقاه في خطبها .. الدفاع عن حقوق المرأة.

قضية حقوق المرأة في أمريكا كانت محدثة، بدأت عام ١٨٢٤ بإضراب عاملات النسيج. وفي عام ١٨٣٦ تكونت جمعيات نسائية عمالية، وفي عام ١٨٤٢ تكونت الجمعية النسائية لجمع التماس، بدأت فيكتوريا تدرس ما يدور حول حقوق المرأة ونقلت نشاط الأسرة بكاملها إلى «النيوي»، أظهرت براعة في استقطاب الجماهير حول دعوتها... نشطت أيضاً حركة أسرتها كل في دارلته، وجمعوها شرواً لا بأس بها، ولحق وبق فيكتوريا مع ابنته وأبنة القبيلة، وقبل أن يعيش معهم على الهامش.

بدأت المشاكل عندما تولى أحد مرضى شقيقه مدنى الطب. أرسلت لجنة تحقيق وفحصت الأمر. تحركت الأسرة بسرعة وعند المساء جمعوهم ورحلوا عن المدينة متجهين إلى «سنستات»، في ولاية «أوهايو» .. هناك استأنفوا النشاط وأصررت فيكتوريا على أن تقتصر فقط على قدرات أختها «تونيس» المؤكدة من مشاركة متواضعة من جانبها، دون تعريض أنفسهم لخطر قتل الآخرين بقدرات شقيقها المشكوك في أمره.

أصررت فيكتوريا في هذه المرحلة على الطلاق، لم يكن أمم الزوج إلا الغيول على أن يقبلوه في صحتهم دون إزعاج لأحد. قبلوا واستمرت القاطلة في نشاطها الثلاثي، وفي رعية راحة الزبائن، مؤتمرات فيكتوريا حول تحرير المرأة...

تكريبة مجيبة ... في نهاية مؤتمر من هذه المؤتمرات ألج رجل إلى الأربعين من عمره اسمه الكليويل «بلود» (BLOOD) الذي التعرف عليها عن قريب، وكان لقاء وجواب متبادل. تلقى جاد يناقش قضايا الشرير وكيفية تحقيق العدالة، يناقش الاشتراكية والدعوات

الإنجليزي، جـو مارتين، (JOHN MARTEN) فتزوجته وصارت من نساء الطبقة الواسعة الثراء، وتزوجت ألبينا، توبيس، فيفتكما في المضائق من ثرى آخر واستقر في إنجلترا. ولم يرد الزوج الإنجليزي المتيم فيكتوريا أن يحرما من الانضمام من مجتمعها الأمريكي بعد عشرين عاماً فذهب معها عام ١٨٩٢ إلى أمريكا وأقدمت من جديد لمحركة الرئاسة الأمريكية، وانفقت من مال زوجها الكثير ولكنها لم تحصل في النهاية على صوت واحد. وفي عام ١٨٩٧ مات زوجها وترك لها ثروة هائلة، أما هي فقد عمرت إلى سن ٩٩، وماتت في ١٩٢٧.

وساذاً يبقسى ؟

ل (برنارد شو) مسرحية ذات دلالة عميقة بعيدة، مسرحية "عربة العنقا"، كتبها عام ١٩٢٩ يصورها العنقا عام ١٩٢٦.

المسرحية تستعير في مغزى اسماء رومانية قديمة وتتحدث عن ضيق الهيئة الزوارية الخدمت الخاصة على كشت الشئون السياسية. تشنر وتنتظر الرد بعد الظهور. فاجئهم الملك بقلب عربة فقامهم فقد قرر الانتقال من العرش لابنه، وبالتالي سيصبح مواظاً من حقه تفرغ، وكووين قرر يعرف ويثق بأنه سيكون قويا في دارته (وينسون) وبالتالي سيستهي الأمير بأن يصبح ابنه ملكاً، ويصبح هو ولياً للوزراء، أي أنه سيحكم وابنه سيملك.

يأتي الحدث التالي مفاجأة صاعقة. لقد طلب سفير الولايات المتحدة الأمريكية من الملك أن تعهد الولايات المتحدة من إنجلترا لإعانة إمبراطورية (الرومانية) العظيمة. تقسيم المصالح.

سيصبح الملك إمبراطوراً، وتصبح السيطرة الأمريكية. إن كان الملك يجلس وزرائه بذلك... لقد قلب السفير الأمريكي عربة لنجاح الجميع.

نعمود قضية فيكتوريا للملكية، وفيكتوريا الجمهورية وصلتهما المسرحية. إن جوار حديث (وينسون) المبكر من القنابل والتطابق بين إنجلترا والولايات المتحدة رغم الفوارق البادية بين الملكية والجمهورية، وبالتالي اتفق المنهج الفيكتوري الإنجليزي والأميتوري الأمريكي، هناك خطة الطموح الموحد السامية للسيطرة والسيطرة على العالم تحت العلم الأمريكي.

هل استلهم (شو) مسرحيته من فيكتوريا المدنية بانفضية وفيكتوريا المستعرة بفضية ؟



لجميع على اختلاف الجنسيات والأقليات والمرأة، إلغاء العمارك، استقرار العملة، تأمين العمل للجميع، تأمين العائش للجميع، إصلاح السجن. إلغاء عقوبة الإعدام، النضال ضد وسائل الإهراق أو ما يشير الصراع الدولي أو الحروب، الانجذاب إلى تكوين حكومة عالمية تجمع شعوب الأرض جميعاً.

لم تتعم معركة فيكتوريا الجادة من ممارسة حياتها الخاصة بطريقتها. تقدم لها شاب صحفي يستجوبها. شاب وسيم وقعت في غرامه، فاستأذنت من زوجها، الشهم، في تطبيق مبادئ حرية العلاقة. وأذن لها...

وحينما بدأت الحركة الانتخابية بدأ معها تخلي عنها المليونير وفندرنلته، اضطرت إلى الاستانة والى ترك منزلها، والى رهن ممتلكاتها. ظلت تستمتع بسحر استقطاب الجماهير كخليفة وكاتبة من خلال جريدتها، لكن النصح ارتفعت درجته فقد طاردها شاب من جماعة الشباب المسيحي، يتهمها بممارسة الدعارة. قدمت للمحاكمة وقدمت ضدها عدة أدلة أدت إلى القبض عليها وإيداعها في وأختها وزوجها السجن.

دارت الحركة الانتخابية وهي في السجن وحصلت على ع بالمانة من مجموع الأصوات، وحصل منافسها جرات - جنرال سابق تولى رئاسة أمريكا مرتين من عام ١٨٧٨ إلى ١٨٧٦، على ٢٥ بالمانة. علقت قائلة بأن حصولها على ع بالمانة في بلد ذاهبون من الرجال فقط، شيء لم يكن يأمله أحد.

خرجت من السجن مهددة، أرادت أن تواصل حملتها ولكنها ضغفت فاختت سفينة ورحلت إلى إنجلترا. أثناء الرحلة طاردها رغباتها الخاصة، فطليبت الطلاق من زوجها وطلبت، وفي إنجلترا استقبلت بترحاب وتقبل لوجة الدعارة بين الإنجليز والنظام الأمريكي آنذاك، ولحماس النساء الإنجليزيات لدعوتها التحررية. أصبح بها أحد رجال البنوك

عالية لا يحترق فيها إحدى أدوات الإنتاج ... مجتمع يتخلص من الجريمة والحرب للصوص إلى الشكل الإنساني المثالي الذي لا يفرق بين جنس وآخر، أو لون وآخر أو رجل وامرأة، وجدت فيكتوريا في دعوتها عمدة أو تتخطى منسأ لدعوتها، استعدت بأرائه ووجدت منه التأييد لحملتها الناصية إلى أياحة العلاقة الجنسية تحقيقاً في رأيه لاجتماع منطقي.

ارتفع توزيع نيويورك تريبون، لمتابعة ما كتبه فيكتوريا بجراً. صارت تناقش مشاكل عملية ولصفا حيوية خاصة ما يتعلق منها بالنساء. أصبحت في نظر المرأة الأمريكية مثلاً، أو على الأقل أملاً لتحقيق حصولها على حقوقها. وفي ١ أبريل عام ١٨٧٠ كتبت في افتتاحية جريدة نيويورك هيرالد، تقول أن تحقيق الأمال بصورة عملية لا يتأتى إلا بشرط نفسية لرئاسة الولايات المتحدة ... دخلت في صراع عنيف استمداً الحركة الرئاسة التي ستحل بعد عامين. ارتفع عدد المستأمنين لخطتها من الله إلى ثلاثة، إلى ستة آلاف. ارتفعت حرارة

العداوة لدعوتها، أثاروا ماضيا وماضيا وأختها بممارسة الدعارة. التسلقت فيكتوريا الكثرة في خيت وكذا وأثارت قضية استغلال الرجل للمرأة في جارة الجنس. كشفت كثير ما تعرف، فهدمها بالقتل والتخريب الجريدة. أضافت نفسها جريدة خاصة باسم "وود هول اند كلافلاوس وكلي" (WOODHOLLS & CLIFLAUS) وجعلتها منبرها. تقبوا بالسيدة الشيطانة أو ملكة العدارات ... أرادت أن توسع دائرة نشاطاتها فافتتحت مع فيكتوريا أندراوس، على ضرورة توسيع دعوتها إلى العالمية.

قامت فيكتوريا بجولة في عدة مدن ودعت إلى ضرورة ترابط طبقة العمال، بل شرحت في جريدتها بيان "ماركس"، الشهم تخوف منها ماركس، نفسه في أوروبا وتقرأ من دعوتها واعتبرها تحريفاً واستغلالاً لدعوتها.

ردت عليه فيكتوريا مستنكرة تتهمه بأنه برجوازي صغير متعفن، رجل مثل كل الرجال يقار من كونها امرأة تبشر بحرية العلاقة بين الرجل والمرأة.

حازت اللحظة الحاصمة، في ربيع ١٨٧٢ دخلت فيكتوريا قاعة "اتحاد كوبر، في نيويورك وأعلنت وسط الهملاف، اليوم أعلن رسمياً ترشيحي لرئاسة الولايات المتحدة. توارحت ود الفعل بين جمهور صامت وجمهور مهل ... وسط العشة أعلنت برنامجه ... دستور جديد، تعديل الوثائق الوطنية، إعطاء حق الاقتراع

التي تنوح بها أوروبا لإعطاء المرأة حقوقها الانتخابية.

بدوء، كان متزوجاً وله أولاد. وزع وقتها بين نهار فيكتوريا، وليل لأسرتها وأخيراً استقر بنهاره وليله عند فيكتوريا. وقرروا قرارهم الخاص، القيام بجولة في أنحاء مدن الولايات يديون إلى دعوتهم ... رفع الظلم والاضطهاد، تطبيق العدالة والحرية والاشتراكية. قاموا بجولاتهم في عربة صنمها افراد القبيلة بأنفسهم. نائق نجم فيكتوريا فيما تلقى من خطب وتثيره حماس الجماهير... الرجال قبل النساء ... فغرت صورتها في نظرات الناس، عرفت فيكتوريا حاملة لواء حقوق المرأة وحقوق الإنسان، بعد أن كانت في صف كشتاوا لقلب فيكتوريا (الفضيحة)، وأختها توبيس. أخيراً طلق بلود زوجته وتزوج فيكتوريا، صار الحبيب والزوج ورفيق الكفاح، ورفض الزوج الجديد أن تصبح القاطنة أو جماعة كلاً فلان الزوج السابق لفكتوريا. الزوج الذي ظلت تحمل اسمه، وود هول ... وضاع المسكين في زحمة الحياة.

في نيويورك استأنفت النشاط مع أسرتها. استطاعت الأخت "توبيس"، صاحبة الخدرات الخاصة على كشت الغيب أو شفاها الخرج والجسد، أن تكسب أكثر رجال أمريكا شراً، اسمه فاندربول (VANDERBILT). مجوز في الخاصة والسبعين، شفي على يديها من صداع نصفي مزمن. أراد أن تصحبه بصفة دائمة وتشرف على علاجه. وانكثت من الصبية فدراها في وأختها فيكتوريا على تحريك سوق التجارة والمال والبورصة. بدأ حياة جديدة تحولت فيكتوريا وأختها بليونير أمريكا الأولى إلى عالم الريح بالملايين. كوشتا مع شركة مشتركة لم تفصلتا بنشاط خاص. تحدثت الصحف من نشاطهما، وصارت الأسرة المشرقة تتمتع أخيراً بمر لا تكن تحمل به.

الطموح الأكبر والسقوط :

في وسط النشاط التجاري لم تس فيكتوريا القضية التي كسبت بها شهرتها، قضية الحرية والعدالة وحقوق المرأة... ولنفوذها الحالي فتحت لها الصحف أبوابها. وأصبحت تكتب المقالات "نيويورك تريبون، جرى قلمها وأصبح له قراء، أراد أحد فلاسفة ذلك الزمان أو دعاء الحرية وميلى استغاث بيرك أندراوس، أن يتعرف عليه لتشاركه في دعوتها. كان في السبعين من العمر، يقن ٣٩ سنة، ويدعو إلى إلغاء الملكية الخاصة، وتكوين مجتمع اشتراكي، حكومة مثالية

عندما يغضب طه حسين

رجاء النقاش

كان طه حسين، يحلم بأن يكون
للأدب العربي نهضة كبرى تنقله
من حدوده القديمة وتنتقل به إلى
آفاق عصريّة جديدة متفتحة



■ ظهرت الجامعة المصرية إلى الوجود سنة ١٩٠٨، وكان تأسيسها قائماً على جهود شعبية، أما تمويلها فكان مستمداً من تبرعات قدمها عدد من الأمراء والأميرات وأسرّة محمد علي، كما شارك في تقديمها عدد من أثرياء مصر ولم يتردد كثيرون من المواطنين العاديين في تقديم مساهمات أخرى مختلفة. وقد بقيت الجامعة المصرية جامعة أهلية حتى سنة ١٩٢٥، حيث تحولت إلى جامعة حكومية رسمية. وقد حملت هذه الجامعة اسم «الجامعة المصرية»، ثم «جامعة فؤاد الأول»، وأخيراً أصبح اسمها «جامعة القاهرة»، وهو الاسم الذي تحملها الآن.

وعندما أصبحت جامعة القاهرة جامعة رسمية، كان من أهم كلياتها وأكثرها نشاطاً وبريقاً كلياتان أساسيتان هما: الآداب والحقوق. وكان نجم كلية الآداب الساطع هو الدكتور طه حسين الذي كان في ذلك الوقت في السادسة والثلاثين من عمره، فهو من مواليد ١٨٨٩، وكان قد عاد من أوروبا بعد أن نال درجة الدكتوراة من السوربون في دراسة له عن «ابن خلدون»، وهي الدراسة التي ترجمها إلى العربية الأستاذ محمد عبد الله عنان. وكان طه حسين يريد لكلية الآداب أن تكون مثل كليات جامعة «السوربون»، المضيئة المتألّنة، والمهروقة بحسن سمعتها العلمية والفكرية في العالم كله، ولذلك فقد أراد طه حسين لكلية الآداب أن تحتضن أذيع الشباب من طلاب مصر، فكان يسعى بنفسه لاكتشاف هؤلاء الشباب وإقناعهم بأن يدخلوا كلياته العزيزة عليه والحبّية إلى قلبه، وهي كلية الآداب، وكان اهتمام طه حسين متصرفاً في البداية إلى قسم «اللغة العربية»، على وجه الخصوص، فقد كان يريد أن يجعل من هذا القسم أداة لتحرير الأدب العربي من حالة الجمود التي كان يعاني منها، وكان يسعى إلى إدخال المناهج الأوروبية الحديثة إلى ميدان الدراسات الأدبية العربية، وبذلك يمكن للأدب العربي أن يخرج من إطار المناهج التقليدية. وقد لاذ طه حسين إلى اختيار بعض الأساتذة المتميزين وإقناعهم بالعمل في كلية الآداب، فهو الذي اختار أحمد أمين الذي كان قاضياً شريعياً، واقنعه بأن يصبح أستاذاً بكلية

الآداب، فخلع الشيخ أحمد أمين العمامة ولبس الطريوش، وأصبح من أهم أساتذة كلية الآداب في تاريخها منذ نشأتها إلى الآن.

على أن طه حسين كان يعد بصيرته إلى أبعد من ذلك، فأخذ يسعى إلى أن يضم إلى كليته عدداً من الطلبة المتميزين، أملاً في أن يصبح هؤلاء بعد سنوات قليلة جيلاً جديداً مؤثراً على ساحة البحث والدراسة والتفكير في الأدب العربي وفي الثقافة العربية بصورة عامة. وكان طه حسين، وهو في عزّ نضجه وقوته آنذاك، يحلم بأن يكون للأدب العربي نهضة كبرى تنقله من حدوده القديمة وتنتقل به إلى آفاق عصريّة جديدة متفتحة.

وكان في مقدمة التلاميذ الذين وقع عليهم اختيار طه حسين ليكونوا طلاباً في كلية الآداب تلميذه «محمد عبد الحميد مندور» (١٩٠٧ - ١٩٦٥) الذي أصبح فيما بعد مشهوراً باسم محمد مندور. وكان مندور في البداية راغباً في دراسة القانون بكلية الحقوق، فمستقبل هذه الكلية من الناحية العملية كان واضحاً ومضموناً، حيث كان أهل القانون يحتلون منذ بداية القرن الماضي مكانة عالية لا تدانيها مكانة أخرى، وكانت وظيفة «وكيل النيابة» أو «وكيل النائب العام» من أكثر الوظائف احتراماً ومهابة في مجتمع مصر، في الريف والمدن على السواء، وكان هناك وظيفة أخرى قريبة منها هي وظيفة «معاون إدارة»، وكانت أيضاً من الوظائف المحترمة والتي لها مهابة كبيرة، والوظيفتان معاً لا يستطيع أن يشغل أي واحدة منها إلا من كان متخرجاً من كلية الحقوق. أما بالنسبة للحياة العامة فقد كان نجوم المجتمع من الوزراء والسفراء وأعضاء المجالس النيابية والصحفيين والمحامين وسائر كبار موظفي الدولة هم في معظمهم من خريجي الحقوق ومنهم: أحمد لطفى السيد ومحمد حسين هيكل ومؤلف «حياة محمد»، ورواية «زينب» وغيرهما من الأوصال التاريخية والأدبية المهمة، ومن خريجي الحقوق أيضاً: أحمد شوقي وتوفيق الحكيم ويحيى حقي. ولذلك فقد كان مندور بعد أن اتقى من دراسته الثانوية يحلم في ذلك الوقت، في أوائل العشرينيات

لويس عوض يقول في مذكراته: لولا مندور كنت دخلت باريس حماراً وخسر منها حماراً



بعض علوم القانون والاقتصاد والاجتماع والفلسفة، وأهم الملاحظات على ما رآه مندور عن بعثته أن مندور قد عاد إلى مصر بعد تسع سنوات قضاها في باريس دون أن يبال درجة الدكتوراة، وهذه ملاحظة سلبية، ومهما قال مندور في تقريره فإنه يلام عليها دون شك. ومندور يذكرنا هنا بما حدث لتوفيق الحكيم الذي ذهب هو أيضاً إلى باريس سنة ١٩٢٥ ليحصل على الدكتوراة في الحقوق. ولكنه عاد من باريس بعد حوالي ثلاث سنوات دون أن يحصل على أية شهادة قانونية، لأنه غرق في الحياة الفنية والشعاعية

الباريسية، ولم يكن يعمل أصلاً إلى دراسة القانون، وقد عير عن ذلك بصراحة في رسالة بعث بها إلى زميل له في كلية الحقوق هو محمود كامل الذي أصبح فيما بعد كاتباً معروفاً، وفي هذه الرسالة يقول توفيق الحكيم: «سافرت إلى باريس لدراسة الحقوق والحقوق بخصيص إلى الجائلي، وعلم الله وميع إخواني أن نفسي لا تميل إلى ذلك، وأنى استل الرجل الذي يتنقذ المعلومات القانونية الجافة، بل على القضاة إنشي أسكن إلى الخيال، وأطمئن إلى جماله وتصوراته».

هذا ما كتبه توفيق الحكيم في رسالته من باريس، والنص الكامل للرسالة منشور في كتاب «يوميات محام» لأستاذ محمود كامل، صفحة ١١٠.

مندور يشبه توفيق الحكيم في أنها معاً ذهبا إلى باريس للحصول على الدكتوراة، وعادا إلى مصر بدون هذه الدكتوراة، ولكن هناك فرقاً مهماً بين مندور وتوفيق الحكيم، فقد ذهب مندور إلى باريس في بعثة رسمية على نفقة الدولة، أما توفيق الحكيم فقد ذهب إلى باريس على نفقته الخاصة، ولم يكن للدولة علاقة مادية أو معنوية به، كما أن مندور قضى في باريس تسع سنوات، إلى ١٩٣٠، أما توفيق الحكيم فقد قضى في باريس حوالي ثلاث سنوات فقط.

لا شك أن عودة مندور من باريس بعد تسع سنوات دون أن يحصل على الدكتوراة قد أغضب أستاذة هه حسين أشد الغضب، وانتهى الأمر بأن انقلب الأستاذ من موقف الرعاية والتشجيع

ثم يواصل مندور تذكيراته في حديثه عن بعثته فيقول: «أذكر أن أبي أعطاني ثلاثة جتيهات ذهبية لاستعين بها وقت الحاجة، وقد أنفقتها في إحدى ساعات «الزقة»، وما كان أكثرها في باريس».

ثم يقول مندور: «كان الهدف من بعثتي في باريس الحصول على ليسانس من «السوربون»، في الآداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن، مع حضور محاضرات المستشرقين وتحضير دكتوراة في الآداب العربية مع أحد هؤلاء المستشرقين، وقد نفذت الجزء الأول في تسع سنوات من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٣٩، ولكنني لم أقدم الدكتوراة، لأن الجو السياسي كان قد اكشر في أوروبا عقب فشل رئيس الوزراء البريطاني تشرشل في مفاوضاته المشهورة مع الزعيم الألماني هتلر، وكان هناك إحساس عام بأن الحرب قائمة لا محالة، ففضلت العودة إلى مصر دون أن أكتب رسالة الدكتوراة، وإن كنت قد حصلت من السوربون بالإضافة إلى الليسانس، على دبلوم في القانون والاقتصاد السياسي والتشريع المالي، بعد دراسة مفيدة جداً لطلاب الاقتصاد وفلسفته وللنظم الضريبية والتشريع المالي، كما أنها أكبر الأثر في تكويني الثقافي، كما كنت أحضر محاضرات الفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس بالإضافة إلى البرامج الأخرى المقررة».

لذلك هي رواية مندور عن بعثته ودراسته في باريس، ومن هذه الرواية الشخصية نفسها نستطيع أن نخرج بعدة نتائج وملاحظات، منها أن «مندور» أقام مدة طويلة في باريس بلغت تسع سنوات، بينما التشابي في عصر مندور وبعد عصره لا تزيد مدة البعثة عن أربع سنوات أو خمس، ومن ذلك أيضاً أن «مندور» قد توسع توسعاً شديداً غير ما أوفى في دراساته بجامعة «السوربون»، فدرس اللغات القديمة ومنها اللاتينية واليونانية، ودرس الآداب القديمة والحديثة، كما درس

من القرن الماضي، أن يكون نجماً في نجوم القانون والحياة العامة، ولم يكن شيء من ذلك ليحقق له إلا عن طريق «كلية الحقوق»، ففي تلك الأيام كانت كلية الحقوق هي كلية المجد والبريق والمستقبل اللامع المضمون.

على أن طه حسين كان يرى في محمد مندور الطالب الصغير المثقو الذي لم يكن قد وصل بعد إلى العشرين من عمره موهبة أدبية وعقلية فيها ذكاء ونهوض وفصول كبير إلى المعرفة، واستحسنه طه حسين أن يصنع هذا التلميذ المثقو من أجل عيون الدراسة القانونية والوجاهة الاجتماعية، ولذلك بدّل طه حسين جهداً كبيراً في إقناع مندور بأن يكون طالباً في كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ولم يصانع طه حسين أن يبقى مندور طالباً في كلية الحقوق أيضاً، مادام مصمماً على دراسة القانون، وكانت الجامعة لا تمنح في آن جميع الطلاب على كليتين في وقت واحد مادام قادراً على ذلك، وقد وافق مندور على ما طلبه طه حسين، ودرس في كليتين معاً، وكان ترتيبه الأول عند التخرج في كلية الآداب، كما كان ترتيبه الخامس على كلية الحقوق، مما يدل على صحة تقديرات طه حسين، لأن تفوق مندور في «الآداب» كان سابقاً ومتقدماً على تفوقه في القانون.

وفي سنة ١٩٣٠ اختير مندور عضواً في بعثة الآداب إلى فرنسا، ويروى مندور ما حدث بعد ذلك في حديثه المتعمق مع النقاد المعروف في دار النشر في كتاب «عصر أدياء يتحدرون...» يقول مندور:

«في الكشف الطبي سقطت في النظر، وكانت هذه النتيجة تكفي بعثتي إلى باريس، لولا أن تدخل أستاذي طه حسين، فذهب بنفسه لمقابلة محمد حلمي عيسى وزير المعارف آنذاك، وقرأ على الوزير فقرات من بحث كتبتّه عن الشاعر «أرميا» الذي الرمة، وأعجب، وأوزير بالبحث، فقال له الدكتور طه حسين إن صاحب هذا البحث هو الذي أسقطوه في الكشف الطبي وكانه يعمل خفياً. وكتب حلمي عيسى مذكرته فيها إلى مجلس الوزراء الذي وافق على إعطائي من الكشف الطبي، وبدأت أهبط للسفر».

لتلميذه إلى موقف آخر يريد فيه الأستاذ أن يعاقب تلميذه معاقبة عنيفة قاسية. لقد قام طه حسين بتسهيل أمور البعثة إلى باريس لتلميذه مندور، وسعى بنفسه إلى التغلب على المشاكل التي وقعت في طريق هذه البعثة، وكان ينتظر بعد ذلك من تلميذه أن يعود إلى مصر وقد حصل على الدكتوراة يبحث مهم ومحترم كان المفروض أن يقدمه إلى جامعة السوربون، أما أن يقتضى مندور تسع سنوات في باريس دون أن يحصل على الدكتوراة فقد كان ذلك من الأمور غير المقبولة من جانب طه حسين.

ولا تفسير لما حدث لشندور، وهو المعروف بالجدية والاجتهاد والاستقامة والنموذج المبكر، سوى أنه قد فرق في حياة باريس الثقافية والأدبية والفكرية، وأصيب بما يمكن أن نسميه باسم «شهوة المعرفة»، فأراد أن يتعلم أشياء كثيرة متنوعة، ولم يستطع أن يكبح جماح عقله الذي يريد أن يعرف كل شيء، وأن يتعلم كل صغيرة وكبيرة، ويندلك بحجج عن «التشكيك»، وهو أمر ضروري ومطلوب في مجال العلم، وإلا ضاع الوقت القاحل للدارس والباحث، وانتست أمامه مسارب العلوم المختلفة، وأفلتت الأمور من بين يديه.

ويبدو أن هذا هو ما حدث بالضبط لشندور، وساعدنا على القول بذلك ما كتبه الدكتور لويس عوض في كتاب جميل ومعروف له هو «مذكرات طالب بعثة»، وقد كتب الدكتور لويس هذا الكتاب بالعامية المصرية، تطبيقاً لنظريته القديمة الخاطلة التي كان يدعو إليها في فترة من فترات حياته الأدبية، وهي نظرية الدعوة إلى الكتابة «بالعامية المصرية» بدلاً من الفصحى. ولم تنجح دعوة لويس عوض ولا الدعوات المشابهة لها، ولم يعد لويس عوض نفسه إلى الكتابة بالعامية بعد كتابه «مذكرات طالب بعثة»، ولدى بهما هنا من هذا الكتاب هو ما كتبه لويس عوض عن زيارته إلى باريس، حيث تعرف لأول مرة على محمد مندور، وعن طريق مندور تعرف على فخايا باريس الثقافية والفنية في وقت قصير.



لساذاً غضب طه حسين على مندور وحاربه وأرغمه على الاستقالة من الجامعة؟

طلب مني أحمد أمين لتفريغ أزمتي المالية أن أترجم إلى العربية كتاب «دفاع عن الأدب» لجورج ديهايل الذي نشرته «لجنة التأليف والترجمة والنشر» التي كان يرأسها أحمد أمين نفسه، كما ضمنني إلى عضوية هذه اللجنة، وترجمت لها كتاباً آخر هو «من الحكيم القديم إلى المواطن الحديث» وهو كتاب بالغ المنفع والعمق، ألّفه أريمة من أساتذة السوربون، وتحدث كل واحد منهم عن المثل الأعلى الذي ساد العالم المتحضر في فترة من فترات التاريخ. وكلفني أساتذتي أحمد أمين بترجمة كتاب ثالث بناء على اقتراح من مستشار الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، وكان وقتها هو الأستاذ سامع الحصري،

سوى أربع ساعات خالية طلب مني أن أدرس فيها الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، بالرغم من أنني عاقد من فرنسا لا من إنجلترا. وفي السنة الدراسية التالية ١٩٤٠ - ١٩٤١، تمكن أحمد أمين من أن يحصل لي على بضع ساعات في الترجمة من الفرنسية إلى العربية بقسم اللغة الفرنسية، ثم افتتحت كلية الآداب المعهد العالي للصحافة فقصت فيه بتدريس الترجمة من الفرنسية إلى العربية وتدرّس اللغة الفرنسية وأدبها، حتى إذا كان عام ١٩٤٢، وتقرر إنشاء جامعة الإسكندرية اتخذ مديرها وقتذاك الدكتور حسين قراراً بتعييني بها أستاذاً وزمائتي العالدين من فرنسا دون دكتوراة!! ويواصل مندور حديثه من معاناته بعد عودته من بعثته الفرنسية دون أن يحصل على الدكتوراه فيقول:

«كان استاذي أحمد أمين في تلك الفترة يلح عليّ في أن أجتهد في كتابة رسالة الدكتوراه، وأن أفرغ منها بأسرع ما أستطيع لتصحيح وضعي في الجامعة، وكان للمعلوما في ذلك بمدالة القاضي ونزاهة العالم وعطف الأستاذ المحب لتلميذه، واقتصر أن يكون موضوع رسالتي هو «تيارات النقد العربي في القرن الرابع الهجري، فوافقت على الصور ولام أحمد أمين بإجرائات التسجيل والإشراف على هذا البحث، وتفرغت أنا للعمل الجاد، فأنهيت من كتابة الرسالة في مدة تسعة أشهر، وهي نفسها كتابي الكبير الذي أعيد طبعه عدة مرات، وأصبح مرجعاً جامعياً من المراجع الأساسية لدارسي الأدب العربي، خاصة في جامعاتنا العربية كلها، ويكاد يجرع الخمر الوحيدة في هذا الحقل البكر، والأساس الذي يحمله هذا الكتاب هو: النقد المنهجي عند العرب».



ويواصل مندور حديثه فيقول: «ويظهر أن تحضيرتي الدكتوراه بإشراف أحمد أمين قد أثار سخط استاذي الدكتور طه حسين، فأعلن أكثر من مرة أنه لن يعترف به حين الدكتوراه، ورفض أن يشترك في اللجنة التي تناقش الرسالة، غير أني وجدت في رعايته أحمد أمين لي بعض ما عوضني عن «إعراض الدكتور طه حسين عني، فقد

ويقول لويس عوض تعليقاً على ما استفاد من مندور أنه قد وفر عليه قراءة كتابين أو ثلاثة كتب على الأقل من باريس، ثم يقول لويس عوض بالنص:

«الحق يقال، أنه من غير مندور كنت دخلت فرنسا حماراً وخرجت منها حماراً».

هذه العبارة الطريفة التي يقولها لويس عوض عن لقائه مع مندور في باريس حوالي سنة ١٩٣٧ تدل دلالة قاطعة على أن مندور كان قد درس الكثير، وتعلم أفضل ما يمكن أن يتعلمه طالب لهم عاشق للمعرفة من باريس والثقافة الفرنسية. وكانت معلوماته واسعة ودقيقة وممتعة، وقد ذهل لويس عوض من ضخمة مندور وعزارة علمه، وحدة ذكائه عندما التقى به لأول مرة، وعبر لويس عوض عن فنتته بمندور تعبيراً صريحاً خفيف الظل كما رأينا في العبارة السابقة التي سجل فيها فضل مندور عليه.

ولكن هل يمكن لشئ من هذا كله أن يفخر مندور عند طه حسين؟ كلا بالطبع، فطه حسين يريد من تلميذه النابغ أن يحصل على شهادة «الدكتوراه»، حتى يكون مؤهلاً لتدريس في الجامعة، ولكن مندور لم يحصل على الدكتوراه فحل عليه غضب شديد من طه حسين.

ونعود إلى رواية مندور لما حدث له بعد عودته باريس حيث قال في حديثه مع الأدباء النقاد فؤاد دواره في كتابه «عشرة أدياء نتحدثون»:

«عدت إلى مصر من باريس في يوليو سنة ١٩٣٦، وكان المرحوم أحمد أمين قد أصبح عميداً لكلية الآداب، ولم أكن قد حصلت على الدكتوراه في الأدب العربي، فرفض الدكتور طه حسين الذي كان مسئولاً عن قسم اللغة العربية أن أقوم بالتدريس في هذا القسم، ورفض قسم اللغات القديمة أن أقوم بالتدريس فيه لأنني تعلمت هذه اللغات على أساس المنهج الفرنسي، ورئيس القسم إنجليزي ويقوم بتدريس اللغات القديمة على أساس المنهج الإنجليزي. أما رئيس قسم اللغة الفرنسية فقال إن لديه من الأساتذة الفرنسيين ما يكفيهم وزيادة. وهكذا جئني بعد العودة من باريس ضائعاً ضائعاً إلى أدياء علمي مولد الشك، ولم يجد أحمد أمين، عميد الكلية، أمامه

فتمت فعلاً بترجمة الكتاب وهو «تاريخ إعلان حقوق الإنسان» للفيلسوف الفرنسي «البيروني»، وفي الوقت نفسه كان أحمد أمين طبيب الله شراه قد فتح أمامي باب الكتابة في مجلة «الثقافة»، التي كانت تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر، وكان أحمد أمين يرأس تحريرها، فبدأت القصي جهد ممكن استجابة لهذا المعطف الأبوي الكريم، وكُتبت سلسلتين من المقالات الأولى بعنوان «نماذج بشرية»، والأخرى بعنوان «في الميزان» «الجديد»، وبالرغم من أن مكافأة هذه المقالات كانت ضئيلة لا تتجاوز جنبها ونصف جنيه للمقال، فإنها أسهمت في حل الكثير من مشاكل المالية، كما أنها ساهمت أكبر المساهمة في بناء اسمي العام عند جبهة القراء، ولقيت إلى اسمي الأنظار بشكل واضح، كان له أكبر الأثر في مستقبلتي بعد ذلك، ويبدو أن كل ذلك قد زاد من ضغط أساتذتي طه حسين ضدي، فبعد أن حصلت على الدكتوراه سنة ١٩٤٢ بمرتبة الشرف الممتازة، تقدمت إلى الدكتور طه حسين بوصفي مديراً لجامعة الإسكندرية التي أعمل بها طالباً ترقياً في وظيفة مدير «د» من الدرجة الرابعة، فإذا به يرفض طلبتي ويحدثني عن رفضه بصورة ذهلتني إلى التفكير الجدي في الاستقالة من الجامعة، رغم أني كنت قد ارتقت إلى التدريس في كلية الآداب بالإسكندرية، والتي عهدت لي بتدريس الأدب العربي والنقد القديم والحديث، بل وتدرّس علم «العروض» أيضاً، وهو العلم الخاص بأوزان الشعر العربي».

«حدثت هذه الأزمة بيني وبين جامعة الإسكندرية عام ١٩٤٤ في منتصف السنة الدراسية، ولم أكن قد أكملت في عملي بالجامعة عامين بعد، فبدأت أبحث لنفسني عن عمل آخر قبل أن يهتم الصدام بيني وبين جامعة الإسكندرية وعلى رأسها أساتذتي طه حسين، ولم ألبث أن قدمت استقالتي بأعمال».

تلك هي القصة التي يرويها مندور عن خلافاته مع طه حسين، وقد حرصت على أن أقل تفصيلاً على لسان مندور نفسه، من الملاحظات أن مندور في روايته لما حدث له لم يقل كلمة سوء واحدة ضد أساتذته طه حسين، ما يدل على أن مندور كان يحترم طه حسين ويعرف قدره

النتائج الظاهرة، ولم يستطع مندور أن يدفع استأذنه إلى إعادة النظر في موقفه، ومن الواضح أن تحول مندور إلى الاعتماد على أستاذ آخر هو أحمد أمين قد أشعل مزيداً من غضب أبي حسين، فكتب له حسين: وقد سجل مندور هذه الملاحظة في حديثه عما جرى له، ولا شك أن غضب أبي حسين على مندور بهذه الصورة المستمرة والعنيدة، يكشف عن الجانب الحاد الغريب من شخصية أبي حسين العظيمة، وهذا الجانب يمكن أن يكون مصدر نقد واجترار حتى عند أنصاره من حسين والمحبين له والعارفين بفضلهم، فقد كانت حربه ضد مندور مثيرة فيها، وكان جديراً بغضب حسين أن يخلف مندور، أو على الأقل أن يترك مندور في حاله، بحيث يستطيع التماس الأمن من أساتذة آخرين بعد أن فقد عون أبي حسين.

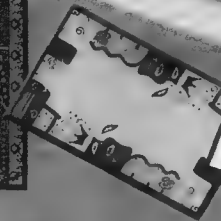
لم يكن مندور قادراً على تحمل غضب بله حسين أو حمل العقاب المستمر الذي يتعرض له على يد أستاذه، فاستقال من الجامعة، كما سبقت الإشارة إلى ذلك. وأثبت مندور، خارج الجامعة أنه صاحب كفاية عالية، وإن كان قد تعلم في باريس علماً واسعاً لا يمكن أن يحصل عليه إلا الأصدقاء وأصحاب المزمز والإرادة القوية من المثقفين وعلماء المعرفة. وقد أصبح مندور قوة فكرية وأدبية وسياسية عميقة التأثير على الرأي العام في الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي وحتى وفاته سنة ١٩٦٥ وهو في الثامنة والخمسين، حيث إن من مؤاميد ١٩٠٧، وإذا كانت الجامعة قد خسرت باستقالة مندور أستاذاً نابياً، فقد تحول هذا الأستاذ إلى جامعة شعبية كبيرة، من طريق المقالات والدراسات والمحاضرات الحرة والكتب الكثيرة التي أصدرها في حياته القصيرة الخصبية والمليئة بالحيات النضالية. على أن مندور لم ينقطع نهائياً عن التدريس، فقد أتبع له أن يقوم بالتدريس في معهد الفنون المسرحية، وفي معهد الدراسات العربية التابع للجامعة العربية، وقد تخرج على يد مندور كثيرون من التلاميذ، كما استطاع من خلال عمله الاستاذ أن يقدم العديد من الدراسات الأدبية المهمة، وخاصة من الأدب العربي، شعرًا ونثرًا، وسرًا، في القرن العشرين. ■

ويحرص على ألا يقول عنه شيئاً جارحاً، رغم ما ناله على يدي طه حسين من أذى صريح وواضح. والحقائق أن مندور كان صاحب شخصية تتميز بالموضوعية والتعفف والتفكير المنطقي الواضح الدقيق البعيد عن الانفعالات العسرية، ويمكننا أن نقول عن مندور إنه كان مثلاً لمثلقف الحضرة المصرية الذي يرفض الدخول في شخصيات شخصية، وكل ما كتبه مندور في النقد الأدبي والفكر السياسي يثبت ذلك ويؤكد.

وتعود إلى موقف طه حسين الذي تخلّى عن تلميذه بعد أن كان قد تبناه وادّفع عنه وأرسله في بعثة إلى باريس سنة ١٩٣٠، وتحت تأثير غضب طه حسين على تلميذه، فإن مندور قد أثر الاستقالة من الجامعة ليحصل للصحافة والحياة السياسية العامة، وقد حقق مندور في هذه المرحلة الجديدة من حياته نجاحاً كبيراً واسماً عوضاً عن خسارته لعمله الذي كان يحبه ويرتاض إليه في الجامعة. ويبقى أمانة غضب طه حسين الذي يحتاج إلى بعض التفسير. وإلى هذا الغضب كان مصدره عدم حصول مندور على الدكتوراة من باريس بعد أن قضى في بعثته الفريسية ست سنوات متوالية، وهذا خطأ لا شك فيه من جانب مندور، ومهما كانت التفسيرات التي قدمها فينبول لهذا الخطأ قوية، فإن الخطأ يبدو قائماً ويلازم مندور لوماً صريحاً. وهذا الخطأ من جانب مندور هو أمر لا يمكن أن يتقبله طه حسين، ولعله قد تصور أن مندور كان يقضي وقته في باريس فريسة للبحث والتهو والتعب واضاعة الوقت، وأنه انصرف عن علماء البحث والدراسة إلى الاستمتاع ببياني باريس وإغراءاتها الكثيرة. وعندما عاد مندور إلى مصر، أخذ طه حسين يعاقبه، بل وبطاردته عن عمله الجامعي، في القاهرة مرة وفي الإسكندرية مرة، ويبدو أن طه حسين كان قد اقتنع اقتناعاً كاملاً بأن مندور لم يكن جاداً في ميدان العلم، فصرف النظر عن معاونته لتلميذه وشيخه، واستسلم طه حسين لفكرة ثابتة عنده دون أن يبرحها أو يخفف منها، فقد تخذله تلميذه النابغ وخيب ما كان عليه طه حسين من آمال، ولا شك أن طه حسين كان لديه ما يدبر له غضبه من



مساحة لكل الأرض، مساحة لكل الأهل



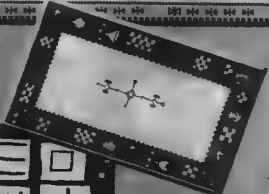
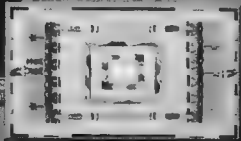
دواسات حمام



متواجد في مراكز بيع بواقى



قطع موكيت



سجاد أطفال



مدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

لكة صلي

www.mmcargel.com



نرام الرمل ١٩٣٠

بالصورة التي رسمها الأدب للإسكندرية كما يمكن أن نرى في القرنين من الفصل روايات نجيب محفوظ، «الرجل الذي فقد ظله» و«ميرامار».

في عام ١٩٢٢ كانت الإسكندرية مدينة يسكنها حوالي أربعمائة ألف، وتعتبر إلى حد كبير مدينة أوروبية مثل نابولي ومرسيليا. ولقد كان مينائها العظيم يركضون الطرابيش، وقد قام فورستر في نفس العام الذي وضع فيه اللصمات النهائية لكتاب (A passage to India) بنشر دليل مثير للمشاعر وفريد في نوعه للأثار القديمة غير المرئية في الإسكندرية. ولأن ما يبقى أي أثر لها، بل إن الشرء

إنهم يسمونها منارة على الشاطئ المصري
في كتابه الجديد يمزج ميشيل هاج بين الذكرى والسيرة الذاتية والسياسة والدراسات الثقافية في عمل نثري واضح لا تنوب فيه. وهو ينتج أثر قنسططين كفافى Constantine Cavafy وى. م فورستر Forster ولورانس داريل Lowrance Durrell، وذلك من أجل إعادة بناء تلك المدينة التي كانت ذات يوم مدينة مفتوحة متعددة الثقافات غادها معظم الأجانب في عهد ناصر. ولقد دعى بعضهم بعد ذلك إلى العودة تحت حكم السادات لكن لم يأت إلا القليل منهم.
وفي كل الأحوال كان الإفلاس قد لحق

السابق أكثر مما تجنيه لما هي عليه الآن. ولا يوجد بالمدينة معالم سياحية تقليدية على الرغم من أن هناك مبنى جديدا طموحا تشترك في رعايته اليونانكو يحاول إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة. وقد أسس الإسكندر الأكبر هذه المدينة عام ٣٣١ قبل الميلاد، وكان يحتاج إلى عاصمة جديدة للإمبراطوريته الممتدة، ورأى الإسكندر هوميروس في منامه، كما يدعى بلوتارك، وقلده إلى موقع المدينة وهو برز صيق يقل عرضه عن ميل بين البحر وبحيرة مرويود. ولقد بنيت الإسكندرية فوق طمس أثيوبيا التي دفعه النيل. وتتميز هوميروس، تضطجع المدينة حيث تصطب الأمواج بصوت مرتفع

■ الإسكندرية مدينة متوسطة يسكنها خمسة ملايين نسمة، كثير منهم يتكسون في أحياء فقيرة. واستمرت الإسكندرية في جذب الانتباه نتيجة لما كانت عليه في

Alexandria: City of Memory
(الإسكندرية مدينة الذكرى)
Michael Haag
Yale University Press, 368PP., \$35.00

بتعليق مع:
New York Review of Books

ترجمة: إيمان عبد العزيز

عندما كانت الإسكندرية



ايما كوهين على الشاطئ

يتفحصون المتحف الإضريقي الروماني الخلاب المنيء بالتماثيل النصفية والعملات وأشكال التراكوتا والمومياء والتماثيل الصغيرة الرائعة، بأنهم سوف يكتشفون أنهم لم يتركوا إلا مع ذكرى مهمة للمسفرة.. ولا ينبغي (للزائر) أن يزور المجموعة حتى يتعلم أو يتخيل شيئاً عن المدينة القديمة.. عندئذ قد يجد أن مساحة من الماضي قد استعادت الحياة.

ربما كانت الرأس الرخامية الرائعة التي يقال إنها كليوباترا إحدى تلك المسحات، إن الدقن والشفاه محفورة في الحنايات واضحة تدل على القوة والجمبة تبرز للأمام وتشك في الصكرة التقليدية من جمال كليوباترا الرابع.

لازال الدليل، الذي يحمل عنواناً كاملاً هو «الإسكندرية: تاريخ ودليل»، يبهج الزوار كما يبهج المسافرين بالخيال الذين يفتنهم نثره الذي أعيد نشره عدة مرات. وعندما يأخذنا في جولة خلال الشوارع المكتظة بالحوائط المتهاكة التي تتبع الأحنذية رديئة الصنع والملابس الرخيصة، فإنه بذلك يستحضر مدينة الأشباح الضميمة بشوارعها الرخامية القديمة التي تصطف الأعمدة الرخامية على جانبيها.

لقد كتب فورستر يقول «من هذه البقعة التي لا ملاح لها، محطة الترام الأخيرة المتربة. يبرز فجأة هيكل ضخم، القيساريوم.

ويحذر فورستر هؤلاء الذين

حضارة مدينته المختارة.. ولقد أضاف فورستر في الدليل الذي وضعه ترجمة مبكرة لتقصيدة كمامي التي تلازمه «تخلي الله عن أنطونيوس» التي تشير إلى النذير الذي أعلن عن سقوط مارك أنطونيوس:

عند منتصف الليل
عندما نسمع الجوقة الخفية هجأة
تزمع مع موسيقى خلابة
.....
أنصت إلى الجوقة الغامضة
وادمع إلى حفلة وداعها
وداع الإسكندرية
إنك تخسر
لقد كان كفافى شاعر الهزيمة والإخفاق

يستطيع أن يعرف يقيين أين كانت، وربما تكون قد غرقت في البحر أو تكون قد طمرت تحت خطوط الترام التي تصدر صريراً أو القصور المنهارة التي هجرت طويلاً واكتست بالعشب الذي بقي منذ زيارات فورستر.

وإذا من كسريه أن المسلسلين البطلميين اللتين بقيتا واحدة مقبولة والأخرى مستبدلة ثم نقلهما إلى نيويورك ولندن على التوالي حيث لا زالتا تعرفان بمسلسلي كليوباترا، وعندهما كان فورستر يعيش في الإسكندرية كان من أسباب ابتهاجه صداقته لقنمطنطيس كفافى، الشاعر اليوناني العظيم الذي نقل، كما يقول فورستر ببشكلى مؤثر

ايما كوهين على الشاطئ

”أوروبية“... مدينة الذكرى

يبدأ متحف فورست غير المرئي ويتنوع باستخدام الماضي، الحاضر، والحطوبتي وكليبواترا، والسيرابيوم، والمعبد الوثني البطلمى، والموزية (أحد إلهات تسمع شقيقات بحمين الغناء والتشعر والعزفون والعلوم، ومجمع فكرى عظيم يمكن مضاهاته بجامعة، ويشمل التحف أيضاً الفيصريون والذين بدأ كليبواترا في بنائه تكريماً لأطوليون وأكله أوكاتافوس تكريماً لنفسه، وقبر الإسكندر (يقال أن اجتماعه وضع مثل جثمان لينين في تابوت رجاى)، وكذلك المنارة الشهيرة (أحدى عجائب الدنيا السبع في العالم القديم - وبالطبع المكتبة العظيمة ببلطيقا التي بلغت أربعة آلاف وأتى تحفظ التراث العرفى والأدبى للإغريق، والتي اجتذبت اعظم الشعراء والفلاسفة في العصر الهلنستى إلى البيئة الكورموبوليتانية للإسكندرية، ومن بين هؤلاء أغريق ورومان وفيلسوفين ومصورين ويهود متخذين للسماط الهلنستية (أي مشبهين).

يقول هاج: ليس شمة شيء ماثى هناك تقريباً، فهو يلقى الجانب الأيمن من المدينة موجوداً، لفتت ملائمة للده.

لقد ترك الجحش للحلم، والحلم يصعب بالنسبة لبعض شيئاً ملموساً وحسوساً وأقياً، وعلى العكس من روما أو أثينا بأثارها الماثية فإن الإسكندرية حبيمية تماماً، إنها تبقى خبرة مستمدة من الكتب حتى هذا اليوم.

لقد كانت الإسكندرية في نيويورك العالم القديم، كانت أول مدينة عالمية كما يقول ستراوب Strabo، فاشعة الشراء، وأعظم سوق تجارى في العالم المأهول، وهي محدودة بأمان مثل مانهاتن، وخوارعها متعة محظوظ مستقيمة لا الحراف فيها تقاطع في زوايا قائمة مع طرق واسعة، كما أنها مثل نيويورك نقطة التقاء أعراق ولغات وثقافات وأديان مختلفة، وهي مثل نيويورك مدينة بها أكثر كثافة سكانية لليهود في العالم، لقد بدأ الشتات اليهودي في الإسكندرية قبل تدمير القدس بزمان طويل، ولدت تزدت على ثلاثة قرون، كانت الإسكندرية أكثر المدن ثقافة في ذلك العهد Hellas وفيه هيلاس Hellas الباردة صامدة بالأسطورة المصرية، وبالنسبة للآخرين يمكن أن يقال إن الخمس قد أصبحت متضررة مع أنها كما لم تفعل إلا هي مكان آخر، هنا قام سبعم من الحكماء اليهود بترجمة العهد القديم إلى اليونانية بأمر أحد الملوك البطلماء، وكانوا

يقومون بالترجمة في نفس الوقت كل معزّل في صومعته، وقيل إن كل الترجمات السبعين تطابقت بإعجاز وأنها بالتالى موافقة من الله.

لقد عاش هنا الفيلسوف اليهودي فيلو الإغريقية بألفة الشراء عن فلسفة أسفار موسى القديمة لكثافي معنون «من العبرانيين عام ٥٠ ميلادية، واحد من هؤلاء اليهود المتخذين للسمات الهلنستية،

مصور وشاعر، عدا ورام للقرص عادل مثل أنديميون لاثنيس ابن انطونيوس

من أسرة عزيزة على العهد اليهودي ولكنه لم يجد على أي من هذه الصفات لقد وجد فيه ميذا اللذة وقنون الكسندر عابداً مجتهداً



تعتبر المدن المفتوحة أصل المجتمعات المنتجة. ومع ذلك لم تكن الإسكندرية دائماً مكاناً للتسامح، فكثيراً ما كان الإغريق واليهود يهاجم بعضهم البعض بقسوة. لقد استشهد المؤرخ اليهودي جوزيفوس فلافيوس Josephus Flavius بالإمبراطور كلاوديوس Claudius الذي حث يهود الإسكندرية على ألا يكونوا يهذه القسوة في إبادتهم للأثلية الأخرى، رغم أنه كان من نواحي أخرى مؤاليا لليهود. كما تراس فيلو في كبره وهما يهودي إلى روما ينشأد كالبجولا بال جدوى أن يضع حداً للهجمات الإغريقية وتم يطلب الإمبراطور سوى معرفة السبب في أنهم لا يمدون له كاله.

تفوق الإسكندرية أنثيون أيضاً في الإنجازات الفكرية والعلمية، فقد اخترع أرشميدس وقاص الماء الذي ظل يسحب الماء من النيل. كما بين فليطس أن المعرفة ليست الجبرافيا فقط بل كثير من المعارف الأخرى يمكن اشتقاقها بالأساليب العقلية.

كما أن هيبسيكلي Hysicles قسم دائرة البروج إلى ٣٦٠ درجة. وسبق أرساركوس Aristarchus كوبرنيقوس بجموالى ١٨٠٠ عام. قام إريوس ثينيس Eratos Thenes بحساب قطر الأرض. كانت المدينة القديمة مليئة بالقصور الفخمة والمساح وجولات الألعاب

الرياضية. أما الطريق الرئيسى الممتد من الشرق إلى الغرب، فكان يقطع المدينة من بوابة الشمس إلى بوابة القمر وكان مضطرباً بالرخام الأبيض الذي يحتمل أن يكون قد تم استيراده من كراتة بطلانيا. ولقد قال الفاتح العربي عمرو بن العاص سنة ٦٤٤ عندما دخل المدينة كان يحجب عينيه بسبب كل هذا الرخام. ولقد تدهورت الإسكندرية تحت الحكم العربى ولم يجد نابليون هناك إلا قرية صيد صغيرة. أما المدينة الحديثة فقد ظهرت للوجود في القرن التاسع عشر تحت حكم محمد علي، وهو مفار من أصل البناي أصبح خديوى مصر المستقل عاملياً عن المملطان العثمانى في اسطنبول. ولقد دعا القاولين الأجانب للاستقرار في المدينة ولقد لهم أراضى منازلهم ومتمزعاتهم وأماكن العبادة والممارس. وقد استجاب لدعوتهم كما يجبروا هاج كل من الإشرقي والإيطاليين والفرنسيين والإنجليز وعدد قليل من الأمريكيين وكثير من اليهود الشرقيين من شمال أفريقيا والشرق الأوسط. ولقد وصل فاكري Thackeray سنة ١٨٤٤ مستعداً للاستلام لفقوش الشرق إلى أنه وجد مدينة أكثر شهرة ببلطيقوس.

كتب هاج يقول إن قبلًا من المواطنين الجدد أصبحوا ترويجياً أناساً بالى الشراء باعتبارهم بأرواث فطن ورجال بنوك وبسامرة بورصة ورجال صناعة. وبمعهم رفعه نابليون الثالث أو إمبراطور النمسا والمجر إلى طبقة النبلاء، ولقد قام مهندسهم ومعمارهم بتصميم وبناء الطرق الرئيسية. وهذا قبل المدينة بطول خط حديث ذي متزناات جميلة (كلها تقريباً اختفت بعد ذلك). ومنطقة قلب المدينة التجارى التي أصبحت في الوقت الحالى مهدمة ومتهالكة. وقد كامة طريق ساحلى طوله عشرة أميال يمتد من حصن قاينباي (جزيرة فارس السابعة) إلى ابى قير حيث كان نابليون يتدبير الأسطول الفرنسى في معركة النيل. وكان شارع روسيتي Rosette يمتد عبر المدينة بمحاذاة حدود طريق كانوبى. ومن الممكن رؤيته في صورة جوية من عام ١٩٢٢، وهي واحدة من الصور النادرة والزائدة عام. اشتمل كتاب هاج على نسخة منها. لقد كان شارع روسيتي هو الطريق العام للشرعى إلى الإسكندرية. ولقد أعيد تسميته باسم شارع فواد بعد ذلك ثم في النهاية في ظل حكم ناصر سمي باسم شارع الحرية.

كانت الإسكندرية هي نيويورك العالم القديم.

كانت فاشحة الشراء. وأعظم سوق تجارى في العالم، كما أنها مثل نيويورك نقطة التقاء أعراق ولغات وثقافات وأديان مختلفة.

كانت الجماعة الأجنبية فيما بين عامى ١٨٥٠ و ١٩٥٠ تضم عدداً كبيراً من المشهورين غريبين الألقاب. من هذه الشخصيات الأمريكية البدينية أفا بورجر فنتله، أحد أحد ملوك الجيوب في الغرب الأوسط الأمريكى، وهي منقبة أوبرا مدربة غيرت اسمها الأول إلى عابدة وكانت تدير عبر المدينة في عربة كبيرة مفتوحة وهي تقضى الحان فاجريه. شخصية أخرى هي جورج نيلكن والدبرج وهو روماني يحمل اسماً سويدياً وكان يتولى منصب ضابط في الجيش الأرجنتيني كما أنه مواطن أمريكي وقام بإصدار صحيفة فرنسية، ويرغم أنه يهودي فقد كان ذا مكانة رفيعة في الكنيسة اليونانية البدينية. وكانت المجموعات الغريبة الأجنبية تشمل إلى تدعيم الحركات القومية (اليمنية) انتطرفة في بلادها الأم. وهكذا ففي العشرينيات من القرن العشرين ساند اليونانيون في الإسكندرية الشفريوس فينيزيولوس Eleftherios Venizelos ومجلته المسماة الفكرية، وأينوا استعادة الإمبراطورية البيزنطية من طريق تفضيل الحدود اليونانية داخل الأناضول التركية. ولقد قدم أحد أرواث القطن اليونانيون لبده القديمة سفينة حربية كاملة التجهيز من أجل هذا الغرض. وبواسطة المساعدات المالية من الإسكندرية القوية اليونان على غزو تركيا عام ١٩٢٠ في حملة عسكرية مشنومة أسفرت عن ترحيل مليون يوناني من الأناضول وترحيل عدد مائال من الأتراك من اليونان.

من ناحية أخرى، كان الإيطاليون في الإسكندرية يصنعون الفاضلين في إيطاليا، ولقد أنشوا على علم ألبانيا، وكانوا يلبسون أوداماً وبناتهم القمصان السوداء. وكان روفولف هيس Rudolf Hess الذي أصبح فيما بعد نائب الفوهرر فى ألمانيا النازية قد ولد في الإسكندرية ونشأ فيها. ولقد كتب إلى أمه في الإسكندرية من سجنه في برلين بعد الحرب يقول بأنها من جهة ذلك المروعة في حديقتنا على حافة الصحراء... وعلى الرغم من أن القليل من يهود الإسكندرية كانوا صاهيناً إلى الألفا انتهى بهم الأمر إلى الترحيب بالزعيم الصهيونى حاييم وايزمان الذي أقام في القصر الفخم للبارون فيلكس دى ميناس عندما مر بمصر في طريقه من فلسطين وأثاليا. ولقد قام فيلكس ابن ميناس بتحويل عمليات تهرب



قنصل بطرس كمامي



كمامي القنصل - مسدوق فوسر



فندق مرميتل - ميدان سعد زغلول



خمس شهي

كان رودولف هيس نائب هتلر قد ولد في الإسكندرية ونشأ فيها.

ولقد كتب إلى أمه في الإسكندرية من سجنه في برلين يقول: «يا لها من جنة تلك الموجودة في حديقةنا على حافة الصحراء،

تحيةة من لويس داريل



سرج المصوب



وسط المدينة (المنشأة)

المنطارين



تفوق الإسكندريون أيضاً في الإنجازات التقنية والعلمية. فقد

اخترع أرشيميدس رفاص الماء الذي ظل يسحب الماء من النيل.. كما بين إقليدس أن المعرفة، يمكن اشتقاقها بالأساليب العقلية

المهاجرين اليهود غير الشرعيين إلى فلسطين.

بالطبع كانت هناك أعداد كبيرة من المهاجرين الأوروبيين من الشرائع العليا والدنيا من المنطقة المتوسطة، من الصاعقة وصانعي السماعات والحياطيين والحلاقين والبنائين (إيطاليين غالباً) والتجارين والنذائين وأصحاب المتاجر واليكانيكيين والجزائريين والخبارين والعجائين والسقا وجراس أكثر بيوث الدعاة غرابية في البلاد المتوسطة. وعند نهاية القرن التاسع عشر كانت الإسكندرية تترنح، الإسكندرية التي كان يبدو أنها تجسد أحلام الأثد جموعاً لأصحاب الفتاتازيا الجنسية الميكثورية، جنة عدن المخلقة حيث تتاح مختلف أشكال اللذات الجنسية كما يقول لورنس دويل (Lawrence Durrell) ومع ذلك كان هناك حوالي ٣٠٠٠ يوناني و ٢٠٠٠٠ إيطالي و ١٥٠٠ يهودي يشكلون أقل من ربع السكان، أما المسلمون فكانوا حوالي نصف مليون. وكثير من الأجانب كانوا قانونياً لا يحملون الجنسية، وفي أوقات أكثر تساهلاً قبل الحرب العالمية الأولى لم يكن هذا غالباً يشكل عائقاً.

في حين أنه كان بإمكان الجماعات المختلفة أن تتردى العرب فقد كانت تلك الجماعات متصاحبة تجاه بعضها البعض، ربما مع استثناء واحد هو البريطانيون الحاكمون، طبقاً لما يقوله رولاند ستورس Ronald Storer الحاكم المصري للقسطنطينية المستقبل المرموق. لقد كتب يقول إن زوجات الموظفين البريطانيين في مصر كان عليهم أن يشهدوا أنفسهم بالعمى والتصميم قبل أن يضحوا بسماعة واحدة أو ساتين بعد الظهر في زيارة قصيرة للسيدات الوطنيات اللاتي كن يشكل عام أعرق محمداً وأشد تهديداً وأرفع ثقافة وأرقى هنداماً وأبهى طمعة منهن.



كان أعضاء الجماعات الأجنبية المولودين في مصر من يونانيين وإيطاليين وروس ورومانيين يتلقون تعليمهم في الخارج إن كان ذلك في مقهورهم. وكثير منهم كان يتحدث أربع أو خمس لغات بطلاقة، وقليل منهم كان يتكلم الفرنسية إلى الدرجة التي يهتم بها بالسياسة المحلية. كان مصر ترعى بعض النزعاة القومية المتخبطة. وكان هؤلاء ويؤيدون

الثنين من السياسيين، سعد زغلول والنحاس باشا، اللذين قدما رؤية لمصر كبلد علماني متعدد الثقافات. وكان الصور السكندري البارز محمد ناجي الذي درس في إيطاليا نصيراً بغيراً لسعد زغلول كما يخبرنا حاج. لقد تأثر عمله الرئيسي بمدرسة الإسكندرية المستوحى من لوحة رفايللي الجمية في الفاتيكان، وبخصائص مثل الإسكندريسات كاترين وأرميسيم شخصية فيلسوف العربي ابن رشد في قرطبة وطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٢) المعروف بأنه أبو الأدب المصري الحديث، وتحيط بهم شخصية فيلسوفين كفاي وعد آخر من الإسكندريين ذوي الميراث الأجني.



لقد شارك الإسكندريون من أصل أجنبي. وكثير منهم من الجيل الثالث أو الرابع من المواطنين - في هذه الرؤية الكوزموبوليتانية للمدينة، وهي التي قصيها ووضع قهرها لأول مرة إيفارستو بيريكيا Evaresto Bericcia، وهو شخص إيطالي المولد. أسس الترفيق الإغريقي الروماني وعمل كمدير له لفترة طويلة. ولقد تحدث من أن Alexandria of Egypt. لقد كانت الإسكندرية عالماً في ذاته.

استمرت الهجرة من العراق وسوريا وفلسطين حتى الحرب العالمية الثانية، واستمرت كذلك حتى خلال الحرب العالمية الثانية، ولكنها توقفت بشكل محزن بعد الهجوم الإنجليزي الفرنسي الإسرائيلي المشترك على عبيد الناصرة عام ١٩٤٦. وبعد حرب فلسطين، رحل جميع المواطنين الأجانب تقريباً. أولى الأتيا قليلاً من الاهتمام للأغلبية الضعيفة من الإسكندريين غير الأوروبيين أو للمواطنين الأوروبيين الأقل ثراء. ولم يكن كتابه متصفاً ولا ذرياً في خواطره الأدبية لذلك فريما كان يشبه الوصف القصصى للطبقة العليا في نيويورك في تسعينيات القرن التاسع عشر. إنه يخبرنا أكثر مما نريد أن نعرفه، حفلات المسرح، حفلات الشاي، حفلات السيد في المستعفات المجاورة وحفلات القرية. وهو يتكلم أيضاً عن الملك الصغير فيقرب سبيط الطالع الذي لا زال ضيقاً، والذي كان هو نفسه ألبانياً يتكرر في رى مصرى. وهؤلاء

يخدمون المؤلف ميشيل حاج جيداً كخلفية لشهود العييين، وهم الكتاب الثلاثة في المدينة: فيلسوفين كفاي، ي. م. فورستر ولورنس دويل. ولقد كتب هؤلاء عن شخصيات من التاريخ القديمة والمعاصر والأفريقيين والأوروبيين.

توجد بالفعل أعمال شاملة إلى حد ما حول الجماعات الأجنبية في الإسكندرية، بما في ذلك كثير من المفكرات الشخصية الصديقية. ومن بين أكثرها حداثة يعتبر كتاب أندريه اكيمان (Andre Aciman) out of Egypt أحد أفضل هذه الأعمال. وهو من قصص البطولات العائلية، شتى بالأفان، ولان، وبود، مرح وساخر، كما إنه يعامل أبناء البلد الأصليين كأكثر مجرد طهية وخلاصات. ولقد اكتشف حاج مصادر جديدة هامة تشمل أوراقاً لميشور داسبريوتش ريتونو Asper Yeates Brinton وهو قانسو أمريكي مخاف من فلالته. عمل لمدة سنوات كقاضي ورئيس المحكمة المختلطة في الإسكندرية، وهي المحكمة التي أعطت في ظل قانون الاختيازات الأجنبية العثماني الأجانب إغفاء من المشو أمام الحاكم الوطني. وكان الأجانب وترفهم والمحكم يشئون أمام القضاء الخاص بالحكام المختلطة الذي يعمل فيه أوروبيون وقليل من السادة الشرقيين المتفرجين (اسمها WOGS بلجة مكتب المستعمرات).

بعد الهجرة العتبات الأولى أصبح البريطانيون تدريجياً يشعرون بعدم الارتياح تجاه الحاكم المختلطة وأعلنوا في مؤتمر فرساي لتسليم بأن هذه الحاكم يتعذر تبريرها أخلاقياً. (كان السبب غير المعلن وراء ذلك هو الخوف من أن المواطنين الأجانب المشتكين في دعاوى قضائية وطنية مصرية سوف يتم حمايتهم من خلال حوض قضاء أجنبي في صراع وطني). ومن المواقفات أنه في سنوات انحصار الحكم البريطاني كان القوميون غير راغبين في انتهاء الحاكم المختلطة. وربما كانوا خائفين من أن إغفاء الحاكم المختلطة لن يعمل سوى زيادة سلطة بريطانية وتوحدوا على النظام القانوني. كان كفاي هو الوحيد من بين شهود حواج الأوروبيين الثلاثة الذين يعتبر من مؤيدي الإسكندرية. ولقد عاش هناك حتى موته بمرمان في الحلق عن سبعين عاماً. إن كلمة وثابة حياته في شقة صغيرة في النور الأعلى من بيت يدعى جنتا، كما كتب الجدد ترمزاً عن سعادته، كما كتب

جوزيف برودسكي Joseph Brodsky. لقد كان كفاي شاعر المدينة الحديثة العظيم كما كان كاليماخوس Callimachus شاعر المدينة القديمة العظيم. وكما يقول كاتب سيرته الذاتية روبرت ليدل Robert Liddell لم يكن كفاي يتكلم العربية وكان يتكلم اليونانية بلكنة إنجليزية.

ولم يكن لديه اهتمام كبير بمصر القديمة قبل البطالة وكان يقول: «أنا لا أقدم تلك الأشياء الضخمة الساكنة، ولقد أخير الشاعر اليوناني سيفيرس Sefers بأنه ليس إغريقيا بل إنه هليلتي. فإفاته سيفيرس مسروراً على هذه الملاحظة وكفاي هو مؤلفه الأبيات الشعرية التي يتم اختيارها كثيراً:

تخبر نفسك: سوف أرحل إلى أرض أخرى ويحار آخر إلى مدينة أحب من هذه بكثير استطعت أن تكون دائماً أو أمليت أن أكون لا أرض جديدة يا صاحبي ولا بحر جديد فإفادته ستبتلع وهي نفس الشوارع سوف تهيم بلا نهاية



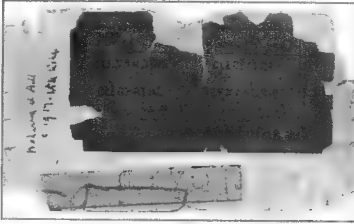
كان هذا هو الحال بالنسبة لفورستر ودرايل. لقد تبنيتهم المدينة لسنوات، بعد أن حلوا بوقت طويل، وتلقوا ضامنين لتنفذوا الطاغى. لقد وصل ي. م. فورستر عام ١٩١٥ كمتطوع في الصليب الأحمر وكان قد حصل على الشهرة بالفضل من روياساتسه (Arrom with a View) و (Hawards end) (Where Angels) و (Fear to Tread). ولقد التحق بالصليب الأحمر ليتجنب التجنيد الإلزامي، وكان فورستر مثل الكثير من أصدقائه في حضارة. وكان فورستر قد انتهى لثوته من روياساتسه (Maurice) التي لم يتمكن من نشرها كما يقول هو «حتى موتى أو نهاية إنجلترا، وذلك بسبب ما لجنتها الضخمة لحب مثلي.

كانت وظيفة فورستري في الإسكندرية في القراءة



على الرغم من أن القليل من يهود الإسكندرية كانوا صهيانية إلا أن الألاف انتهى بهم الأمر إلى الترحيل بالزعيم الصهيوني حايم وايمان الذي أقام في قصر فخم عندما مر بمصر في طريقه من فلسطين وإليها

تذكيره درام



على جزء من أفضل قطع النثر لفورستر بالإضافة إلى براعة في الفصاحة الفنية مثل تلك التي لا يستطيع إلا رولان دو موهييه عظيمة أن يتمتع منها)، كما تعرف دوريل على أصدقاء كفافى القدامى، وكان يقوم بإدارة مكتب الطلومات البريطاني، لم تكن هذه الوظيفة تتطلب براعة فائقة أو استعقاف الوقت كله. لقد تركت له كثيرًا من الوقت للاستمتاع بالحياة مع أصدقائه - وكان العديد منهم من أصدقاء كفافى - والجموع الأوروبية للأفريقية، وزياراته القسط ورجال البنوك.

وكان يذهب مع هؤلاء في رحلات صيد، وهي الخبرة التي وصفها مؤرخًا في رواية الإسكندرانية (The Alexandria Quartet).

كان دوريل يعتبر أن سناء الإسكندرانية من أجل سناء العالم (سوف يتزوج اثنتان منهم فيما بعد)، وكان يهذى في حديثه منهن بطريقته المستفحة غير المحتشمة. إن جمال أولئك النساء يكمن في انخفاض مستوى كلاكهن. إن الأمر يبدو كما لو كانت تمارس الحب مع كريمة شاتيه، وهي خطاب إلى هنري ميلر يقول إنهن هناك من هو أجمل ولا أكثر خواء من الفتاة الإسكندرانية. إن خواصهن نفسهن صناع. تخيل إنك تمارس الحب مع فراخ.

عند نهاية الحرب غادر المدينة إلى جزيرة مويكنايز وبربرس في صحبة أيف كوهين وهي امرأة يهودية إسكندرانية شابة عصابية جدًا، إنها شخصية جوستين في كتابه الأعلى ميميا «روايات الإسكندرانية»، وليست مثل الإطلاق شخصًا ذا مستوى

أصدقائه، ولم يكن هذا يسبب له أية مشكلة في الإسكندرانية، أما في أثينا فكان لا يزال يسبب مشاكل. لقد تم الاعتراف بكفافى كشاعر عظيم في لندن قبل أثينا حيث تم إلغاء محاضرة حول شعره كان سيلقيها أحد أصدقائه وذلك بسبب سمعته السيئة.

بعد أن قابل فورستر كفافى بولقت قصير اكتشف الجنس لأول مرة في حياته، وكان عمره وقتها سبعة وثلاثين عامًا. لقد وقع عمق وبأس في حب محصل تذاكر ترام شاب، وظل يشعر لمدة شهران للحظة قادمة، وعندما جابت لم تكن لا ساهرة ولا جذيرة بالأزواء كما يقول هاج. لقد غير اللقاء حياته للأبد.

ومات المحصل الشاب بعد رحيل فورستر من الإسكندرانية عام ١٩١٩ بصدمة سنوات فقط، وظل فورستر يتردده طوال حياته. في مراجعة لكتاب (Pharillon) في ملحق التاييمز الأدبي، كتب جون مديلتون John Middleton يقول «لقد وجد السيد فورستر في الإسكندرانية وطنًا روحياً».

بعد ذلك الواحد وثلاثين عامًا وجد لورانس دارول، وهو شاعر مغرب وصديق حميم لهنري ميلر، نفسه في عزلة في مصر أثناء الحرب العالمية الثانية. كان كفافى في توفي عنقل. وكان دارول يحيا في كورفو Corfu وفي اثنية لمدة أتم وامت بجلاء من اليونان في اللحظة الأخيرة بواسطة سفينة حربية بريطانية. وباستخدام دليل فورستر طاف دوريل بالإسكندرانية في ألقاهما (دليل فورستر هو عمل فني صغير، فهو يحتوى

للمجنود الجرحى وكتابة خطاباتهم. وقد وجد ثلاثة زملاء سابقين في الكلية الملكية، جامعة كامبريدج، رولين (الذي أصبح مدير رولين فيما بعد) وفيرنس رئيس الصحافة العسكرية والرقابة البريدية، وجورج فالاس بولوس أحد أوائل الذين ترجموا أعمال كفافى إلى الإنجليزية، وجورج أثنوبولوس الفلسطيني الذي قام فيما بعد بتأليف كتاب (The Arab Awakening) ومؤلفه كانوا أصدقاء لكفافى وغالبًا ما كانوا يلتقون في منزله للحديث عن الشعر وعن ماضى الإسكندرانية. وكما قال جاستون زانغري فيما بعد، وهو أحد رجال الأدب الشباب، فإن الحديث كان يدور عن «الإسكندرانية ليس من جديد بل استمرارًا لما كان في الماضي».

أي شخص من هؤلاء الثلاثة يمكن أن يكون قد اصططح فورستر في زيارة لكفافى في شقته في ١٠ شارع لبوس. ويصرف شارع لبوس أيضًا بشوارع كلاسوس، في المواجهة توجد مستشفى بالقرب من الزاوية شمة كنيسة يونانية أرثوذكسية، «أين يمكن أن تعيش على نحو أفضل؟» يقول كفافى «في الطابق الأسفل يقدم بيت العناية للمم، وهناك الكنيسة التي تقطر الخطايا، وهنا توجد المستشفى حيث نموت». من المحصل أن يكون فورستر قد قابل كفافى لأول مرة في الشارع، ربما في شارع مسالا المؤدى إلى الجامعة البيساردو المظلمة لست كفافى، وهو اللقاء الذي وصفه فورستر في كتاب (A Novelists Sketchbook of Alexandria Through the Ages).

يقول فورستر «الخبرة المبهجة لبعض الذين يسمعون اسمهم ينطلق به بلهجة قاطمة ومع ذلك تأملية. لهجة لا يبدو أنها تتوابع رداً يظهر التقدير اللائق لحقيقة الشخصية الفريدة. لقد استداروا رؤوا سيدا يونانيًا يرتدى قبعة من القش يلف بدون حركة على الإطلاق منذ زاوية متجاذلة للبشر».

أدخل فورستر شعر كفافى إلى العرب حيث أثار إعجاب ت. س. إليوت وآخرين. وعندما كان يشعر بالوحدة كان يبحث في الشوارع في شياخ صغير، وفي الجانب الأيسر من شارع سويس الجاوي كانت المؤسسات الإثنا عشرن الضنون كل ليلة، أما الجانب الأيمن من الشارع من الشوارع فكان محجوزًا للدارعين من التذكور. وكان كفافى يتبادل بحرية شعره المثلى مع

ذكاء منخفض. ولقد أصبحت زوجته الثانية ثم رحلت منه مثل زوجته الأولى. وقد خصص داريل الجزء الأول من الروايات لها، إلى أيف، تلك التذكيرات عن المدينة التي ولدت بها. وكانت زوجته الثالثة كلود من أصل يهودي إسكندراني (أيضًا)، وقد ماتت بعد زواجهما بسنوات قليلة.

لقد بقي سحر الإسكندرانية الشيطانية في عقل داريل لسنوات. إننى التذكر بضع أمسيات طويلة معه في قبرص سنة ١٩٥٥ عندما تحدثت عن أشياء قليلة أخرى. في عام ١٩٥٤ أصبح موظف طباعة في الحكومة الاستعمارية البريطانية في نيفوسيا. لقد كان لديه مع ذلك قليل من الأوهام من قدرة بريطانيا على أن تواصل تقدمها إلى الجزيرة. وما يمكن تفهمه أنه استقال من الوظيفة عام ١٩٥٦. كان كتابه (Bitter Lemons) حول جبرته في قبرص، ملهما للثوى المتصارعة والمتخلفة في الجزيرة، كما أن الكتاب كتب بألفة بأسلوبه الشعرى الشرى.

مع نشر كتاب جوستين Justine أصبح دوريل بين عشية وضحاها واحدًا من الروائيين الذين يحظون بالثناء على نطاق واسع في أوروبا وأمريكا، وهي سمة تميزت عن نشر المجلدات الثلاثة الباقية من «رواية الإسكندرانية» وبالتار Baldhazar، وزيوتن الجبل Mount Olive وسليا Clea. لقد تعاملت تلك الروايات مع نفس الأحداث التي تعاملت معها «جوستين»، ولكن من وجهة نظر أخرى. كان التركيز طوال هذه الروايات على الحياة الريفية في الإسكندرانية، والفكرة الرئيسية هي (هم الحب المصري، والشخصيات غريبة كما كانت عندما كان دوريل يعيش في الإسكندرانية).

ومع أن ت. س. إليوت رحب ذات مرة بدوريل بوصفه الكاتب الإنجليزي الجديد الذي منحه الأمل بالتمتع باستقبال الرواية الشريفة إلى أعماله المتميزة أطول قليلاً من أعمال فورستر وكفافى، لقد استرسل نشر داريل للنمق والمباح فيه في المحاكمة الساخرة، ولقد طال النقاش حول مقدار ما أمكنه أن يلتقطه من الحياة الإسكندرانية وهل فقد الكثير.

لقد قال داريل أحد أصدقاء كفافى ذات مرة، في الإسكندرانية ذمة شيء من الماضي يعود في كل لحظة، ولكنها لحظة من مدينة مقفولة. ■

لقد تم الاعتراف بكفافى

كشاعر عظيم في لندن قبل أثينا حيث تم إلغاء محاضرة حول شعره كان سيلقيها أحد أصدقائه وذلك بسبب سمعته السيئة

جامع سيدى جابر



كثيفة سبل مابل

مع نشر كتاب جوستين أصبح دوريل

بين عشية وضحاها واحداً من الروائيين الذين يحظون بالثناء على نطاق واسع في أوروبا وأمريكا

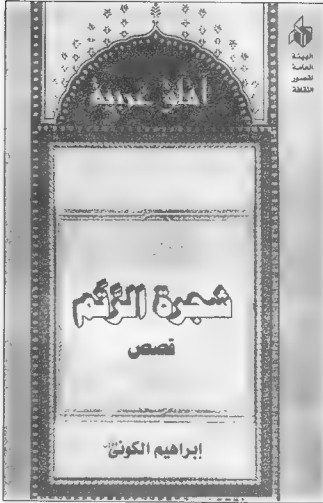
٥١ وجهات نظر

العدد الثامن والستون - يولية ٢٠٠٥ م

صحراء إبراهيم الكوني



علاء الدين وحيد



■ ضحالة المبدع العربي - أغلبهم - يبعثها الكثير من الضعف، أهمه جهله بمحليته .. نتاج عدم تعايشه وتعاظمه مع هويته أو مدينته .. فإذا هو صفر اليبدين من أرضها وسمائها وجوهر ناسها، ليتجه في أحسن الأحوال إلى عوالم أخرى لها هوموها وأجلامها وأماهياها، المختلفة كثيراً أو قليلاً عن موطنه .. مما يضيئ على عمله فتوراً وموجوداً لا حيلة للفن إلا أعما .. وقلة نادرة تستثنى من هذه اللعنة الإرامية من بينهم إبراهيم الكوني، كما تعكس مجموعته القصصية «شجرة الرقيم»، التي يتناول فيها أرضه الصحراوية، بكل ما فيها من بشر وحيوان ونبات وطبيعة تتغير بشكل حاد تبعاً لفصول السنة، فإذا بنا مع عالم خاص مرتبط بالإنسان في قضاياها ومشاكله وأفراحه وآثاره ومعتقداته وتقاليده .. وأفنان العربي التيضظ خاصة في العصر الحديث يضع غالباً في المرأة لا الرجل، الشخصية التي تمثل القيم العليا المتصلة بالمعرفة والحرية واليقظة، في نواح قولها وضعفها على السواء .. وكذلك يفعل الكوني وهو يتناول، غزالة، في «الطائر المقدس» .. طفلة بحساب السنين في العاشرة من العمر، ومع ذلك تملك من المعرفة الحياتية ما لا يعرفه ربما الكبار، إن الصحراء بانفساحها وسقوتها وصعوبة الحياة فيها، تعلم أبنائها سريعا، كما تتضح الصفار مبكراً وتطعمهم بشكل أقوى على طينائع الأشياء .. وكذلك كانت راعتنا الصغيرة، التي نزل من صاحبها مبلود عاماً ..

أطعته على أمرين هاميين .. الأول مفعول أورا، وأزهار شجرة الرقيم المخدر الساحر الذي ينعم متناوله بالحيوية والنشوة والانتعاش والخفة التي تحلق في الفضاء .. والثاني .. الجنس .. وبينما معلومات غزالة مستتقة من الواقع، جاءت معرفة مبلود في كل الأشياء من أمه .. فانه هي التي تعرف وتقول وتؤكد، وهو سميع مطيع .. وهذا سر جهله، يصور قاصنا باقتدار انزلاق الصغير

شجرة الرقيم

إبراهيم الكوني

القاهرة: الهيئة العامة لتصوير الثقافة

٢٠٠٤ - ٢٢٢ ص

بالنار .. والقصة تغسر ما استقر في الوجدان الشعبي، من شجاعة المواطن الليبي الذي لا تزال روحه حزينة لا لحق به وبخيليته من ظلم، يجعلها تطفيء النار وتهجس بالكلمات الموعودة التي لم تخرجها فثاته.

وهناك أيضاً قصتان أخريان تعالجان الجانب الوطني، وأمة كبيرة تضج بالفناء، في أعقاب إعدام عمر المختار، والأخرى «الطريق إلى الأوراس»، عن مشاركة الإنسان الليبي في تعصيد الثوار الجزائريين.



ومع اتجاه إبراهيم الكوني الواقعي في رصد الشخوص والأشياء والقضايا وانغماسه في التعايش معها، مجسمة الواقع بشكل بارز، فهو لا يكتفى بما بلغ بل يطلب مزيداً من الاستيعاب، ويجد في الرمز ما يستكمل به رؤيته الفنية التي تتيح له أن يعبر عن أبعاد أخرى، لا تستكمل في الضوء الكاشف والمستوى الصريح، لأنها تمد الحياة المعيشة بطاقات فنية تبرز المكان المبيد، ورمز هاتنا يستقر غالباً من مفاهيم الحس الشعبي ومنطق الفطرة في العقل العربي والأساطير المتأولة والمتفلة من الماضي إلى الحاضر تمارس تأثيرها وتظهر في الإبداع الحديث. وكذلك يفعل في «الحلقات النحاسية»، في القصة التي تحمل نفس العنوان، مختلفة الأحجام والتي تحول بمجرد وضعها في الجيب إلى ذهنية.

والذهب في الصحراء وتحوله إلى ومن عنصر آخر أحد محاور مجموعتنا، عولج أكثر من مرة، وإذا كانت القصة الفائقة تناولت التحول إلى الذهب فإن «الجدى الأسود» صورت تحوله إلى رماد، وارتباط ذلك في المفهوم الشعبي بفقدان الشرم الملائم للإبقاء على تكوينه، وهو ذئب الجدي الأسود .. إن الصحراء كونها بعيدة عن العمران والتقدم والحصارة تعيش بها كائناً في ظلال الماضي السحيق، الذي لم يتغير إلا قليلاً تركاً العقل فريسة للاغترار بالسائفة قبل التوحيد، ومعرفة الله للإيمان بدين سماوي .. والتي تعهد فيها القوى غير المنظورة للحياة، عندما لم

يقيق خلفهم سوى الرمال القديم يتناثر هنا وهناك، (ص ٧١) وعالم الصحراء الذي يعرضه قاصنا بشنائية الوهم والحقيقة، لا يتضمن تنفس الحاضر فحسب، بل يشمل كذلك نبض الماضي بهوموه العامة والخاصة أيضاً، وفي هذا الإطار تصور «الشهيد يريد أن يتكلم، دنياه التي يلحجم فيها الغزع من ليل الصحراء المليء بالسحر والأسرار والحيوانات المترسة، ببطولة قديمة وضع صاحبها روحه فداء لكرامة بلد، بعد أن أطلق الرصاص على القنابل المسكوى الإيطالي الذي أهان وطنه ودينه. حدثت في نفس الموقع بالأسمر المبيد، وصوت الشهيد المقطع يحاول أن يخرج آخر كلماته قبل إعدامه شقاً وأحراق خيليته

بتشجيع صاحبته ودفعها، إلى عالمي مخبر الرقيم وجدد الأثني .. اللذين كان يجهلها شاماً .. وعندما تتوقها وهو لا يدري حقيقتها أو اسمي فعلهما، وقع في حبالهما .. ظلاً «يقطفان أوراق الرقيم، يرقصان، ويغنيان ويضحكان، ويمارسان الحلم والغبوية والخيال»، واستمررا يراوئانهما إلى أن اكتشف أمره، ويضرب به ضربة مبرحاً وهو يصيح برغبته في الزواج منها، ويحال بينه وبينها وقد نكس منه الحب .. ويهجم أبوه عند عمه، ويحاول الانتحار وينفذ، ويهرب في طلب فتاته عبر الصحراء، معرضاً نفسه لأخطار الأغصان والذئاب والبرد ولكنه يخطأ، ويصل بعد لائق ليجد بالضارب مهجورة، رحل أهلها ورحلت غزالة، وتم



إبراهيم الكوني يصل في تجسده للصحراء.

أن يجعلها كما يذهب المفهوم الشعبي عادة .. كأننا حياً إنسانياً،
يفكر ويحس ويتخذ الموقف أيضاً، يقول في إحدى قصص المجموعة: «أنت لا تعرف كم
قلبها كبير هذه الصحراء.. إنها تمتدك دائماً أكثر مما تعدك. وإذا خنتها
فياستطاعتها أن تطاردك حيث كنت. لتقتص منك».



وفي قصة أخرى أيضاً الأكثر اكتمالاً
ويلوفاً استشهد صاحبها وهي «رأس
الشمعان»، يتم المزج الدقيق بين تقصير
الواقع ونضج الأسطورة المتخفيل في
الأصمق، والمشكل لغاهيم نابغة من الروح
الحيلية يستروحها إلى المتخفف يأتي
بنتائج الباهرة بقلم الكاتب المتمكن.
حيث يخلط الوهم والإيهام والحقيقة.
يساعد على ذلك طبيعة الصحراء .. ذلك
العراء الوحشي الخفي، الذي يصح
بالأرواح والأسرار والجوهر، (ص ١٢٥).
تهدم العرائز وتتساق في أحلام البظطة
المثبطة للأمل والداهمة إلى الاستسلام.
يل منغمة الدقة الإيجابية المستجمعة
للأداة الموقفية للظهور، للخصاء على
الضيق والخوف والتسليم للأخطار. كما
صور الكوني في الكفاض الذين الشعبان
الأسطوري المهاجم .. «تضاد الخرافي
الذي قدرت لحظتها أن طوته يزيد على
خسة امتار وعرضه على ربع المتر. حينما
لم تسمع به المصمرا الكبرى كلها،
والمعرفة الشرسية الطويلة بينه وبين
رجلين أشداء كاد يفكك بها بعد أن التفت
وحولها وجهاهما في النهاية إلى قتلة.
والإصرار على فصل الرأس عن جسمه ..
إيماناً أنه إذا لم تقطع رأسك والشمعان
طارداً وقتلت حينما كنت، (ص ١٢٠).
واختلاف موقف كل منهما في ذلك، في
نقاش موجز شديد الإيحاء بالهائم.



تحتشد مجموعتنا بكل ما يمت إلى
دنيا الصحراء بصفة .. حتى طيورها.
ويرتبط بعصرها بمفاهيم القوم البدائية.
التي يفرضاها الخوف والمجهول والخطر
وامتلاك قوى سريرة غير منظورة. يمكن
أن تساعد في تحقيق الألام الجوضية.
والاستحيلة للصعاف وقليلي الحيلة
والمسحوقين في حكم التماسيلين
المتبدين. ويتوقف قاصنا عند أنواع
الطيور غير التقليدية مثل الطائر
الأبيض، الذي يعتقد البعض وقتاً
للتلقيح بالدمية، وهو طائر «أبيض»
ناصع ضخم مقارناً بطيور الصحراء، ذو
مقار طويل أبيض، (ص ٩٠). «لقد
حدثتني مرة عن كثرة في قصصها. إنه
يظهر مرة واحدة في العمر للإنسان».

المعمل السابق، بل فيما يتصل بالمعنويات
أيضاً كما تقدم «العقرب».
بالفتح كامل أخت الأدم عندما أنجبت
طفلاً الأول بينه وبين عقرب صغيرة
لهدف معلوم .. ألا يصمه بسوء. وبعد
شهور من ميلاده عثرت الأم على عقرب
صغيرة في خراج التمر. جاءت بصلية
طامعاً طافية وأملتها بالحبلى من
ثديها حتى منقصة، تناولت العقرب
بعود حطب وألقت بها حية في العلب.
تركتها تقوم في الحلب حتى صباح اليوم
التالي، أخذت العلبه وخرجت .. ألقت
بها في الخلا، دأقت الحلب وخرجت
العقرب. ما زالت تتحرك!

في باب الحبست جلس الزوج
الفرخانة يجهز شاي الصباح. قال بظيرة
غاضبة:
«ما كان يجب أن تفعل ذلك. النفس
أمانة بالسوء والعدوان. ربما ارتكب
مخالفة. فأين سيخبتن من العقارب
بعدها؟» (ص ١٥١)
ليست الزوجة وحدها إذن التي تؤمن
بالخرافة .. بل رجل أيضاً!
وعندما يرى الطفل الحياة، حذرته
أمه: «والعقرب أشك في الرضاعة لن
تدلهك أبداً. وبالمقابل إياك أن تقتل
عقرباً في حيكلك. أعلم أنه إذا حدث
واقعت عقرباً فإن أول لدغة عقرب ستكون
قاتلة. إياك، (ص ١٥١ - ١٥٢).
وتنضج القصة في توكيد تحصيل
الصغير إلى أن يكبر، كأن المخااة
المعروية العزمت بالفضل، فلم يصب سوء
أبداً منها! ومع أن القاص، يمتدح في
الجوار وخارج البيت ودخله، إلا أنها لم
تضمر. وأكثر من ذلك فهو يلامها
بتركها. ١. حيناً. تجرول فوق دراعه وبين
يديه وعبر جسمه كله دون أن تدله.
(ص ١٥٢)

ويحدث وهو في الخامسة عشرة من
عمره، أن هاجمت عقرباً شقيقة الأصغر
وصالاً أن يبعدها، فكررت سعيها ودفنته.
فلم يثم لها نصيب وقتلتها، متجاهلاً في
غضبها كل تحذيرات أم، وبعض
الوقت ويشفي شقيقه بعد أن أسفط
ويتعرض هو لدغة عقرب، ولا ينفع
الحب في بركه ويموت.
فهل تنف القصة في صف الجهالة
والإيمان بالفخرميلات، أم هي الحكمة
الغنية؟

يكن إلا جنسه يجابه الوجود الإنساني.
وهو اعتقاد يصل في خطره إلى أنه لا
يشكل الفكر فحسب، بل يسيطر على
الفعل الخارج عن إرادة البشر. وهي المنطقة
السيطرة على طبائع الأشياء ذاتها،
فنتمكن كما تصور القصة من تحويل
الذهب إلى لراب.

ومن الطرف أن القصة تقدم تفسيراً
آخر، يدخل أيضاً في باب الخيبات
الضادة المتمسكة بالدين. فهذا التحول
في طبيعة الذهب، سببه إثم صاحبه كما
يذهب الشيخ غوما، فاليداع تستطيع أن
تلوى عنق الأشياء وتغير حقيقتها. لا
تيسر المعرفة بالعلم الحقيقي بل توقفت
على جهل مختلق. كان التزييف هو
إحدى الوسائل لإرضاء تديننا الأجوف.
إن التوالب التي فرضتها الأطماع
الشخصية لمزقة «رجال الدين خدمة
لطغاف والأفهم، لتسلط على أفكار
المسلمين وإبعادهم عن جوهر العقيدة ..
أفسدت على الجماهير حياتها وفكرها
ووزيئتها وعلاجها الصحيح لعلها، فإذا
الصواب مختلط بالخيال يتساقى في
ذلك العاصي والمخفف. وتذكر في هذا
الصدى يحيى حتى والتعديل أم هاضم ..
فالتعليق «الديني» للحدث كما صوروه
الكوني وأرجعه إلى الشيخ:
«إذا كان الذهب حقيقياً عند فتح
القلعة وتحول فيما بعد إلى رمال فإن
أحدكم المثل!

فأجاني ذلك، خلجت من نفسي،
دست رأسي في حجرى، أنا القادم من
أوروبا وأمريكا ولكني سمعت مأمون يقول
بتحد:

«من منا ليس أتماً يا شيخ غوما ..

١٩: من
«ساد صمت طويل، طويل هذه المرة
أكثر من أي وقت مضى حتى سمعت صوت
الشيخ غوما يعترف

«هك حق،» (ص ١٤٢)
إن الصحراء محكومة في قسمها
الأكثر بطولية الإنسانية التي تتداعى
لها السداة والحكم الظاهر والأطمعنان
إلى أوهي الأساليب التي تبرع الببال
والخاطر خاصة في الأمور الكبيرة.
والأوهام بعض القوانين الأساسية التي
تسيطر على الحياة في الصحراء،
وتفرس مفاهيمها على أبنائها. ليس
فيما يتصل بالغايات فحسب كما

ويهاجر دائماً وحيداً، (ص ٦١). ويغضب
ميلود أن غزالة رمت بحجر في اتجاه
الطار. وطار آخر برجل واحدة يتجسد
في عمل آخر .. «طائر خرافي غريب،
رأسه في حجم رأس القط .. وجسمه أكبر
من المرة بقليل .. بمنقار كبير معقوف،
يحقق بعينين كبيرتين جريئتين
محتدتين كأنهما عينتا إنسان، (ص ٩٩).
١٠٠. ويفسر القوم بأنه ليس طائراً
حقيقياً وإنما هو من أهل العالم
الصفلى، (ص ١٠٠).



وللصحراء فكرها الخاص الذي
يخفى على الحشيرين في خارجها
وداخلها أيضاً، لا يجيد فهمه ويحسب
التعامل معه إلا القليلون المتصلون
بفضول جوهرها الأسطوري. فإذا اتقن
مخاطبتها سهل إدراك فحواها وتم
التعارف على عالمها ولغتها. ومن خلال
زاوية الواقع الخافي تظهر كائناتها
الخرافية، مثل الفيل والنامل، وفي
القصة التي تحمل نفس الاسم، وفي
ألمع غريبة .. ذئلي في الأرض، ورأسها
تكتسب ملامح إنسانية خافتة. وهذا
أغرب ما في الأمل، تتضاهى كل سبع
سنوات مرة واحدة، ولأبد أن يشاهدها
شخص واحد فقط لا أكثر من حسن
الحظ ولكن باعتماد يهاجر كل من يراها
ونادراً ما يروح بسرهما، (ص ١٦٩ - ١٦٩ -
١٧٠). وهكذا، مثل الصفي الإنجليزي
الشهور بلطفها، وقد جاء موطنها لعمل
تحقيقه الصفي.

إلى إبراهيم الكوني يصل في تجسده
للصحراء أن يجعلها كما يذهب المفهوم
الشعبي عادة .. كأننا حياً إنسانياً. يكرر
ويحس ويتخذ الموقف أيضاً. يقول في
إحدى قصص المجموعة: «أنت لا تعرف
كم قلبها كبير هذه الصحراء .. إنها
تمتدك دائماً أكثر مما تعدك. وإذا خنتها
فياستطاعتها أن تطاردك حيث كنت.
لتقتص منك» (ص ١٧٧). ويكتب في
أخرى: «إن مقارنة كنوز الصحراء
بالملايين المزدحمة يجرح
كبرياء الأحرار فتتلاها ليس



الانتقام. تحول النهم إلى رمد .. تخفى القصور .. تمسخ الماس إلى زجاج. تقتل بالناش. (١٦٠) ..
ولا الفن يحفظ ليس اهتماماً ولا أدب مناسبات ولا مسابرة لتليار العام .. سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً. وبما هو روح نقدية في الأساس، يتسمس القيم العليا وإصلاح الهوج واليقظة تشكل خاص، مبتعداً عن التعميم واللعب على الحبال وزخريعات أو الهتاف للنظريات السياسية، فهو ما يجدد المتلقي في مجموعتنا وصاحبها يستهدف في المقام الأول ما ينضج به واقع العالم العربي والإسلامي من تخلف .. يثقل النفس ويغيد الخطو وينضئ الأمل يظهره أبشع صوره على مستوى الحاكم والمحكوم في مختلف محالات الحياة. وفي نبض الرجل العادي ولتلق على السواء.

يرتبط التخلف عادة بالاستبداد الذي يمتص عافية ويهترئ البلاد في ظلام القهر والظلم والقيء. لأن التقدم يستدعي الحرية والعدل والمساواة. وسيطرة الطغاة تجعل مواد القانون حبراً على ورق، مجرد خرافة بائنة لا تصالح لنفخ حقوقي لتجديدها. وإنما هي تظهر لتجمل وجه النظام الحاكم، ليخضع بها للبهايم من ناحية، والعالم الخارجي. والذي يعرف أكثر من غيره حقيقة الأوضاع المتردية في الأمم المتخلفة. من جهة أخرى، وبذلك يصبح القانون لعبة الخادعين يعمرون بها على الجماهير. والظاهرة الأولى في الدول المتخلفة بصمة، كلفه ثامة في الظاهر. أي يتساق مانه في النامه مع العدل والحق والإنصاف، ليس حسب القانون الوضعي فحسب بل يتفاح أيضاً مع القانون المدني، أي لا زيادة لاستبداد في حرية الشعب وحقوقه وكرامته. بينما الباطن أو الواقع على العكس من هذا كله على طول الخط. والتناقض البشع بين الوجهين يفضح المدى البعيد الذي يذهب إليه الطغيان في إفساد حياة طول الخط. والتناقض البشع بين الوجهين يفضح المدى البعيد الذي يذهب إليه الطغيان في إفساد حياة الانحراف لويه وسلبه وتضييقه أكثر على مقدرات الجماهير.

والشرطة في البلد المتخلف سواء أكان ملكياً أم جمهورياً أم بين يبر، هي اليد الطولى للمفسد، رغم أنف ما ترفع من شعارات براقة، في خدمة الشعب .. هي خدمة القانون .. وتصور واقعة «الفرلان» تطبيق قانون عدم صيد الفرلان بعد أن تقلص عددها في الصحراء بشكل كبير، لتضع المتقاعين المتراذين في القضاء عليها. ويختار رئيس مركز البوليس في الواحة المنوط به

الإشراف على تطبيق القانون، صيداً سابقاً له إلما واسع بعالم الصحراء ويعمل في تشييد الطرق. للقيام بالقبض على المخالفين ومصادرة أسلحتهم. يساعد الحريف ميمون بمثابة سائق لمسبارة وزودها بالأسلحة اللازم. ويشهد الضابط على مرزوق في أن يحكم سيطرته على الخارجيين على القانون حفاظاً على الشروة الفرالية. ويوجد الحرفض قبلوا حسناً من الصائد السابق، لا لأن مرتبه ارتفع عشرة جنيهات فحسب، بل لأنه إنسانياً ضد إبادة الفرلان. ويقتد مرزوق حماساً، وما يكاد يبدأ عمله حتى يبيع هذا الإحسان بفعل فاعل خارجي، هو رفيقه الجندي السائق .. الذي ما يكاد يرى أول غزالة حتى يطلب من الآخر أن يصوب إليها. ويدهش مرزوق ويضع بينهما هذا الحوار:

.. ولكن .. لقد وعدنا رئيس المركز. بالك من ابله .. أرجو ألا تكون قد صلبت ما قاله لك رئيس المركز. سوف تجد غداً أمامك وفي مؤخرة سيارته عشرة رؤوس من الفرلان. ماذا ستفعل وقتها؟ هل ستصاير منه السبارة والبنديقية؟ أم تفرل كما قال لك؟ (ص ٢٧)



ويصدم، بين مكذب ومصدق. ومع إدراكه الواقع المرئى الذي يعيشه الشعب في الحكم الاستبدادي وعريضة فساد المسؤولين الكبار والصغار، فلم يخطر بباله أن يكون، حامياً حرايمها، عين عيكل. بهذه الجراءة والإسفاف، وببقيته أمل في عدم تحطيم الصورة ورفض الانسحاق مع نهيرات الواقع المرئى. يرتضى مرزوق بالبداء. ويوجب صاحبه معقبا على تناوله الحق في موقفه إزاء خروج الضابط على القانون لو حدث .. وهو يدرك في غرارة نفسه حماسه غير الواقعي وضعف جانبته.



.. نعم. يجب أن افعل، من حقى أن افعل. سوف يطردك فوراً ويأتى بفيرك في اليوم التالي. لقد فعل ذلك أكثر من مرة. (ص ٣٧)

شعر الرجل بفياثه وسداجته. وفهم كيف تتدهور الأمور في بلده وتنتقل من سبى إلى أسوأ، والانحراف يأخذ في الأطراد ويزداد وحشية، ويعم الجميع لتصبح القاعدة التي لا يحيد عنها نظام القهر والاعمالون في الله. كذب صدق أن موطناً رسمياً وضابطاً كبيراً يمكن أن يكون أميناً ويعرف ربه.

والتنازل الصادق غير المصطنع الذي يسير به وجراره ويستمتع الأعماق، يتابع ما ينفث الانحراف زبيب الطغيان من إفساد لأراض جديدة وفسوس ذفعية قضاي إلى الحرية محاصرة بقسام الاستغلال التي تستنكرها. ومع ذلك فهي لا تلبث مع ازدياد الضغوط عليها، أن تقع فريسة للأنياب التي تنفخ في لحمها الحي. فإذا بها تجد نفسها مدفوعة بلا إرادة إلى الوقوع في الفخاخ المحيطة بها من فوق ومن تحت ومن جميع الجهات، تنصبها قوى الشرور للإيقاع بالأبرياء لتجملهم من جيوشها. وهكذا سلخ صاحبنا وسقطت إنسانيته أيضاً. وهو المني الطغري الذي رسم به قاصدا ضحايا القسر.

ويراعة الكوني تفرض الإحاطة بالمعالجة، التي تتبع عرض وجهتي النظر المتقابلتين المختلفتين للبرية، في سبيل بلورة الحقيقة. وحتى لا يكون اتهام الشرطى لصاحب مشكوكا فيه ومقصوراً على الأمام وحده .. فإن الأحداث لا تلبث أن تؤكد بالفعل أن سلوك رئيس الخضر الميمون حتى إلى الفرلان .. كان مخالفاً للقانون وعدم احترامه ما تم الاتفاق عليه.

وقصة أخرى هي «الجمي» تناقض ضمنت العلاقة بين رجل الشرطة

والموطن، تعرض جانباً آخر لنظام القهر الذي تمنع فيه كرامة الإنسان. ولتصق بالقرنل كل الموقفات. وهو ليس بريئاً حتى تثبت إدانته كما يذهب القانون، بل مدناً منذ البداية وقبل أن تحقق النيابة. حدث هذا عندما اتهم شاكلى بالاعتداء على أخت الخرنوق التي حملت سفاحاً. ومع أن المسكين لم يمسه أبداً، لأنها راودته عن نفسه قبل أن يرفضها، إلى أن وضع في الحجز القلدياً أيضاً، حتى يقبض الله من يدفع له الكفالة وهو الشيخ غوما، ويخرج إلى أن تظهر نتيجة التحليل.. وشيعه الضابط بسخرية لتحق أبداً بمن كلفه رأى الشرطة التقليدية في عالم الدين الحق في دولة العصف.. إنه شيخ مخرف وغاضب مثلك. إن الطيور على أشكالها تقع، (ص ٨٤).

ويعلق بريتنا: «سبحان الله ما أعرب هؤلاء الناس. أنت غامض وغريب الأطوار ما دمت لا تدبر المكائد، لا تتعرف صناعه الفن، ولا تتفوق ولا تثقل الكلام ولا تعادى أحداً، وإذا فعلت كل ذلك، إذا فعلت ما تفعلون وتعارض دلائل الخلق شاهد عاى ومستقيم، أن يتهموك بالغبوض أو كراهية الأطوار وأن يسلمو ظهرك بالسخرية .. سبحان الله، كل شيء مغلوب رأساً على عقب في هذه الدنيا». (ص ٨٤).



بالرغم من أن الإنتقان قاعدة إسلامية وعلامه من علامات التقدم في كل زمان ومكان، إلا أن العرب والمسلمين في عصور دهورهم في الماض والحاضر، دون خلق الله أجمعين يعملون شأنه ولا يميئون به، كأنهم يعملون عن جهلهم وقلة حيلهم، وعدم تمكنهم بجهلهم مثلاً للتخلف .. يستوى في ذلك الصغير والكبير والعامى والمتقف. وقد لا يعرف الكثيرون أن عدم الإنتقان أثر من آثار الاستبداد، الذي يشيع التواكل والضعف والجهل، لتكون له الغلبة على الجماهير المتهاشرة. لا إلى الحرية والديمقراطية والعدل، تقرض كل القيم المثلى ومنها الإنتقان. وتصور قصة «الكراس» بصمة النظر القصير والإقبال المتناقص في الناقص في تشكيل الأشياء في المجتمعات المتخلفة في مجال النشاط الثقافي.

والأحداث ذات الدلالة تؤكد في كل خطوة، نزوع الشخصيات المتخلفة .. لا واحدة فحسب. مع الهالات المصطنعة التي يسمونون أنفسهم بها، إلى ما ليس لهم به علم حقيقى يمكنها من الوقوف بثبات على الأرض والتوقيف في مهمتهم.

العدد الثامن والسبعون. - يولايه ٢٠٠٥ م

قد لا يعرف الكثيرون أن عدم الإنتقان أثر من آثار الاستبداد، الذي يشيع التواكل والضعف والجهل، لتكون له الغلبة على الجماهير المتهاشرة



كتاب الزاوية



العروة الوثقى

سياسة إنجلترا في الشرق

هلع على ما في البيت ففرح لإغلاق الباب، فأنخلع
المصراع وانقض الجدار من ورائه.

هذا شأن دولة بريطانيا في الهند، وقناة السويس،
قصارى يفتتها أن تكون في أمن على هذا الباب، وكان
سهلاً عليها أن تخلص التنية، في مسالة أرباب الولاية
عليه، فيقونه بأرواحهم وأمورهم، ثم هي تقوز بفوائده إلى
الأبد.

إلا أن جيشان الأوامر، وموشحات الأحلام، دفعتهما
لمباشرة حمايته بنفسها، فإذا الأمر أصعب من أن ينال.
وأساس البيت أوهى من أن يدوم.

أرادت دولة إنجلترا بعد تبوئها أرض مصر، أن تدخلها
تحت حمايتها، وأن تبذل العساكر الوطنية بإنجليزية، وأن
تقيم في السودان سلطنة مستقلة، وحاولت في ذلك إرضاء
المصريين بأنه من الضروريات لتنظيم أحوالهم، وإقرار
الراحة بينهم، وتسكين روع العثمانيين بحفظ الحق
وتخفيف الوزر.

وكان لكل أن يستبشر بهذه الخدمة الجليلة إن تمت،
لولا ما لدولة إنجلترا من تقسيم الممالك التيمورية في
الهند، وإقامتها لكل قسم حامية من قبيلها، وكان هذا أكبر
الأسباب وأصغرها لاستيلائها على الأقطار الهندية، وأنا
لنأسف على التفاوت بين الزمانين، والتباين بين المكانين،
فلا الإحسان الإنجليزي يمكن تنعيمه، ولا العثمانيون
والمصريون يستبشرون بنواله، وخطر الأمرين غير يسير!

وإنما هم يصمون مع قلة زادهم الذي
يظنونهم كثيراً في مسيرتهم الخففة.
وعندما يصلون إلى نقطة النهاية، لا
يدهشون للمثل المتظر، بل يلقون عينه
على الأقدار التي تدخلت لإفشال
جهدهم العظيم.

عندما أرسل العالم الكبير الأستاذ
الدراهيبي برقية لنادي الزهراء الثقافي.
موافقا على دعوتهم له بإلقاء محاضرة..
عم الفرع مجلس الإدارة لهذا النصر
البين الذي حازه ناديهم لمدينتهم ويشير
غيره النادى الآخر. وفي التو قسموا
بينهم العمل أو «الأدوار» من يقوم
بالحجز في الفندق، ومن يتولى إجراءات
الاستقبال وترتيب الضيافة وتوزيع
الدعوات، ومن يقوم بالدعاية ونشر الخبر
في وسائل الإعلام ولقاء صحفي موسع
مع الضيف الكبير، أي تغطية كاملة
للحدث الثقافي الهام، ويقوم كل عضو
نما وكل إليه ويستقبل الزائر المشهور في
المطبخ بحفاوة من رئيس النادى وسكرتيره
وأمين صندوقه، وضوءه الفخري، ويرتاج
الرجل لبرنامج الزيارة.

ولأن الإنسان المتخلف يترك في قراءة
ذاته مدى محزه، فهو يعمد بشتى
الوسائل إلى إفساله.. بالاستهتار
والاستخفاف والتحقيق أيضاً، فظن أنها
تطعن معاً لم تأخره. ولكنها لا تفعل
أبداً، بل تقضها أكثر. ولذلك فإن ما
يتم مادة في بلادنا هو مجرد شكليات ..
سد خاتمة، تهتم بالظاهر ولا تقيم بالباطن.

وقبل موعد المحاضرة ذهب العالم
المشهور إلى النادى، فلا يعجب وهو لا
يجد أحداً في انتظاره من مجلس الإدارة
أو الجمهور.. كان جريان الأمور بهذا
الشكل في العالم المتخلف من طبائع
الأمم.. ولا يلبث بعد قليل أن يجيء
رئيس النادى ويهتف عن تأخره لظروف
خارجة من إرادته، وهو التبرير الفخ الذي
يساق من ذا منة في مثل هذا الموضع..
ويقبله الآخر ويهتف عن تأخره لظروف
تكراره مئات المرات في حياته.. أمراً
بسيطاً لا يستحق الاعتذار، وإن نظر إلى
ساعاته حريصاً أن يبدأ كلمته في
موعداً، ولكن الآخر يفرغ والقاعة لا
تزال على حالها، ويذهب الرئيس إلى

البواب متسائلاً: «أين الجماعة؟ أين
المصنوعون؟ القاعة فارغة» (ص ٢٤)
ويعرف منه أن سكرتير النادى تلفن له
بقبضه الوشيك ويحضر الأخير بالصلع
يحمل الجواب القاصم: اليوم ميازة كره
القدم. لقد نسى مجلس الإدارة الموركة له
وفي مقدمتهم رئيسه ذلك! فكل يفكر ثم
يقبر بالأسلوب المتخلف الذي لا ينظر
أبداً إلى أبعد من قدمه، كجزيرة منعزلة
بعيداً عما حوله. وجاء الاختيار الخاطئ

وللغرض من العالم الكبير للأستاذ
الليبيي، لا الأسترالية مثلاً، معنى ومبنى
التي صورها الكوئي في مجموعته. إلا
أنه أغفل عمداً جانباً هاماً من تكوينها.
وهو صلة الخالق بالخلق، ففناننا
كرجل عقلاني لا يؤمن بها، ويرتاج أكثر
إلى الخرافة والأسطورة التي احتشدت
بها «شجرة الرتم». وما شخصية الشيخ
عوما في قصصه إلا من قبيل تكملة عدد،
التي تظهر غالباً إذا جاءت ملامح الشيخ
متحررة «موردين» تليق باستخفاف
النقص وهو يجعل التجديف بالله في
المنظور الإسلامي، شيئاً ميثاً لا خطر منه
ولا فيه. بمكس ما استعمر من وقع في
هذا الخطأ ساعة غضبه، فهو عند عوما
من الصلوات الخاصة بين المرء وربه!
محصلة نظرة قاصتنا لدين التوحيد
تفرق بين الدنيا والآخرة!

ومع لافتات الترحيب بالآخر التي
يرفعها الكتاب المسلمانيون العرب
ظاهرياً، إلا أن إبداعهم يأتي بالصد
عندما يتسائلون إيهاده وينقسمون
الموضوعية في معالجته. يفعل ذلك
قاصتنا اللبيب، كما تفعله أديبنا المصرية
نوال السعدوي، وهي تتناول في عملها
الأخير: الرواية، سلسلة «روايات الهلال».
عدد أكتوبر ٢٠٠٤، «المتبينين رجالاً ونساء».
تلتصق بهم كل موقفة على عكس
شخصها الآخر!

لقد استوعبت «شجرة الرتم» بشكل
قوى الأشواق الروحية لصاحبها في
الغربة تجاه أرضه وهو في وارسو، نفس
ما استشره قبله فيحاولي مائة سنة
محمد حسين هيكل أثناء وجوده في
باريس، ودفعه لكتابة روايته «زيتون»، بينما
تلون نفس الإحساس عند عبده جبير في
روايته «مواعيد الغدا» إلى آخر الزمان،
نوفمبر ٢٠٠٤. واستدعى عالم بلده
والكويت معاً. ■

صناعة الرئيس

عزّة عزت

توجد كثير من الانتقادات للقائمين على رسم صور الرؤساء حول التقصير في عمل مونتاخ لبعض العبارات التي يجب ألا تنشر على الملأ حتى لو كان الرئيس قد قالها

■ ■ ■ إذا كانت الصور الخطيبة عن الرؤساء في العالم العربي (لا التي يتم ترويجها لهم) قريبة الشبه من شخصهم؛ فذلك لأنها صور غير مصنوعة بحرفية بقدر كونها لشخصية صاحب الصورة وتصرفاته حيال المواقف، وقراراته في الأزمات بكل ألوانها، وهي صور يمتلئها العكاس ويرسم ملامحها وسماتها كل منا وفقاً لقناعته السياسية ومصالحه الخاصة، وقد يساهم بعض الحوطين بالرؤساء في رسمها، أو قد ترسمها أحياناً الظروف التاريخية التي وجدوا فيها.. لكن الأمر جد مختلف في الغرب، حيث صورة الرؤساء هناك تقوم عليها جهات متخصصة في رسم الصورة، كنشاط من أنشطة العلاقات العامة والدعاية السياسية، وهو أسلوب متعارف عليه هناك (وقد يصبح مألوفاً هنا قريباً)؛ يُطْلَق على ممارسه اسم صانعي النجوم، أو خبراء الصورة الذهنية، إذ أصبحت صناعة الرؤساء في الغرب مهنة متقدمة لها أصولها وقواعدها، ويرامها، ويخططونها، ولها محترفوها وهواتها أو مشاهيرها أيضاً، وهم من يقومون بصناعة صور المرشحين للرئاسة، ثم يستمررون في رسم صور الرؤساء أنفسهم طوال فترة حكمهم. وغالباً ما يخطط ويحدد صانع الصورة للرؤساء الغربيين كل خطوة، وكل لفظة أو إيماة يقوم بها الرئيس، أو حتى المحررون منه، خاصة أفراد أسرته، ولحديثي زوجته؛ لا للمرة من دور هام في هذه الصناعة، وبالطبع هناك بون شاسع بين ما شاع في الغرب، وبين الأساليب السائدة لصناعة الصورة الذهنية للرؤساء العرب التي تتحدد ملامحها بأساليب تقليدية، وأحياناً تتحدد عفواً وبتقليدية أو بمصداقات تاريخية. فصرنا كأننا أو هزينة.. وإن كان هناك من تبيه مؤخرًا لضرورة وجود فريق عمل حول الرؤساء العرب يقومون بنفس

صورة الرئيس

عزّة عزت

القاهرة، مركز الحضارة العربية ٢٠٠٥

عنه استطلاعات الرأي العام المستمرة؛ لإزالة أية محاولة لتشويه الصورة، خاصة أن هناك مؤسسات رصد واستطلاع رأي مضادة، أو معارضة لتصديق الهوات والأخطاء، وتكشف عن الخفى منها، وتقوم بتصحيح الأمور في محاولة لإسقاط الرؤساء، وقد تنجح في ذلك أو لا تنجح فيها، فيكون كمنال مختصصين يمكنون على هذه المهمة، ويحدث ذلك على وجه الخصوص في أمريكا، التي أسبق فيها فيكون كمنال آخر في الإطاحة بالرئيس بيل كلينتون، وتجدر الإشارة إلى أن استطلاعات الرأي يمكن أيضاً التلاعب في نتائجها من التوهين من شعبية أي شخص مرشح للرئاسة.. لكن مدى تأثير ذلك التلاعب يعد محدوداً في مجتمعات تتمتع بقدر كبير من الشفافية، ويقدر غير محدود من الحرية الإعلامية، وفي ظل قدر أكبر من الخفاضة الطاحنة بين مراكز قياس الرأي العام، التي يمكن لكل منها أن تهدم أو تشكك في نتائج المراكز الخفية المناظرة لها. وبغير خفى أن تسير الأخبار والإحصاءات الموجهة، والتأنيق المبدئية لقياس الرأي العام تعتبر توجيهاً للرأي العام الشعبي إلى وجهة معينة، أكثر منها عملية قياس مجرد من الهوى. ولا يمكن الادعاء بأن كل صور الزعماء في الغرب رسمها خبراء الصورة الذهنية، ومؤسسات العلاقات العامة؛ لأن هناك بعض الزعماء الغربيين قد رسمت صورتهم الظروف السياسية، أو الممارك العسكرية الحاسمة التي خاضوها.. وليس بالضرورة أن تكون هذه الصورة حقيقية، ففي الحروب أو نتيجة لها. تكون سمات «البطولة» والقيادة والزعماء من نصيب الزعماء في الحرب، مثلما حدث بعد الحرب العالمية الثانية؛ بالنسبة لجوزيف ستروينيتسكي أو يوسفلاف، وأيزنهاور في أمريكا، وشارل ديغول في فرنسا، وونستون تشرشل في بريطانيا، هؤلاء لم ترسم صورهم مؤسسات دعائية،

والمسومة، والرئيسية مجتمعة في هذه الصناعة؛ وأيضاً باستغلال لثقت الطوم الحديثة المتعلقة بدراسات الصورة، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم الاتصال، وعلم السياسة، وقنون العلاقات العامة؛ كي يحدث التأثير المرجو. ويهتم صناع صورة الرؤساء في الغرب بوضوح وبرامج تشكيلها أو تحسينها كثيراً بقياس اتجاهات الرأي العام المتقلبة، أو المتذبذبة قبل أن يضموا برامجهم وخططهم، حتى يستطيعوا أن يحققوا الهدف مما يرسلون من رسائل إلى الجمهور المستهدف.. ويحرصون على أن يكون هذا القياس دورياً ومستمراً؛ ليتم على أساسه تعديل البرامج؛ وفقاً لتطبيقات كل موقف، وكل ظرف سياسي أو معاشي، كما يهتمون بمتابعة الصورة المقدمة في وسائل الإعلام، ورصد ما فيها من أخطاء؛ كي يحاولوا تصحيحها أولاً بأول؛ من خلال برامج أنية، وتقوم هناك مؤسسات كبرى على هذه المهمة، بما يتوافق وقيم هذه المجتمعات الغربية، وما يمكن أن يلحق قبولاً من هذه الشعوب؛ مستخدمين شتى الوسائل، خاصة قبل الانتخابات الرئاسية وذلك في شكل حملات مكثفة، تستمر طوال فترة حكم أي رئيس تمهيداً لفترة رئاسته الثانية؛ متمميين على ما تسفر

المهمة.. ولكن يفترض أن يقوموا بهذه المهمة وفقاً لمبادئ وقيم وقواعد مختلفة تماماً، وكى تتضح الفروق بين الشرق والغرب سنأتى على استعراضها يتبع في رسم صورة الرئيس.. أي رئيس في أمريكا وأوروبا بولها ذات التقاليد السياسية العتيقة؛ وفقاً لتخطيط واستراتيجية محكمة. ذلك أن أساليب ترويج صور الرؤساء الغربيين، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية.. قد بدأت تدفع إلى سدة الحكم بأشخاص، تأثر جمعيتاً بما يمارسون من سياسات، إذ تنعكس بالضرورة على حياتنا بالمشايخ والمبادئ التي يطرحدونها، والقرارات التي يتخذونها. والواضح أنه لعودة طويلة كانت صور الرؤساء ترسمها الصحف فقط كأول وسيل إعلامي، وتحاول تثبيت سماتها لدى جماهير القراء، من خلال الكلمة المكتوبة، سواء أكانت مادة إخبارية، أو تعليقات وأراء... أو من خلال الصور الفوتوغرافية، من حيث الحجم والشكل، وزاوية التصوير، وما يصاحب الصورة من تعليق، قبل أن تصبح للصورة الذهنية صناعة كاملة في عصر السماعات المفتوحة، وشبكة المعلومات العالمية المسماة بالإنترنت، وباستغلال حقيقي لكل الوسائل والوسائط المطبوعة،

لا يمكن الادعاء بأن كل صور الزعماء في الغرب رسمها خبراء الصورة الذهنية. ومؤسسات العلاقات العامة: لأن هناك بعض الزعماء القريبين قد رُسمت صورتهم الظروف السياسية. أو الممارك العسكرية الحاسمة التي خاضوها

١٧١



حادي
الوقت
2005



في حين تكون سمعة «الدكتاتور» من نصيب الهزيم، كما كان الأمر بالنسبة لهنتر الذي صنعت له الدعاية النازية وورير عدائية جويلز صورة مهيبه كقائد ينظره الضمير ثم هزم فاحت به كل السمات الدعائية. وكذلك الحال بالنسبة لموسوليني الزعيم الإيطالي الفاشستي. أما ستالين فيعد من أبرز الأمثلة على خطورة تأثير أجهزة الإعلام.. الأمر الذي يجعلنا نتساءل: إلى أي حد يمكن أن تكون الصور الكاذبة أكثر إقناعاً. وأولاً تأثروا من الصورة الحقيقية؟ ما لم يأت حدث جلي كالانتصارات العظيمة، أو الهزائم الساحقة، لتقبل البعض بعض الحقائق حينما يظهر التاريخ بعض الحقيقة الخفية. ويقول كلمته الشهيرة: التي قد تنصف صاحب الصورة المشوهة. وأظهر ما كان خافياً من ملبسات من شاهدنا أن

الإعلامية. كما أن الدعاية الإيطالية ماكبالي من قبله بقرون كانت له إسهاماته الخاصة في هذا الشأن ، لكن تسويق الرؤساء بأسلوب علمي ومدروس قد أصبح يشبه فن الإعلان التجاري، كما وصفته جريدة نيويورك وورلد لتجاريم الأمريكية عام ١٩٥٠ قالته: «إن السياسيين بدعوا يطبقون جميع الوسائل والأساليب المتقدمة في الإعلان عن السلع الاستهلاكية، من السيارات إلى صابون الحمام». كما أوضح عالم الاجتماع المعروف ديفيد وايزمان في كتابه المسمون «الجماعة الوحيدة»: إن الأمريكيين في ولعمهم بالسلع الاستهلاكية قد أصبحوا مستهلكين للسياسة أيضاً، وأنه مثلاً يكون لطريقة تغليف الهدايا أثر بالغ في إقبال المستهلك على شرائها، فنفس الحال بالنسبة للسياسة. حيث البريق الشخصي لرجل السياسة قد أصبح من أهم عوامل الإقبال عليه من الناخبين، وتقوم مكاتب متخصصة في الولايات

تعيد إلى الصور بوجه عام، جالبها من السمات الحقيقية، التي كان مسكوتاً عنها. ولعل فهم الناس، كل الناس، لأساليب رسم الصور الدخنية للرؤساء والمرشحين للرئاسة الأمريكية، أمر أراه غايية في الأمية. لأن تزييناً إيديولوجياً تجلس على سدة الحكم في بلد ما أصبح في غاية الأهمية والتأثير على كل شعوب الدنيا. وبعد أن أصبح رئيس الولايات المتحدة الأمريكية بالذات رئيساً أو عمدة للعالم كله، وبعد أن ساد الأسلوب الأمريكي في رسم صور الرؤساء، وبدأ يتبع في تمرير بعض الشخصيات المرشحة عنهم بالطريقة الأمريكية، ليحكموا ويتحكموا في الشعوب العربية، ويتم تزيين صورتهم وفقاً لتلقين الغربية وتسلل قد يشمر به بعض المصفوف المشففة. ويذكر كونه بعضي.. دون أن يستطيعوا التصدي له، في حين لا يفطن له العامة غالباً.

وهنا نجد من القبول بأن علم صياغة الصور الدخنية كعلم جديد نسبياً (ظهر في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي) قد تناولته كتابات كثيرة في الولايات المتحدة الأمريكية بالذات، وتعرضت لأساليب الاستحواذ على الجماهير عن طريق صياغة الشخصية القادرة على النفاذ إلى القلوب.. لكن علم الصورة الذي تكبر في أمريكا ليس اختراعاً أمريكياً محضاً.. بل إن أمريكا هي التي وضعت قواعد علم، يجمع بين عدد من العلوم السياسية والاتصالية والنفسية، إذ يحدنا التاريخ بأن نابليون أنشأ لنفسه مكتب إعلام، يختص بكل ما يتعلق بالجانب الإعلامي في سياسته، وقد أسماه مكتب الرأي العام.. رغم أن مهمته لم تكن استطلاع اتجاهات الرأي العام لدى الشعب الفرنسي، وإنما كيفية التأثير على الشعب باستخدام الوسائل

المتحدة الأمريكية تتقاضى مبالغ خيالية وأرقاماً فلكية، بالترويج أو تحسين صورة أي شيء، وأياً من كان، بدءاً بالسلع التجارية، ومروراً بنجوم السينما في هوليوود، وانتهاء برؤساء أمريكا أنفسهم.. كما يتدرب الشباب في هذه المكاتب على كيفية تسويق أنفسهم، وصورهم بحثاً عن عمل، فأمريكا بحق هي بلد العلاقات العامة ومؤسستها كعلم أكاديمي، وكفن عملي وتطبيقي.

ولعل البعض منّا فقط يعلمون أن كاتب خطاب أي رئيس أمريكي يحتل درجة في الكادر الوطني، لا بد أن يتوفر في الإلمام بأسرار الكتابة السياسية، وهؤلاء الكتاب هم في الأغلب الأعم من الصحفيين، الذين يتم توظيفهم من بلاط صاحبة الجلالة، إلى البلاط الرئاسي في البيت الأبيض، أو ما يسمى ببيتة مكتب الرئيس، وذلك بعد أن يكونوا قد أدوا دورهم ضمن مستشاري حملته الانتخابية، وهم يتناوبون على كتابة خطاب الرئيس، التي يلقها في المحافل والمناسبات العامة، وصياغة الأفكار السياسية التي يتبناها.

ولذلك لا يحدث في أمريكا وحدها.. بل في إنجلترا أيضاً، إذ إن توني بلير رئيس وزراء بريطانيا، اختار سبداً ممن يسمونهم «أطباء التجميل»، Spin doctors، وهم بالطبع ليسوا أطباء، ولكن كأطباء يعملون صورة رئيس الوزراء، والوزراء، ليجعلوها أفضل، أو أكثر قبولا لدى الناس، كما نجعلهم مشاريع رئيس الوزراء عند الشعب، ويترجون عليه أن يفعل كذا، ولا يفعل كذا، وكى تكون الصورة واضحة لديهم فهم يحضرون جلسات البرلمان واللجان الحزبية.. حتى أن الكثيرون قد ضاقوا بهم.. بل إن توني بلير قد عين لملكه فريق تجميل يقول له: كيف تظنظر.. كيف تتبسم.. كيف تضحك.. كيف لتترب



أكثر من الشعب.. إن توني بلير يعد مقتل ديانا هو الذي أطال عمر الأسرة المالكة، فقد جعل للأسرة المالكة مظهراً إنسانياً، متجاوباً مع مشاعر الناس، والأكثر من ذلك أنهم قد نجحوا في صياغة الملكة وأولادها فعلاً.

المرأة في الصورة

استعرضت بعض المراجع المهمة صناعة صور الرؤساء، مقارنة بين تصورات الرؤساء الأمريكيين بالذات، مركزة على دور المرأة الزوجة في صناعة صورة زوجها الرئيس، وذلك لبيان أهمية الدور الذي تلعبه من ناحية من دواحي الحياة العامة، الاجتماعية والسياسية. وكان من أبرز ما قيل في هذا الصدد، ما تناول دورها كمستشار سياسي للرئيس، وهو جيمس كارتر بالذات، إذ أشادت مرجع أمريكي إلى أن إدارة كارتر أخذت تغييراً جذرياً بالملاحظة، في العلاقة بين رؤساء الولايات المتحدة وفريقاتهم في مجال السياسة، ففي الماضي كانت السيدة الأولى لا تتدخل صراحة إلا في قليل جداً من الشؤون السياسية، مثلما كانت بتي فورد، التي كان لديها بالكاد مشروع اجتماعي خيري، وكذلك فعلت كل من إليزابيث ثورنتون، وديلي بيرد جونسون.. أو حتى جاكلين كينيدي، ما دون ذلك فقليل جداً وبعد نادراً، ففريقات الرؤساء عملياً لم يكن لهم دور سياسي مؤثر.. بل إن دورهن أو وجودهن الحقيقي لم يكن له تأثير أو وقع على أي كان دورهن يدمع أو يساند الرئيس بشكل باهت.. دون الانخراط في السياسة، فقد كن مجرد زينة أو زخرف، دون أن يكون دورهن أية حيلة أو مزاولة ليكون دوراً فعالاً، بل كان نمط السيدة الأولى أن تكون سيدة متبسمة، مثل بات نيكسون، أو نانسي ريغان، أو تستطيع تسير البيت الأبيض والحفاظ عليه، كما فعلت السيدة وودرو ويلسون، كى يتفرغ زوجها لاستعادة حماسة واتقاده.. وحتى السيدات الأولات السابقات لم يكن لهن دور سياسي في الرئاسة، وذلك ما لم يحدث في حالة روزالين كارتر التي كانت حصةً مشتركاً سياسياً لزوجها.

وبعد هذا الرأي رصدنا لتطور دور المرأة، أو السيدة الأولى في أمريكا في منتصف القرن الماضي، فهما عنه الآن ؟ وكيف تطور اعتباراً من الدور الذي بدانه روزالين كارتر؟ إلى أن وصل إلى ما هو عليه الآن في كل من أمريكا وأوروبا، وفي الغرب بوجه عام، حيث أصبح دور المرأة في رسم صورة الرئيس.. أو حتى المرشح



للرئاسة. دوراً أساسياً وأفعالا بشكل معلن في كل وسائل الإعلام. وثباتاً على كل نموذج آخر من النماذج الغربية، تضخيف فيها زوجات الرؤساء إلى صورة أزواجهم، وهي سيدة فرنسا الأولى زوجة الرئيس هيرلان، إيان انتخابات الرئاسة الفرنسية الأخيرة، والتي تناولتها الصحف العالمية، وتناقشتها الصحف العربية أيضاً تحت عنوان، "برناديت شريك وإستراتيجية الصمت الفصحى"، وكان هناك إجماع من المراقبين على أن انتصار الرئيس هو انتصار صنعتة بيديها السيدة زوجته مدام برناديت شريك، لذلك أن العواصف التي عمت على الرئيس بسبب الصمت زوجته، وإنهتة كلود، ومست الأسرة كلها، وكادت تطيح بها.. لولا رياضة جاش برناديت شريك، وهوده أعصابها، والتزامها بالصمت.

ويذكرنا هذا "الصمت الفصحى"، السيدة فرنسا الأولى، مع الطارق، برواية الجاش التي ظهرت بها سيدة أمريكا الأولى، زوجة الرئيس الأمريكي السابق بل كلينتون، إيان اكتشاف أو اقتضاح علاقة مونيكاي ليويسكي بزوجه!! وإيها أن صورة لرئيس هو طغى!! رغم أن رياضة جاش هذه الزوجة لم تكن موضع إصباح.. بل كانت موضع تعجب العالم أجمع أكثر من تعجبهم من صورة الرئيس نفسه بعد اقتضاح امره، وراح العالم يتساءل: أه هو إتران زائد من زوجة الرئيس!! أم مصالح متبادلة!! أو خيالات متبادلة على طريقة تشارلز وديانا!! ووصل الأمر إلى حد المسخرة من موقفها الغريب.. من قبل جمهور النساء على الأقل. في كل أنحاء العالم. هذا وبيرز دور المرأة في أمريكا وكفى في صماعة الضوضاء بالرئاسة، وفي استمرارية الرئيس في الحكم: أو في فوزه بفترة رئاسة ثانية، وكذلك تلك هيلاري كلينتون التي كانت السلاح الحصري لزوجها، في معركة من أجل البقاء في البيت الأبيض، بعد فضيحة مونيكاي، إذ أشار تحليل لوكالة الأنباء الفرنسية من واشنطن أنه، "يُحتمل أن تكون هيلاري السلاح الحصري في إستراتيجية إثارة المشاعر، التي اختارها الرئيس الأمريكي كلينتون، المهمد بتقرير المدى العام المستقل كينيث ستان؛ إذ ترمز هيلاري، التي أهدت علانية، الصمت في بادئ الأمر، عندما اعترف كلينتون على شافة التلفزيون بإقامة علاقة غير لائقة مع القديرة السابقة في البيت الأبيض، وإمعاناً في التميمية صر بيان يؤكد أن السيدة الأولى في أمريكا تحب زوجها، وتتمسك بزواجها.. ولكن دون أن يذكر البيان أي شيء من خيافته الزوجية.

كما يلاحظ إدراك زوجات الرؤساء الغربيين للصور المرسوم لهن بدقة؛ إذ يمكن بحاسة خفية أهمية ما تعكسه كاميرات التصوير الصحفي أو التلفزيوني، ويتصرفن أمام الكاميرات يدراك ووعي، ففي الحملات الانتخابية أو أثناء الخطب السياسية، أو حتى في المواقف الصحفية التي يحضرها، لا تترفع زوجة الرئيس أو المرشح للرئاسة عينها عنه، وتولييه اهتماماً ملحوظاً؛ لأنها تعرف مسبقاً أنها معرضة في كل لحظة أن تلتقط عدسات الكاميرات على وجهها، فتعكس مدى تأييدها لزوجها؛ لذا لا يد أن تبدي اهتماماً بالغاً بكل حرف ينطق به.. فهايك عن الحماسية والاتصاف إنشاء التقاط الصور التذكارية، أو التي يحيى فيها المرشح ناخب، بالإضافة إلى رفع الكف بالتحية للجمهور، أو بعلامة النصر، أو التأييد برفع الإبهام إلى أعلى، والقبض بحرارة على كف الرئيس، بما يعكس التماسك الأسري.. رغم أن أمريكا بالذات من أكثر الدول معاناة من التفتك الأسري.. لكنها برامج صناعة الصورة التي يجب أن تلتفت بكل دقة، ويقوم فيها كل بدوره المرسوم له، وإلغائها ما يكون أهم هذه الأدوات هو دور الزوجة، ولكن بالطبع كما نعلمن الزوجة من صورة زوجها وتضخيف إليها، نجدها أحياناً تسحب منها أيضاً.

وإذا كانت نظرة الغرب لزوجات الرؤساء كزوجة داخل إطار صورة الرئيس يعد أمراً ضرورياً، فلماذا من الإشارة إلى وجودها كضيفة أو خلية أمر آخر، تتناوله الكثير من الأعلام في كتابات صحفية عابرة، بأسلوب رافض، لذا لا يد من الإتيان على ذكر دور المرأة الأخرى في رسم هذه الصورة، ويمكنها أيضاً أن تهز صورة الرئيس، وتقلل من شعبيته، أو تؤدي إلى اختلاف الرأي حوله، وتقاوت النظرة إليه بين مؤيد ومعارض.

إذ تؤثر المرأة الأخرى بالسلب في صورة الرؤساء.. حتى في الغرب الأمريكي المتحضر من كل القبيح الأخلاقية الشرقية.. أو حتى من التقاليد الأوروبية التي مارلت بقايا منها حكم الأسر الحاكمة، وجميع الصفوة فيها بدرجات متفاوتة. فالأمر نسبي، وحكاية ظهور ابنة غير شرعية للرئيس الفرنسي فرنسو ميتران تشهد على ذلك، ففي فرنسا ومنذ عهد لويس الرابع عشر يسمح للملوك والرؤساء والساسة بكثير من العلاقات الجنسية خارج الإطار الرسمي.. دون أن يسي ذلك إلى إيلاء برده في وضعهم الرئاسي. وهذا الأمر يبرز مثال على مساوئ ظهور المرأة الأخرى في حياة الشخصيات العامة، سواء أكانوا رؤساء أو حتى مرشحين للرئاسة في نظم برلمانية. يمكن فيها الحاكم دون أن يحكم، مثلما الحال في بريطانيا، نجد أنه حتى بعد سنوات من موت أميرة القلوب ديانا، كنف الأمير تشارلز عن جهوده لتحسين صورة عبقثته السابقة، وزوجته الحالية. كاميليا باركولون، والتي يكرها الشعب الإنجليزي؛ ولذا استعان ولي عهد بريطانيا بطاقم جديد من المستشارين وعلى رأسهم مارك بولاند؛ وذلك لتحقيق صورة طيبة له ولها.

هشوات الرؤساء

وثباتاً إلى ملمح آخر من ملامح صورة الرئيس التي يرسمها هو بنفسه لنفسه.. إما علناً، أو عمداً، وتسن إلى صورته، وتُنشر الكثير من الانتقادات في الغرب موجّهة للقائمين على رسم صور الرؤساء حول التقصير في عمل مؤنجات لبعض العبارات التي يجب ألا تُنشر إلى الأبد.. حتى لو كان الرئيس قد قالها علناً

في لقاء حضره عدد محدود؛ لأنها في النهاية عبارات يمكن تجنبها مضامين مختلفة ومتعددة قد يساء فهمها، ويعين أن تضخيف ملمحاً غير مرغوب إلى صورة.

ويذكرنا هذا بالهفوة التي جاءت على لسان الرئيس الأمريكي بوش الابن. في وصفه لحملته لمكافحة الإرهاب، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، بأنها "حملة صليبية"، وما تركته هذه العبارة، أو هذا الوصف من الرسني لدى المسلمين في العالم كله، وانتباه فريق العلاقات العامة المسؤول من صورته في العالم. في حداثة هذا الخطأ، الذي اعتبر مجرد زلة لسان لا يمكن تمريره!! دون أن يعتذر عنها الرئيس شخصياً، الأمر الذي جعله يصحح هذا الخطأ، ويعتذر للمسلمين في العالم، ويتبنى في نفسه تهمة التضحية، أو إعادة دين بعينه، وصياغة خطبة عصماء القاهي في المركز الإسلامي.. أغلب الظن أن من صاغها بهذا الإحكام، هم خبراء الصورة المحيطن بالرئيس الأمريكي.

ولذلك فإن خبراء الصورة يصرون عادة على الإصرار على جميع التفاصيل الخاصة بالصورة الجماهيرية للمرشح للرئاسة في الغرب، ويصطخون بحقهم في الاعتراض على كل لفظ وكل حركة يرون أنها قد تلأثر على صورة لدى الجماهير، وكأنها يصرخ أثناء خطب الرؤساء في تشكيل صورهم من حيث البلاغة في الصياغة، أو حسن الإلقاء والقدرة على التأثير.

وهناك مجموعة من القيم التي تنبني عليها الصورة وهي تبتق وتستخدم مما تعتقه الجماهير الشعبية من أفكار ومعتقدات، وما يحبون أن يروه في رئيسهم، أو فيمن يتوقع أن يصب رئيساً عليهم باختيارهم الحر.. في مقدمة هذه القيم:

الشباب

يحبون في الغرب أن تكون لرئيسهم إطلالة تلفزيونية ذات قبول، وأن يبدو شاباً وقيماً.. حتى لو كان ذلك مخالفاً للواقع، ويريدونه متمتعاً بحبوبة وتائق.. حتى لو كانت هذه الحيوية مصنوعة بالمكياج والرتوش، وصيغة الشعر، والممارسة الدائمة للرياضة المحققة للبقاء البدنية المطلوبة؛ كي يظل الحزب رافعاً رأسه شامخاً كما شاب يافع، فهو كما يرون رمز للدولة، وقوته ومظهره الشاب دليل على أن هذه الدولة قوية وفتية، ولذلك رصد أحد المواقع على شبكة الإنترنت





الرئيس الكذاب، وتأكيدها ذلك تعود بالذاكرة إلى ما كان من مآل الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون بسبب الكذب، إذ أعلن في أمريكا آنذاك أنه لا شيء يبيع كالمرحاض بعد أن تم القبض على خمسة أشخاص كشفوا أوراق نيكسون، وأجبر شخصاً الرئيس على الاستقالة بسبب الكذب، وكتبت الصحف صراحة أن الرئيس نيكسون كان كاذباً لعيناً، وأشير في الحديث عن حياته أنه كان أيضاً طفلاً كاذباً منذ طفولته.

الرافة والمصطف

تعد الرافة أو الرفق بالحيوان والعطف عليه أحد أهم الملامح التي يحرص المخلصون لصناعة صورة الرؤساء على تأكيدها؛ كقيمة أو سمة أساسية في شخصيتهم، إذ أنها من القيم الغريبة الرافسة لديهم؛ ذلك أن القتل الحياتي الأليف له آثاره السياسية؛ لذلك حرص عدد من الرؤساء الأمريكيين على القتل حيوان أليف في البيت الأبيض (كلاب أو قطط على وجه الخصوص) سعيًا وراء زيادة شعبيتهم، وجمع قدر أكبر من التأييد الشعبي لسياساتهم.

وبالإضافة إلى الرافة والرفق بالحيوان، يأتي التمسك والحنو على الأطفال في نفس المنزل؛ إذ أن ذلك الحنو والتعاطف يفتح صاحب الصورة شعبية لدى الجماهير، ويعد ملمحاً أو سمة لا بد من توافرها في الصورة الغروية للرؤساء في الغرب، ولعل ذلك ما جعل ولي عهد بريطانيا الأمير تشارلز في إطار سعيه الدائم لتغيير صورته أمام الجماهير البريطانية، يقوم واكتساب التعاطف الشعبي، يقوم

على مصراعيه لمناقشة واسعة، تناولت نظام تمويل الحملات الانتخابية برمتها، وبالتالي دخل الرأي العام الأمريكي كله طرفاً في المناقشة؛ بإجراء استطلاعات رأى أسفرت عن تأييد الأمريكيين بنسبة ٧٨٪ لإصلاح نظام تمويل الانتخابات.

وعلى نفس المنوال نجد أن عدم الوفاء بالوعد أو الحث بالوعد، كنوع من أنواع الكذب والمراوغة أو الخداع، أمر غير مقبول من المماسة والرؤساء في بريطانيا أيضاً، ويستوجب الاعتراض على ممارسته، كما حدث إيان الخائف الأنجلو/ أمريكي لضرب العراق حينما استقالت وزيرة التتبع البريطانية كلير شورت من منصبها بسبب ما وصفته ببحث رئيس الوزراء توني بلير لوصوده السابقة لها بشأن اعترافه إعطاء دور أكبر للأمم المتحدة في إدارة شؤون العراق بعد انتهاء الحرب، وأعلنت صراحة أنها لا تستطيع الاستمرار في حكومة بلير لهذا السبب.

وتكمن خطورة الكذب في أنه كان أساساً لاتخاذ قرار خطير، هو الدخول في حرب الأمر الذي اضطر كل من بوش وبلير إلى التغطية على التكلفة الكبرى المتعلقة باقتلاع العراق لأسلحة دمار شامل يسلمه من الكاذب الأخرى، دعا أصواتاً كثيرة في الكونجرس الأمريكي، ما بين جمهوريين وديمقراطيين إلى مطالبة بوش بقول الحقيقة، والاعتراف بالخطأ في شن الحرب على العراق، وبأنه فشل في خطوات كثيرة تتعلق بهذه الحرب، والأهم في نظره أنه فشل في المحافظة أمام العالم على القيم الأخلاقية والإنسانية التي أرساها الأبناء المؤسسون للولايات المتحدة.

وإذا عدنا بالزمان قليلاً فسجدنا أن الشعب الأمريكي لا يحتمل طويلاً

أن كل رؤساء أمريكا يرددون النظارات الطبية، لكنهم لا يحبون أن يراهم أحد في مكان عام وهم يضعونها على أعينهم؛ لما تمنحه لهم من سنوات عمر أكبر.

والشباب ليس قيمة محظنة في حد ذاتها.. لكن الجماهير العريضة تستهجن من هو أقرب للشباب في النهاية؛ حرصاً على تجديد الأفكار ورغبة في التغيير، وأملًا في استمرار الحياة بصورة أفضل، وسيطر على الحياة الغربية صموءل عرف غير مكتوب يقول: إن رجال الأمل لا يستطيعون حكم البلد؛ ولهذا يغير الشاب رأيه أحياناً لجرة التغيير.

وتريد الشعوب في الغرب من تكريس انتخاب الشباب أن يكون للرئيس شخصية «موزن»، أو عصرية وحديثة ليس من حيث المظهر فحسب، بمعنى أن يرتدي أحدث الألبسة، أو أن يكون كما يقول الشباب في تعبيراتهم المستحدثة، «ستايل» أو Style، أو يمارس الرياضة بانتظام. ولكن بمعنى أنه يحسن التعامل مع المختبرات الحديثة، ويعيش عصره بكل تفاصيله.

الصدق

لعل الصدق من أهم محددات الصورة، ومن أبرز سماتها على المستوى النفسي في الغرب، فهم يرون أن الصدق الصفت التي يجب أن تبنى عليها صورة الرئيس أن يكون صادقاً، فقد قيل منه: ما لا يقلبه نحن في العالم العربي، مثلاً من صفات أخلاق. كما حدث بالنسبة للرئيس كليتون، فقد قبلوا بالفضل أن يستمر على كرسي الرئاسة، رغم اعترافه بممارسة الرذيلة.. ولكنهم لم يقبلوا أن يكون كاذباً، أو أن يحلف كذبا، فيما أسموه آنذاك «احتب باليمين».

والأمر في الغرب يتطلب من الرئيس ليس الصدق وحسب.. ولكن الصدق بكل معانيه من شفافية، وعدم تدليس أو إخفاء جوانب من الحقيقة، أو الحث باليمين، أو الكذب تحت القسم.. أي بمعنى تحقيق الشفافية المطلقة، والبدء عن الكذب بكل ألوانه المخفية، ويكل أطياف ألوانه المستحدثة.

ولا يتوخى الصدق فقط في المسائل الشخصية التي تشوب الرؤساء.. ولكن يمتد ليشمل كل ما يمكن أن يسه إلى السمعة السياسية لهم ولأحزابهم، ويتنوع لذلك ما حدث من الجمهوريين يوم فتحوا النار على كلينتون وأنشبه إلى جور، وطالبوا بالتحقيق في شوايل حملتهم الانتخابية الثانية عام ١٩٩٦م، بطريقة مخالفة للقانون، الأمر الذي فتح الباب

التدوين

لم يكن التدوين.. أو حتى التظاهر بالتدوين يعد من السمات الأساسية، التي لا بد من توافرها في الرؤساء المحدثين في الغرب، وتحديدًا في أمريكا.. لا بل ولم يكن خبراء الصورة يركزون على تأكيد هذه السمات في برامجهم، كما أنهم لا يروجون لسمات ترتبط بقيم مثل، الصدق، والرافة أو الرحمة من منطلق ديني.. بل كان حرصهم على تأكيدها من منطلق أنها سمات إنسانية محببة، يمكن أن تحقق الصورة الذهنية المرغوبة لأي مرشح بغض النظر عن كونه متدينًا أم لا، عدمه، فالدين في الغرب ظل لعقود أشبه بالموتور في الحياة الفكرية، وأماكن المورثة هناك أشبه بالمرزقات السياسية، وما كان إلا أنهم لتقيمى الصدق والرحمة إلا كمكمل لقيم اجتماعية مغلقة.

أما هم فلم يعد التدوين.. منذ هزلوا بين الدين والدولة، محياراً لأصيار شخص ما إنساناً جيداً أو سيئاً، مواعناً صالحاً أو طالحاً، وبالتالي لم يكن التدوين مسؤلاً لاختيار مرشح، أو تقضي على سواه من المرشحين للتراسة في الدول الغربية حتى فترة وجيزة مضت.

وقد كان معنى التدوين لديهم المثل من عدمه، أو لا يعني أية مواظبة على ممارسة طقوس معينة، أو الإيمان بكل ما تأتي به الكتب السماوية، وما يدعوه له الأنبياء، ونسطيع القول بأن التدوين قد بدأ اعتباره قيمة أساسية، يحسب لها ألف حساب في الانتخابات الرئاسية في أمريكا بالذات، خاصة مع تناسل المد الديني بوجه عام في كل العالم، وبين أصحاب شتى الديانات.

ولعل استخدام الدين وإدعاء التدوين يعد أمراً بالغ التعقيد في المجتمعات الغربية عامة والمجتمع الأمريكي على وجه الخصوص.. نظراً لأن هذه المجتمعات قد عاشت لعقود تمارس الكثير من الحريات التي أبعدتها كثيراً عن تعاليم أي دين ساوي، وتفصل بين الدين والدولة، وتبيح العلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج، كما تبيح الإجهاض، والقمار والربا والخمر.. بل والشذوذ





الجنسي، وحتى الحريات التي تدرج مطالبات بشأنها ضمن أولويات الناخبين في أمريكا، ومن غير المحلول أن تنقلب فجأة إلى التخلي عن كل هذه الحريات، وأن تمنح أصواتها الانتخابية للرؤساء يرفضون هذا كله ويعودون بها إلى عصور خلت، أو يقربونها من المجتمعات الإسلامية التي يرون أنها مجتمعات خرافية بشكل أو بآخر.

وقد أصبح الأمريكيون يعملون الف حساب لأصوات الناخبين المتدينين ويجارونهم، ويرسمون صور الرؤساء لتتفق ورغبات هؤلاء المتدينين الجدد! الأمر الذي جعلني أرصد التدين كقيمة بدأت ترسخ في برامج صناعة الرؤساء.

الوسائل والأساليب

خلصت من هذه الدراسات التي قام بها الأمريكيون: لدراسة أفضل الوسائل الإعلامية التي تستخدم في صنع صورة الرؤساء، إلى أن أخبار المساء في التلفزيون (Evening news) من أهم هذه الوسائل، وأكثرها تأثيراً على الناخبين.. رغم اعتراضها بما للصناعة من دور فريد لا يستطيع التلفزيون أن يحققه، إلا وهو زيادة حصة المعلومات، والحاجة إلى وسيلة التلفزيون.. ليس السبب الأول للإسراف فيها الاعتقاد عليها لتقديم الشخصية، لأنه قبل عصر التلفزيون أيضاً كانت السمات الشخصية للمرشح في الأوراق الرابحة للسياسي، عندما كان المرشحون يصافحون باليد، ويقبلون الأطفال، ويقدمون السجائر؛ فالفرض كان الإقناع المستويين أو الناخبين أن المرشحين أقوياء، وعطوفون، وكراماً، والتركيز على الجوانب السياسية يعتمد على حقيقة أن معظم الناس مهيئون، أو تراخون لتقدير كون المرشح مقبولا وجذابا بوجه عام، والحقيقة أنه من خلال التلفزيون يستطيع معظم الناس أن يشعروا بود ويقربوا من المرشح للرئاسة، ويرافقوه عن كثب.

وتقدم مثل هذه الدراسات العلمية الدقيقة تحليلاً كميًا، يمكن الاستفادة منه في الحملات اللاحقة، كي يتحقق النجاح المأمول للمرشح المرتقب، حيث إن للظهور المتعدد مدلولاً معيناً، وللظهور في مشهد كبير من الناس مدلولاً أكبر، يقتضي من منسقة الحملة الانتخابية التركيز عليه أو الإكثار منه؛ لما يعطيه من ملامح شعبية، يفترض ترسيخها في أذهان جمهور الناخبين؛ كي يتحقق الانطباع المطلوب، والمخو وبمدى شعبية المرشح للرئاسة.

هذا بالإضافة إلى أهمية التوقيت الذي يفرض فيه هذا الظهور للمرشح، وهو أمر مخطط له بدقة ولحرص، فيأبى بأهم أوقات المرض، أو بذروة المنافسة لدى جمهور التلفزيون. وتمنح ذلك مراعاة تخصيص وقت معين للخطابات الحملة الانتخابية، ترمز في مظاهر الاحتشاد حول الرئيس وجولاته بالسيارة، واستعراض نتائج الاستفتاءات أو الاقتراع، وعرض الاستراتيجيات، والجهد الضخم الذي يبذله رجال المرشح في حملة الدعاية، وهناك وقت معين يتم فيه تقديم ملفات شخصية المرشح ومؤهلاته القيادية، ووقت يخصم لنشر مواقف المرشح من ملفات القضايا الانتخابية، فلا شيء يترك للصدفة والمقادير، كما نعمل نحن في عالمنا الحربي، فكل شيء له شيء، ففجاننا الظروف بما يجعل نتائج تخطيطنا تأتي بعكس المأمول منها تماماً، ونقلب الآية على رأس المرشح والمخططين، وربما الناخبين أيضاً.. هذا إذا كان هناك لغة تعليمية علمي لرسم صور الرؤساء أو المرشحين من الأساس؛ وفي العادة يتبع المرشح، الذي يتفق ترتيب أولويات القضايا الملحة لديه، مع ترتيبها لدى جماهير الناخبين، والذي ينجح في عرض سياسته حيالها بشكل فريضهم، ويتفق مع مدى إباحها لديهم، واتفاقها مع مصالحهم وأولوياتهم، ويتم في العادة قياس المتوسط بين كل هذه القضايا.. ولا يعتقد بالطبع بكثرة عدد الطروح من القضايا أو قلته؛ لأن الناخب الأمريكي الواعي يشرق بكاء بين ما يمكن تحقيقه، وما يدخل في إطار الوجود الانتخابية، التي يقدمها المرشحون لجماهير كدعاية انتخابية لن تتحقق.. لا بل ولن يسمى المرشح لتحقيقه من الأساس؛ ربما لأننا نتعارض مع مصالح جماعات الضغط،

أو أصحاب المصالح الاقتصادية الضخمة، أو لأن تحقيقها يدخل في دروب المستحيلات، التي يجب أن لا يتزلق المرشح للوعده بها؛ طالما أن تحقيقها ليس في إمكانه، وبالطبع تقاس شعبية الرئيس أو المرشح للرئاسة بمدى تماطيه مع بعض القضايا، التي تمثل أهمية قصوى لدى المواطن الأمريكي، وتتحصر في: البيئة، والاقتصاد، والسياسة الخارجية.

ويحتج خبراء صناعة الصورة في أمريكا المرشحين، بعدم من المؤثرات السمعية، والبصرية (Video & Audio) لتكون مريحة لأذهانهم التلفزيونية والإذاعية، وقد يتصور البعض أنها خلفيات غير مقصودة.. لكنها في حقيقة الأمر جزء من ملامح الحملة يمتد بها كجزء من إخراج المشهد، فكل هذه الحملة الدعائية، مخرجة ومهندسة ديكوراتها، ومهندسة صوته، وعمال الإكسسوار، والإضاءة.. إلخ، وكل هذه الأمور مُصممة ومقصودة، ومدرسة بعناية بوصفها عنصراً مساعداً في إخراج المشهد، وجعله مؤثراً في الجماهير.. ولكن بما يوحى بالتلقائية ودون مباشرة.

وغالباً ما يصمم مصممو الحملة الانتخابية إلى الاستشهاد ببعض الآراء لصالح المرشح للرئاسة، ويتخبرون أن يحدث ذلك في الأماكن المزدحمة، والأثناء عبور الشوارع المخططة، ويتمعدون أن يتخبروا من يكون بأرائهم في جو من المرح والتلقائية باختلاف متعدد أيضاً في الأعمار والمهن، ويركزون على ذلك بشدة، ويربزون أهم ما جاء في حديث هذه العينة العمودية من البشر، وكانها اختبرت عتواتياً.

كذلك تناولات بعض الدراسات الأمريكية الحديث عن الصورة الفوتوغرافية، ودور اللقطات في صنع

الصورة الذهنية للمرشح من حيث زوايا التصوير، والإضاءة، والحركة، والملاح، والفتات، وحجم الصورة، والتضاد والجماهير حول المرشح، واستغلاله وحركة بدء، والتحامه للجماهير، أو وجودهم وسطهم، وتوقيعاتهم، وإنصاته إليهم؛ ذلك أن صورة رجل الشراع مع المرشح.. إذا ما كانت صورة نادرة تعكس بساطة المرشح، ومدى قربه من الناس، وتظهر بساطة ملايحه تخدم كثيراً في تحقيق الصورة الذهنية المرغوبة له.

وتظهر هذه الصورة أيضاً دور المرأة في هذه الحملات، خاصة زوجة المرشح كواجهة مكملة مهمة في أمريكا، كما سبق القول. إلى جانب التركيز على الوجود الجميلة، والظهور مع التجمعات، والارتباط بين المرشح والزمن سواء تملتت في علامات الدولة أو الأثرية.. كذلك تظهره في الصور مع مستشاريه، أو القالمين بها، كالمعلمة، وأظهار مدى إرفاقهم، وتعاديتهم من أجله.

كما تظهر هذه الصور تعاطف الجمهور مع المرشح، مستغلاً فيما يطلقون من صفات أو صفات، أو ارتداء ملابس تحمل اسمه أو شارته أو صورته، على أن تعكس الصور مرح الناخبين، الذي يؤكد قنعتهم في مرشحهم، كما يتم رصد حركات الأيدي أثناء المناظرات كشرط سيئمالي فوتوغرافي؛ يوضح انفعال المرشح وحساسه، وحساس مؤيديه أيضاً.

أما من هذه الحملة التي يتم توزيعها ضمن الدعاية كالقبعات والكبايت، والقمصان والبايلون الذي يحمل اسم المرشح، فكلها تحول الحملة إلى مهرجان تجاري، ويؤدي دوره أيضاً في نفث انطباع المطلوب إلى ما يمارسه المؤيدون المشاركون في الحملة.

ويدخل في إطار ما تعكسه الصور الفوتوغرافية من مظاهر نفث الانتباه؛ عمل تماثيل للمرشح في المصايف، وتركيز الصور على مد الأيدي إلى المرشح، وانطباع الجماهير نحوه شخصياً أو نحو سيارته، ومحاولاته لتهدئتهم، ومحاولات الشرطة لتجميع مدافع الناخبين.. ناهيك عن استخدام الأطفال في الحملة، وصورهم وهم مشهورون به؛ ينظرون إليه مشبهين.. وحتى الرضع وأمهاتهم الذين يشاركون في الحملات، وتصوير تعاون رجال الأمن وحملهم للأطفال وسط تزامم الناخبين، كما تركز الصور الفوتوغرافية على إظهاره حتى المسنين يشاركون في الحملات، وتبدو صورهم مؤثرة جداً وسط الزحام، بالإضافة إلى محاولات إثارة التعاطف الإنساني مع

المرشح؛ بالتركيز على جرح في يد ملائكة أثناء الحملة..





لا بد من القول بأن تمكنهم من عملهم ووضوحهم لبرامج غالباً ما تنجح في التأثير في الناخبين.. لا يتم بالخداع والتضليل، ولا حتى بإقناع استخدام أساليب ووسائل العلاقات العامة المعروفة فقط.. ولكن لا اعتمادهم على مدد من العلوم المتصلة بالنفس البشرية وبالأجتماع الإنساني، ومعرفة بمبادئ وتقاليده المجتمعات التي يتوجهون لها ببرامجهم، وإدراكهم لرغبات الناخبين، ومتابعة تطور هذه الرغبات، ومعرفة بهم بالأهواء وتبديلها من حقبة لأخرى، وتفهم العوامل المؤثرة في ذلك، بالإضافة إلى اعتمادهم على كل جديد ومفيد في البحوث العلمية والأثريولوجية، وآخر المستجدات التي يمكن أن تفيدهم، في تصميم برامجهم لتشكيل الصورة أو تحسينها.

ففي مجال العلاقات العامة كعلم وفن له أصوله وقواعده التي ابتدعتها، واكتنتها، وصدرتها أمريكا للعالم كله، تبسوا كل الأمور مرتبة ومنسقة، فالعلاقات العامة ليست للترفيه والتسلية، وإنما للقيام بعمل جاد محسوب، ومدرّوس جيداً.

ويؤكد داعم تشومسكي: أنه في خضم نظام صناعي ناجح ومخطط، يمكن تصنيع الإجماع وتوجيه الجماهير نحو وجهة محددة، وطمس الحقائق والأحداث المراد إخفاؤها، والتلفيط عليها، بحيث يردد القطيع الشعارات، والدعايات التي تم تلقيها له! وما يعيننا هنا من كل ما سبق هو التأكيد على خطورة أساليب ووسائل صناعة صورة الرؤساء، والتنبه إلى فنونها وآلايتها، وأكاديبها، وما توهبه الجمهور لاختيار رئيسه بأسلوب القطيع المساق.

والخلاصة أن الأعياب صنّاع الصورة الذهنية لا نهاية لها، وكلما كشفت لربة، استبدلوا بأخرى إلى أن تنكشف، وعقبة الأمر أن هناك عوامل كثيرة تتحكم في عملية اختيار الرئيس غير مميزاته الشخصية.. بل إن عمليات الترغيب والترهيب، وجماعات الضغط، وحسابات القوى، واللوبي الصهيوني، والتأثيرات الاقتصادية، والشركات العملاقة، وأصحاب رؤوس الأموال الضخمة... إلى غير ذلك من عوامل كلها لها تأثيرها، ويعمل لها ألف حساب في تشكيل الصورة الذهنية ورسم ملامحها بكل دقة، بحيث تؤثر على الناخبين نصف المثقفين، ومعهمو الثقافة؛ ليتجمع للمرشح للرئاسة كم هائل من الأصوات المؤيدة.. غير المدركة للحقيقة. ■

وتصوير المرشح وهو يهبط من طائرة وكأنه قادم من السماء، وصور الفرق الموسيقية العسكرية، وكأنها تزف المرشح.. هي شكل كرنفالي!

ذلك عن الوسائل التي تؤثر في تشكيل الصورة أما عن الأساليب التي تتبع لتشكيلها أو التأثير فيها، فهي كثيرة أيضاً، نذكر منها: المرافعة، والتبرير، والترهيب، والإسقاط... إلخ، ومنها أيضاً الأسلوب اللغوي، الذي يعتمد على علم الكلام السياسي، والتلاعب بالكلمات، وإبراز مثال على اللعب بالكلمات، وقول نصف الحقيقة، والتجاذب في التهرب من الاتهامات، وتبرير الأخطاء ما كان يمارسه بيل كلينتون وفريقه.

ولا يجب أن ننصّر أن خبراء الصورة يمتدّون فقط على القيم المظهرية الخارجية.. لكنهم أيضاً يدرسون الجوانب المتعلقة بعلاقة الرئيس بالنااس بطبقاتهم المختلفة، والمتعلقة بسياساته الاقتصادية، وأثرها على الشعب، ولا يكتفي خبراء الصورة بفترة الانتخابات فقط، أو بالتركيز على برامج معينة، لتشكيل الصورة وتحسينها في بداية حكم أي رئيس وممب.. ولكن يظلون يتابعون تقييم الحملات والاستشارات التي ينالها الرئيس طوال فترة حكمه، كمؤشر على مدى حرصه على مصالح الأمة الأمريكية، وبالتالي الاحتفاظ بصورته كراع لها، وحرصه على مصالح الشعب الذي انتخبه.

أما عن التوقييت فله أهميته القصوى، إذ يبدأ التشكير في الحملة الانتخابية، وأساليب رسم صورة الرؤساء مبكراً جداً، فهم يرون أن من يبدأ باكراً يصل بالتأثير، في حين يتسفل من يبدأ لاحقاً بطرح صورته بالرد على ما يرد في حملات سابقة، فتصعب الحملة صدى وليست صوتاً.

ولا يقتصر الأمر على أمريكا بالذات في استخدام وسائل وأساليب متنوعة ومبتكرة، لتشكيل صورة المرشحين للرئاسة.. ولكن لكل دولة غربية أساليبها، التي تتفق وتقاطعت وتراخا، والتي تختلف عن غيرها من الدول، وهذا الأمر بالذات مرعى جداً في معظم الدول المتقدمة التي تفتني مثل هذه البرامج المبنية على أسس علمية، وعلى أساس ما تضر عنه الخبرات والتجارب السابقة، في حين بدأت تلجأ في العام العربي إلى أمركة حملاتها الانتخابية.. دون تدبير لخطورة الاختلاف القيمي بين المجتمعات، فما ينجح هناك ليس بالضرورة أن ينجح أو حتى يقبل هنا. وقيل إن نختم الحديث عن الأعياب وفنون صنّاع الصورة الذهنية في الغربية

الشرق العربي

AL-ARABI



□ الإصلاح البيئي والعدالة وحقوق الإنسان

□ أزمة التعليم العالي.. مقاومة الإصلاح والتطوير

□ الهوية وثقافة التولمة

□ من أسرار السياسة و

□ الطبيب صالح (صفحة بعد)

غنية للناس والمجمل والفقير (استطلاع صور)

□ العراق والسراقة.. ضيفه المواضيع

330



ثالث طائرة ايرباص تتضم لأسطولك الجوى لخدمة السياحة و الاقصاد القومى

ت الطائرة ذات امكانيات عالية لراحة و رفاهية الراكب

ت تضم ٢٤٤ مقعد بطرقة السياحة و ٢٤ مقعد بطرقة رجال الأعمال

ت المسافات بين مقاعد درجة رجال الاعمال تعادل المسافة بين مقاعد الدرجة الاولى
... مما يتيح الراحة والاسترخاء

ت قنوات متعددة للموسيقى و الغناء ... و شاشات فيديو ..

ت مع نظام جديد يتيح للراكب اختيار ما يسمعه أو يشاهده فى الوقت الذى يريده

ت تصميم انسيابى يعطى مساحات كبيرة لراحة الراكب



EGYPTAIR

www.egyptair.com.eg



مشوار العمر مع الدبلوماسية المصرية

عبد الرؤوف الريدى

حتى انقسم المتصورون على انفسهم ما بين معسكر شرقى ومعسكر غربى، جاء جميع بانندونج ليعلم ان شعوب افريقيا وآسيا لا ترغب فى الالتحاق بأى من هذين المعسكرين لأن ما يهمهم هو التحرر من رقة الاستعمار فى نفس الوقت الذى تدعو فيه العالم إلى الباع سياسة التعايش السلمى والتي صاغ مبادئها الزعيمان الآسيويان الكيران نهرو وشوان لى قبل اجتماع بانندونج.

لم يكن عبد الناصر عندما ذهب إلى بانندونج قد حقق فى مصر زعامته التاريخية التى لم تنمقد له إلا بعد عام من خلال معركة السويس، ولكنه مع ذلك كان قد حقق شعبية كبيرة فى العالم العربى نتيجة لقاموته لسياسة الأحلاف العسكرية وحلف بغداد على وجه الخصوص الذى لم يكن مقبولا لدى الجماهير العربية، وكانت بانندونج محطة هامة فى منحته صعود نجم عبد الناصر وظهوره كزعيم قادم لصر وللعالم العربى، عندما ذهب عبد الناصر إلى بانندونج كان مشغلا بموضوع الحصول على السلاح لصر حيث لم يكن قد مضى سوى شهرين على الغارة الإسرائيلية على غزة وما ملته من حبر زعامته، إذ لم يكن لدى الجيش فى مصر من السلاح ما يستطيع أن يرد به على انداء الاعتداء أو أن يردع به إسرائيل عن القيام بامتدادات أخرى فى المستقبل، فبدأ عبد الناصر لذلك يبحث عن السلاح، وأرسل اليهوديين إلى الوصام الغربية فى أوروبا كما أرسل على سبيل إلى الولايات المتحدة من أجل الحصول على السلاح لصر إلا أن هذه المحاولة لم تكتب لها النجاح لأن أسواق السلاح فى الغرب كانت موصدة أمام مصر.

كانت الدولة العربية تطيق ما عرف آنذاك بالتصريح الثلاثى الصادر عن الولايات المتحدة وفرنسا وإنجلترا، والذي كان يقضى بحظر تصدير السلاح إلى دول الشرق الأوسط. كان إسرائيل كان لديها السلاح الذى حصلت عليه من قبل من الدول الغربية، وبنت به قواتها المسلحة التى حاربت الدول العربية عام ٤٨، كما كانت لها طرقها بعد ذلك فى

سوى أصوات محدودة فى التى ادانت هذا التكرير، وأسجل هنا أن جريدة «صوت الأمة» كانت هى الوحيدة تقريبا التى أقرت لهذا الموضوع صفحة كاملة استقنتها من كتاب الأستاذ عادل حمودة حول هذا الموضوع وعنوانه «صلية سوزانا».

تخرجت من كلية الحقوق عام ١٩٥٤، وخضت امتحان المسابقة فى السلك الدبلوماسى المصرى للملحقين الدبلوماسيين وتم تعيينى فى وزارة الخارجية بعد أيام من انعقاد مؤتمر بانندونج، انعقد المؤتمر فى ٢٢ أبريل ١٩٥٥ وعينت فى الخارجية فى ٢٧ أبريل ١٩٥٥، وفى دواوين هذه الوزارة العتيبة التى أصبحت بعد ذلك جزء من حياتى... استمعت عما دار فى بانندونج... هذه المدينة الصغيرة الواقعة فى إحدى جزر اندونيسيا التالية... انعقد المؤتمر تحت عنوان التضامن الأفريقى الآسيوى... وشاركت فيه مجموعة من الشخصيات التى قاد كغاح آسيا وأفريقيا من أجل التحرر الوطنى والاستقلال... كانت أغلب هذه القيادات من آسيا... شواين لى رئيس وزراء الصين وجواهر لال نهرو رئيس وزراء الهند ووليف غاندى فى الكفاح من أجل الاستقلال وسوكارنو رئيس اندونيسيا الذى قاد كغاح اندونيسيا ضد الاستعمار الهولندى... وأونو رئيس وزراء بورما... أما الزعماء فكانوا يمثلوا الرئيسى هو هذا الشاب المصرى الأسمر ذو الأعوام السبعة والثلاثين الذى قاد الثورة على ضفاف النيل ضد الحكم الملى وقد الاستعمار البريطانى... وأصبح زعيم مصر...



اجتمع هؤلاء القادة سويا وكان تجمعهم فى حد ذاته بمثابة إعلان عن وجود عالم آخر غير عالم تلك الدول التى خاضت وانصرفت فى الحرب العالمية الثانية... والتى ما أن انتهت عام ١٩٤٥

طوقت بذهننى هذه الأحداث فى الأسابيع أو بالأحرى فى الأيام حديثا وخصوصا عندما دخلت قصر الرئاسة فى مصر الجديدة يوم ٥ مايو ٢٠٠٥ للاحتفال بمرور مائة عام على إنشاء صاحبة مصر الجديدة... وكان مكان الاحتفال هو مقر الرئاسة الذى كان من قبل هو فندق هيليوبوليس دة هذه الضاحية الجديدة التى قامت فى الصحراء الملاصقة لقاهرة العز. تلتابت أو قل تددت الذكريات... فهنا منذ خمسة وأربعين عاما عملت لأول مرة فى مكتب المستشار السياسى للرئيس عبد الناصر، المرحوم محمود رياضى... وكانت أولى مهامى المساعدة فى الإعداد لأول مؤتمر لوزراء خارجة دول عدم الانحياز الذى انعقد فى هذا المكان بعد تحويل فندق هيليوبوليس لتشغله مكاتب الرئيسى عبد الناصر، وحركة عدم الانحياز هى فى الواقع امتداد لحركة التضامن الأفريقى الآسيوى التى أطلقتها مؤتمر بانندونج الذى تم الاحتفال بمرور خمسة أعوام عليه فى ٢٧ أبريل ٢٠٠٥. من ناحية أخرى، منذ أسابيع قليلة جاءت الأنباء من إسرائيل مؤخرا لتحمل خبر قيام الحكومة الإسرائيلية، وتحديدا رئيس إسرائيل بتركيز الإزهايبين الذين انضموا إلى قيد الحياة لقيامهم بأعمال إزهايبية فى مصر... وقد صقنتى هذا النبأ... إذ لم أنصون أن يأتى يوم تكرم فيه دولة - حتى لو كانت هذه الدولة هى إسرائيل - انما لقيامهم بأعمال إزهايبية... كانت كلها أهدافا مدنية... كيف يبلغ الكبر والصلف والشعور بالتعالى بقولة يتصور معها حكماءهم أنهم قادرين على تحدى متصارع الآخرين إلى الحد الذى يجعلهم يكرمون الإزهايبين الذين وضعوا مواد متفجرة على الأماكن التى يؤمها الناس مثل المكتبات العامة ودور السينما والنسودى... ويجرى تكريم هؤلاء الإزهايبين... الأحكام منهم والأموات - وسط صمت ممل لم يسمع فيه كلمة إدانة واحدة من الشرق أو من الغرب بل حتى هنا فى العالم العربى... لم يكن هناك

■ فيما بين عام ١٩٥٤، العام الذى تخرجت فيه من كلية الحقوق جامعة القاهرة، وعام ١٩٥٥ العام الذى التحقت فيه بوزارة الخارجية، ولدت أحداث أربعة تفاعل كل منها مع الآخر كما تفاعلت مع أحداث أخرى فى ذات العامين لتتصنع نسج الدبلوماسية المصرية لعام ١٩٥٥ الذى اعتبره عام البداية فى حقبة دبلوماسية ثورة ١٩٥٢، أو بعبارة أدق حقبة عبد الناصر.

كان أول هذه الأحداث -عصلا إزهايبيا، وكان ثانيها عصلا عسكريا، وكان ثالثها حدثا دوليا كبيرا، وكان رابعها عصلا دبلوماسيا اختراقيا Breakthrough.

أول هذه الأحداث الأربعة هى سلسلة العمليات الإزهايبية التى قامت بها مجموعة العملاء الذين أوفدهم إسرائيل إلى مصر عام ١٩٥٤ لفسف المنشآت الأمريكية والبريطانية فى القاهرة والإسكندرية من أجل تدمير الأجواء بين مصر والغرب أو بين مصر والولايات المتحدة تحديدا، والتى صرلت بعد ذلك بنصحية لأونو أو عصلية سوزانا، وكان ثانيها هو العدوان الإسرائيلى على الجيش المصرى فى غزة فى فبراير ١٩٥٥، والثى راح ضحيته عدد كبير من الضباط والجندو المصريين وكان بمثابة تحدى لقيادة الزعيم المصرى الجديد، جمال عبد الناصر، وكان الحدث الثالث هو مؤتمر التضامن الأفريقى الآسيوى الذى انعقد فى بانندونج بانندونيسيا، والذي كان أول حضور دولى لعبد الناصر، وصفت قادة آسيا وأفريقيا فى أول تجمع دولى كبير لقادة هذه الدول، وكان الحدث الرابع هو صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر مع إحدى الدول الكتلة الاشتراكية (تشيكوسلوفاكيا) ومثلت آنذاك اختراقا للدبلوماسية المصرية لنجاحها فى الحصول على السلاح رغم حظر تصدير السلاح على كان مروض عليها.

هذه الأحداث الأربعة ظلت لتلقى بطلانها وتقررت نتائجها وتحكم حركة الدبلوماسية المصرية لسنوات طويلة فيما بعد.



الحصول على الأسلحة من الدول الغربية بغض النظر عن التصريح التلاشى. فى بانديونج استطاع عبد الناصر أن يخترق هذه الحصار عندما تحدث مع شوايلى لاي رئيس وزراء الصين طالباً إليه أن يسعى لدى الاتحاد السوفيتى لتزويد مصر بالأسلحة، حيث لم يكن الاقتصاد السوفيتى طرفاً فى التصريح التلاشى... وكانت تلك هى الخطوة الأولى التى تبورت بعد ذلك فى صفقة الأسلحة التشيكية التى أعلن عنها بعد خمسة شهور... وهى الصفقة التى كانت لها تداعيات سياسية الأثر على مصر وعلى الشرق الأوسط بل وعلى السياسة الدولية وتوازنها بصمة عامة...



كانت العلاقات بين مصر والولايات المتحدة فى عام ١٩٥٤ بين رجال الثورة منذ قيامهم بحركة ٢٣ يوليو علاقات جيدة وواعدة... وخاصة بعد أن أبدت الولايات المتحدة مصر فى مفاوضات الجلاء وضعت على بريطانيا إنشاء المفاوضات المصرية البريطانية من أجل جلاء القوات البريطانية من الأراضي المصرية... وكانت الولايات المتحدة تولى الكثير من زعماء الثورة وتعتقد أنها من خلالها يمكن إيجاد حل للصراع العربى الإسرائيلى وأحال مصر ضمن منظومة الدفاع عن الشرق الأوسط ذى الأهمية الاستراتيجية للغرب، فجاءت صفقة الأسلحة التشيكية وما أعقبها من اعتراف مصر بجمهورية الصين الشعبية التى كانت تحارب النفوذ الغربى فى الشرق الأوسط لتوجه ضربة كبيرة لهدف التوغل، وبدأت الأحداث تتشابك وتتداخل فى مسلسل الصراع بين مصر والعرب، وكان هذا الصدام أساساً مع إنجلترا حين دعوتها لإنشاء حلف بغداد ومع فرنسا بسبب دعم مصر لثورة الجزائر التى قامت فى أول نوفمبر ١٩٥٤، ثم جاءت صفقة الأسلحة التشيكية فى عام ١٩٥٥ بعد بانديونج لتفتح باب الصراع مع الولايات المتحدة.

فى هذا الوقت أيضاً كانت إسرائيل بدورها تسعى لإضفاء العلاقات المصرية الأمريكية التاريخية... فظهر ذلك عندما ثبت أن رئيس وزراء إسرائيل آنذاك دافيد بن جوريون قد كلف وزير دفاعه اسحق لافون بإرسال مجموعات تخريبية إلى مصر لتقوم بعملية إرهابية فى مصر بما فى ذلك المنشآت الأمريكية والعراقية بما فى ذلك مكتبة السفارة الأمريكية ودور السينما التى تعرض

أفلاماً اجنبية وكان الهدف من هذه العمليات هو إفساد أجواء العلاقات بين الغرب وخاصة الولايات المتحدة وبين مصر وأليات أن النظام الجديد عاجز عن حماية الأجانب. ولقد أكد ذلك هدف إسرائيل الذى اتبعته منذ البداية وهو محاربة أية فرصة للتقارب بين مصر والولايات المتحدة. بل لعل بل جوريون قد هدف من عدوانه على غزة أن يدفع عبد الناصر للبحث عن السلاح من المعسكر الشرقى وبالتالي يزعج به فى طريق الصدام مع الولايات المتحدة. وهو ما حدث بالفعل... وتبقى سياسة إفساد العلاقات المصرية الأمريكية هدفاً ثابتاً للدبلوماسية الإسرائيلية.



فى يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٥٥ وصلت مع الزميل والصديق يوسف شرارة إلى نيويورك لاستلام عملنا كممثلين دبلوماسيين فى بعثة مصر لدى الأمم المتحدة، وكان أول ما سمعناه يوم وصولنا إلى أيارام صفقة الأسلحة التشيكية مع مصر التى تصادف الإعلان عنها مع يوم وصولنا إلى نيويورك، وفى اليوم التالى ذهبت إلى مقر البعثة المصرية الذى كان يقع فى فيلا رقم ٩٠٠ شارع بارك أفتوى فى جزيرة مانهاتن، وحضرنا حفل الاستقبال الكبير الذى أقامه وزير خارجية مصر آنذاك الدكتور محمود فوزى احتفالاً بنجاح وفد مصر بإدراج قضية الجزائر كبنء على جدول أعمال الدورة العاشرة للجمعية العامة للأمم المتحدة... وكان هذا النجاح هو أول بوادر نجاح لكل الضامان الأفريقيين الأسويى. فقد أعقب انعقاد مؤتمر بانديونج تكوين المجموعة الأفريقية الآسيوية بالأمم المتحدة وكان أهم بند على جدول أعمال

هذه المجموعة هو مساندة قضايا الشعوب الأفريقية والآسيوية. وعلى وجه الخصوص الكفاح ضد الاستعمار والعنصرية. كان من أول ما فعلته هذه المجموعة هو تشكيل لجنة لدعم قضية الجزائر... وعهدت لهذه اللجنة إلى السفير يوانات مندوب بورما الدائم لدى الأمم المتحدة آنذاك الذى ظل يرأسها حتى نجاح ثورة الجزائر وإعلان استقلالها وفخوها واضمحامها إلى بالأمم المتحدة عام ١٩٦٣... أما يوانات فقد نفضة فقد انتخب ليشتل منصب سكرتير عام الأمم المتحدة بعد حادث سقوط طائرة السكرتير العام السابق داج هرشلد عام ١٩٦٠.

كانت صفقة الأسلحة التشيكية بمثابة الحدث الذى جر منطقة الشرق الأوسط بعد ذلك إلى سلسلة من التصادمات التى تركت آثارها على شكل النظام الدولى وتوازن القوى الذى كان ساداً... تلازمه صفقة الأسلحة التشيكية مع حملة مصر ضد حلف بغداد... ثم جاء اعتراف مصر بعد ذلك بالصحى الشيوعى وتبادل التمثيل الدبلوماسى بعدها... وكانت الصين آنذاك هى التشين الأصغر الذى حارب الولايات المتحدة فى كوريا بعد نجاحه فى القضاء على نظام تشان كاي تشيك فى الصين... ثم ساعدت بعد ذلك حركة التحرر الوطنى الفيتنامية التى هزمت فرنسا عام ٥٤ فى معركة ديان بيان هو التاريخية، وبالتالي تصور دالاس وزير خارجية الولايات المتحدة أن الشيوعية بدأت تزحف بثقلها على منطقة الشرق الأوسط ذات الأهمية الاستراتيجية الحيوية للغرب وكان دالاس يعتبر أن الحياد بين الصراع بين العالم الحى وبين معسكر (المنار الحديدي، هو عمل غير مقبول بل عمل غير أخلاقى. فقرر



كانت بانديونج محطة هامة فى منحى صعود نجم عبد الناصر . عندما ذهب إلى بانديونج كان متشكلاً بموضوع الحصول على سلاح مصر حيث لم يكن قد مضى سوى شهرين على القارة الإسرائيلية على غزة



أن يدخل فى مواجهة مع هذا النظام الثورى الذى قام على مستوى النيل والذى جرى على تحدى الغرب وعقد صفقة السلاح مع الكتلة الشرقية والأعتراف بالصحى الشيوعية كان قرار دالاس هو سحب عرض تمويل مشروع السد العالى فى يونيو ٥٦ وهو المشروع الذى كان عبد الناصر يعلق عليه أملاً كبيرة فى تنمية مصر. وقد جاء هذا القرار بمثابة صدمة على وجه النظام الثورى الجديد... مما دفع عبد الناصر للرد بتوجيه ضربة مقابلة تلملت فى تأميم قناة السويس فى يوليو ٥٦... وكان هذا التأميم هو الذى أثار ثائرة الإمبراطوريين الاستعماريين المتدابطين فرنسا وإنجلترا صاحبتى أكبر قدر من الأسهم فى شركة قناة السويس... فكان تحالفهما مع إسرائيل فيما عرف بالعدوان الثلاثى يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ثم فشل هذا العدوان الذى عارضته الولايات المتحدة بفصل الرئيس إيزنهاور والاتحاد السوفيتى التى أجبرت فرنسا وإنجلترا وإسرائيل على انسحاب... وكانت تلك من الناحية العملية لحظة انتهاء الحقبة الاستعمارية فى العالم.



كان ظهور المجموعة الأفريقية الآسيوية فى مؤتمر بانديونج ودعوتها إلى مبادئ التعاون السلى إلى نزع السلاح بين الدول الثورية والى رفض سياسة الأحلاف والقواعد العسكرية الأجنبية يعنى أن ذلك تياراً ثالثاً بدأ فى الصدور على الساحة الدولية، وهو تيار لا يتحارب على مرمى البصر من الشرق أو الغرب، الأمر الذى لفت انتباه ذلك الزعيم الاشتراكى الذى رفض فكرة التكتلات وحفر من الكتلة الاشتراكية التى كان الاتحاد السوفيتى يهيض عليها آنذاك... كان ذلك القائد هو الرئيس اليوغوسلافى جوزيف بروز تيتو... وكان تيتو يبعث عن جميع دولى يمكن أن يساندته فى موقفه ضد هيمنة الدول الكبرى وخاصة الاتحاد السوفيتى... وكان طبيعى أن يعمل على توثيق علاقاته مع قادة التكتلات الأفريقى الآسيوى وهو ما فعله. وكانت زيارة تيتو الأولى لمصر ولقاءه مع عبد الناصر... ولم يكن ممكناً طبيعة الحال أن تنضم يوغوسلافيا الأوروبية إلى تجمع الدول الأفريقية الآسيوية... ومن هنا بدأ التفكير فى إنشاء تجمع أوسع لا يقتصر على الدول الأفريقية الآسيوية وإن كان

كتاب الزاوية



العروة الوثقى

مطامع الإنجليز

إن الإنجليز في ست سنوات جعلوا بعض الضيق في المالية المصرية ذريعة للانقلاب العظيم الذي حصل في مصر وألزموا الدولة العثمانية بمجاراتهم في ذلك الانقلاب، ودافعوا عن الدائنين وزعموا من المحال تنقيص شيء من الفوائد وطلبوا من الحكومة المصرية إذ ذاك تقليل عدد حاميتها ليتوفر من النقود ما يصرف لحقوق الدائنين واليوم عطفوا على المصريين «عطفه الأب الرحيم» وبسطوا أيديهم إلى الدول يلتصمون مساعدتها لتخفيف الفائدة مع معو حاميتهم الوطنية. ليست البلاد المصرية كسائر بلاد العالم تحتاج إلى حماية تحفظ حدودها من الخارج وتوصون داخلها من الغوائل التي لا تأمن طروقتها حكومة من الحكومات. إن في تلك القسوة الأولى والرحمة الثانية لئسراً عظيماً.

للإنجليز في مصر مطامع من زمن قديم يعدون سلطتهم عليها من ضروريات شوكتهم في الهند وفي خلداهم أن المصريين لو كانت لهم ثروة مالية وقوة عسكرية عظيمة فإنهم يمانعونهم فيما يريدون ببلادهم، فضيقوا على المالية في تلك الأوقات وألجأوا الحكومة لتمزيق قوتها العسكرية ليحصل الضعف في القوتين المالية والعسكرية فتهمد لهم طريق ما طمحو إليه. وكان هذا التدبير سبباً في الانقلاب الذي تبعته هذه الحوادث الهائلة. وبعدما فتح لهم بضعف الحكومة سبيل المداخلة في مصر طفقوا يسعون بما جلبوا عليه من الهوينا في المنى إلى مقاصدهم لإيجاد عنوان غير التملك يمنون به إقامة عساكرهم وأمورهم في تلك البلاد زمناً طويلاً. ويكون وضع ذلك العنوان برأى الدول تملصاً من الوعد الذي وعدوها به مع تقرب حواثل السياسة في أوروبا لعل حادثة منها تساعد على إبدال العنوان بما هو المطلوب لهم ورأوا من أحسن الوسائل لدعوة الدولة إليهم عرض المسألة المالية.

في هافانا - حيث انعقد مؤتمر عدم
الانحياز عام ١٩٧٥ - جرى ما يشبه محاكمة
مصر. ولقد استنصر الرئيس السادات هذه الأجواء
فلم يذهب لحضور المؤتمر وترك مهمة
تمثيل مصر للدكتور بطرس غالي



الرئاسة. أما مؤتمر القمة على مستوى
الرؤساء والملوك فقد انعقد بعد ذلك
بشهور في بلجارية عاصمة يوغوسلافيا...
وكانت هي أول مرة أرى فيها عبد الناصر
عن قرب في هذا المؤتمر ولم يكن هناك
أعضاء آخرون من وزارة الخارجية
باستثناء مكتب وزير الخارجية د. محمود
فوري. كان هذا اللقاء لقاء تاريخياً
بحق... حضرته كل هذه القيادات التي
قادت كفاح بلادها من أجل الاستقلال...
عبد الناصر، نهرو، تيتو، سوكارنو
(اندونيسيا)، سيكو توري (غينيا) موديبو
كيثا (مالى)... وغيرهم.

انعقد اجتماع قمة عدم الانحياز الأول
وسف أجواء أزمة كبيرة كانت تهدد بانفجار
الحشد بين العسكريين... العسكريين الشرقيين
بقية خروشوف الاتحاد السوفيتي
والعسكري الغربي بقيادة الرئيس الأمريكي
الجنرال الشاف جونسون. وكان ذلك
عندما قررت ألمانيا الشرقية إقامة حائط
يفصل بين برلين الشرقية وبين برلين
الغربية، نظراً لمؤتمر عدم الانحياز في هذه
الأزمة، وأقر إيفاد وفد إلى كل من موسكو
وواشنطن من الرؤساء لحثهما على عدم
القبول أي إجراء من شأنه أن يزيد من توتر
الأوضاع وإلى حل الأزمة بالطرق السلمية.
وكان لهذه الخطوة تأثيرها في تهدئة
الموقف واحتواء الأزمة.



أدى ازدهار حركة عدم الانحياز وقوة
الضغط على اكتسبتها واتساع دولتها التي
شملت إلى جانب أفريقيا وآسيا كلا من
أوروبا وقارة أمريكا اللاتينية... إلى القضاء
الوحيد الذي كان يندونج قد ولده بالنسبة
لحركة التضامن الأفريقي الآسيوي. ومع
ذلك فقد تقرر عقد مؤتمر كان بعد مرور
عشرة أعوام على بانديونج... وكان اقتران
ينعقد هذا المؤتمر في الجزائر عام ١٩٦٥...
ولم يكن قد مر سوى عامين وثلاثة أعوام
على الانتصار الأسطوري لثورة الملحين
شعبي في الجزائر.

إلا أنه مع عام ١٩٦٥ كان الخلاف
الكبير قد نشأ بين قطبي الحركة
الشيوعية، الاتحاد السوفيتي والصين...
وهو إطار هذا الخلاف قرر الاتحاد
السوفيتي أن ينال الصين في عقرباها

يتبنى أفكار التعايش السلمي التي قامت
عليها مبادئ بانديونج. كان قادة هذا
التجمع الجديد هم عبد الناصر من
أفريقيا ونهرو من آسيا وهيتو من أوروبا...
وكان أول وصف أطلق على هؤلاء القادة
الثلاثة هو أنهم قادة «الحداثة الإيجابية».
جرت لقاءات القادة الثلاثة أول ما جرت
في هذه الجزيرة الجميلة الواقعة في
البحر الأدرياتيكي في ولاية كرواتيا
إحدى ولايات الاتحاد اليوغوسلافي
آنذاك وهي جزيرة بريوني التي اقترنت
اسمها بهذه اللقاءات وسرعان ما تطورت
لقاءات القادة الثلاثة إلى صياغة
مستطورة لفكرة الحسياد
الإيجابية... لتكتسب اسماً جديداً هو
حركة عدم الانحياز...

بعد عودتي من نيويورك في يناير
١٩٦٠ طلبت إلى وزارة الخارجية أن أذهب
إلى قصر الرئاسة بصحبة الجديدة وألقي
نفسى للتعامل مع المرحوم محمود رياض
الذي اختاره الرئيس عبد الناصر آنذاك
ليكون مستشاراً سياسياً له وكان محمود
رياض من قبل سفيرا لمصر في سوريا وفي
عهد تمت الوحدة المصرية السورية
والفي بطبيعة الحال منصب سفير مصر
في سوريا ومنصب سفير سوريا في
مصر...

كان مكتب المستشار السياسي للرئيس
عبد الناصر في قصر الرئاسة في مصر
الجديدة (هليوبوليس بالاس سابقاً) وكان
إلى جانب محمود رياض كل المكاتب
السياسية المعاونة للرئيس عبد الناصر،
ولعل أهمها كان مكتب لشئون الأفريقيين
الذي كان يرأسه آنذاك المصديق العزيز
محمد فايق الرئيس الحالي للمنظمة
العربية لحقوق الإنسان. كان هناك أيضاً
مكتب لأوروبا يرأسه السفير مصطفى
مختار وآخر لآسيا يرأسه السفير حمدي
أبو زيد، ولشئون فلسطين برئاسة د. حسن
مصري الخولي، ولشئون العربية برئاسة
محمد المصري ثم محمود عبد
الناصر كان التحالفي بمكتب مستشار
الرئيس لشئون السياسة في أوائل عام
١٩٦١.

كلف الرئيس عبد الناصر محمود
رياض أن يعد لعقد أول مؤتمر لوزراء
خارجية الدول غير المتحاذ... وعقد هذا
الاجتماع بانقاعرة في قاعة جميلة على
الطرز الإسلامي في ربيع ١٩٦١ بمصر

كتاب الزاوية



العروة الوثقى

فرق تسد

ولما كان من المحتمل في آرائهم بقاء عساكرهم في الديار المصرية فلا بد من طلب وسيلة لطرد الجند المصري حتى تكون الحاجة إلى عساكرهم قائمة، هذه طريقة ربما خفيت على المصريين وغفل عنها كثير من الأوروبيين إلا أنها من الطرق المتعارفة عند الإنجليز، وهي التي سلكوها في البلاد الهندية ونالوا بسلوها السلطة المطلقة على تلك الأقطار الواسعة بدون سفك دماء غزيرة ولا مقاومة فتن شديدة. دمر الإنجليز «دخلوا بلا استئذان» على الهنديين في أراضهم وأنهبوا بينهم فتمكنوا من تقريق كلمة الأمراء وإغراء كل نواب أوراجا بالاستقلال والانفصال عن السلطنة التيمورية، فتمزقت المملكة إلى ممالك صغيرة ثم أغروا كل أمير بآخر يطلب قهره والتغلب على ملكه فصاروا الأراضي الهندية الواسعة ميادين للقتال، واضطر كل نواب أوراجا إلى المال والجند ليدافع بها عن حقه أو تغلب بها على عدوه، فعند ذلك تقدم الإنجليز بسعة الصدر وانهماسا الفص ومدوا أيديهم لمساعدة كل من المتنازعين وبسطوا لهم إحدى الراحتين ببدل الذهب وقبضوا بالأخرى على سيف القلب.

بدأوا قبل كل عمل بتفتير أولئك الملوك الصغار من عساكرهم الأهلية، ورموها بالضعف والجبن والخيانة والاختلال، ثم أخذوا في تعظيم شأن جيوشهم الإنجليزية وقوادها وما هم عليه من القوة والبسالة والنظام حتى اقتنع كل نواب أوراجا بالا ناصر له على مغالبه إلا بالجنود الإنجليزية.

الاجتماعات التمهيدية لم تنتج في جسم الموضوع بالنسبة لطلب الاتحاد السوفيتي. في الوقت الذي أخذت حركة التضامن الأفريقي الآسيوي تخلق طريقها للحركة الأوسع وهي حركة عدم الانحياز، أخذت الأخيرة تنمو وتكبر بفضل القيادة الثلاثية نهرو ولتو وعبد الناصر. وظلت الحركة تكسب في كل يوم أعضاء جديدا من مختلف القارات ثم جاءت وفاة نهرو في منتصف الستينيات وبسببها جاءت حركة سواهاردو الديمقراطية التي أطاحت بـموكارنو..



كانت كارثة ٦٧ بمثابة النهاية العملية لعبد الناصر.. وإن كانت مصر قد بقيت لا ميا رئيسيا هي حركة عدم الانحياز إلى أن قام الرئيس السادات بمبادرته التاريخية في زيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧... فكانت هذه الزيارة وما أعقبها من توقيع اتفاقات كامب ديفيد ومساعدة السلام المصرية الإسرائيلية تدميرا كبيرا للأفكار التي كانت تبنيها حركة الانحياز.. وبدا التأمون في وزارة دور مصر على رأسهم صدام حسين الذي كان قد بدأ رحلة الصعود على رأس حكم البعث في العراق يقود الحملة لطرد مصر من حركة عدم الانحياز بعد أن تم تعليق عضوية مصر في جامعة الدول العربية وفي منظمة المؤتمر الإسلامي. وفي هافانا، حيث انعقد مؤتمر عدم الانحياز عام ١٩٧٥، جرى ما يشبه محاكمة مصر. ولقد استثمر الرئيس السادات هذه الأجواء فلم يذهب لم حضور المؤتمر وترك مهمة تمثيل مصر للدكتور بطرس غالي الذي سجل في مذكراته أحداث هذه المحاكمة.. والتي لعب فيها كاسترو الدور الرئيسي وقام فيها بمناورة كبرى حال فيها دون صدور قرار بتعليق عضوية مصر.. إلا لعنه قد استثمر خطورة أن يصدر في بلاده قرار بتعليق عضوية مصر التي لعبت أهم الأدوار في بناء الحركة.. لم تفض سوى عشرة أعوام بعد ذلك حتى انهار الاتحاد السوفيتي نفسه فأصبحت حركة عدم الانحياز تواجه مشكلة هوية.. حيث ثار السؤال صمد الانحياز بين من ومن؟.. وأصبح على الحركة أن تبحث عن هوية جديدة ورعاية جديدة في عالم التقسب الأوسع. ولعل الحركة ما زالت تحاول ذلك حتى الآن... ولكن تراثها التاريخي الذي بدأ صلا في باننوج مازال يحمل الكثير مما حققته الحركة في مجال مقاومة الاستعمار والعنصرية والتحرر الوطني. ■

فقرر أن يطلب الانضمام إلى مؤتمر التضامن الأفريقي الآسيوي باعتبار أن الاتحاد السوفيتي يضم جمهوريات تقع في آسيا وهي جمهوريات آسيا الوسطى... إلا أن الصين عارضت بقوة الطلب السوفيتي وانعكس هذا الخلاف الكبير على الدول الأعضاء في حركة التضامن الأفريقي الآسيوي.. وكان موقف مصر موقفا حاسما وديقا بسبب الصلة الوثيقة التي كانت تربط بين كلتا الدولتين، الاتحاد السوفيتي والصين. فإدراك شواين لا يمكن متوجها إلى هولندا ليركب من هناك الطائرة التي ألقته فيها بعد إلى القاهرة التي كان سيقضي بها يوما أو يومين ليتوجه بعدها إلى الجزائر لحضور المؤتمر.. إلا أنه عندما وصل إلى القاهرة لم يكن الأمر قد حسم بعد في اجتماع وزراء الخارجية الذي يسبق مؤتمر القمة في الجزائر بالنسبة لطلب السوفيتي فطلب الرئيس عبد الناصر من رئيس الوزراء الصيني شواين لا أن يبقى في القاهرة إلى أن يتم حسم هذا النزاع في اجتماع وزراء الخارجية الذي سينعقد في الجزائر تمهيدا لعقد القمة... ولم وافق شواين لاى وبقى في القاهرة إلا أن إقامته امتدت إلى عشرة أيام لم يستطع إلتزامها وزراء الخارجية المقيمون في الجزائر أن يتوصلوا إلى توافق في الآراء حول الدعوة السوفيتية وسافر شواين لاى عائدا للصين دون أن يتوجه إلى الجزائر ودون أن ينصدد المؤتمر.. وكانت تلك هي الواقعة في النهاية العملية لحركة التضامن الأفريقي الآسيوي.

كان من بين العوامل التي عقدت بحث الموضوع في الجزائر هو وقوع انقلاب في الجزائر ضد الرئيس الجزائري آنذاك أحمد بن بلة، قبل موعد انعقاد المؤتمر بيوم أو يومين وكان قائد الجيش هواري بومدين هو الذي قاد هذا الانقلاب وكان عبد العزيز بوتفليقة (الرئيس الحالي للجزائر) ساعده الأيمن.

وصلت إلى الجزائر مع المرحوم محمود رياض حيث استقبلنا وزير الخارجية آنذاك عبد العزيز بوتفليقة (الرئيس الجزائري الحالي) في المطار وكان باديا عليه الإزهاق الشديد. وفي المطار أبلغنا أنه لا مجال للمصالحة بين بن بلة وبين النظام الجديد الذي لم يكن له عليه أكثر من يومين أو يومين على إعلان في الجزائر، كما لم تكن هناك أية بادرة على إمكان التوصل إلى اتفاق حول انضمام الاتحاد السوفيتي للمؤتمر.. وبقينا في الجزائر ليومين أو ثلاثة في أبرقة قصر الصنوبر... إلا أن

موجز

■ تحت رعاية سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك تفتتح إنشاء مؤسسة لا تهدف لربح للعلوم والتكنولوجيا لتقوم بتأسيس جامعة العلوم والتكنولوجيا University of Science and Technology (UST) وادى التكنولوجيا (TP) ويوفر هذا المشروع وسيلة لبناء قاعدة علمية متقدمة فى عصر العلم والعولمة الذى نعيش فيه، والذى يتطلب تكامل الموارد البشرية، والتكنولوجيا، ورأس المال، ومن المؤكد أن قاعدة علمية قوية سوف تشكل الأساس للتقدم التكنولوجى، وكلاهما يشكلان القوة المحركة من أجل رفقى وازدهار الأمة، ومن أجل تحقيق وصيانة السلام فى الشرق الأوسط.

وتشمل جامعة العلوم والتكنولوجيا وادى التكنولوجيا نواة لمراكز تميز بالأهداف الأتية: (١) تعليم الجيل الناشئ العلوم والتكنولوجيا على المستوى العالمى، (٢) تطوير تكنولوجيات جديدة لخدمة البلاد والمناطق المجاورة، (٣) المشاركة فى الاقتصاد العالمى القائم على التكنولوجيا محليا وعالميا، ويكون للمعاهد البحثية / التعليمية التأسيسية طابع خاص تمثل أقصى ما انتهى إليه العلم والبحث العلمى فى القرن الحادى والعشرين، فى مجالات الطب الجينى، والطاقة ومصادر المياه، وتكنولوجيا الفهمو والنالو femto- و nanotechnology، وتكنولوجيا المعلومات وغيرها.

ومن أجل إحراز النجاح فإن هذا المشروع التاريخى يتطلب ضروريات ثلاثا هى: خطط أكاديمية وإدارية جديدة والتي تتضمن تطوير مناهج تعليمية وبحثية لجموعة منتقاة من الطلاب والباحثين، ثم قانون جديد يسمح لمركز التفوق هذا بتحقيق أهدافه، ثم وقف مالى capital endowment جديد يكرس للمشروع، دون أية منافع شخصية لأحد.

وقد تم وضع التخطيط الأكاديمى والإدارى للمشروع بالتفصيل والموضح فيما يلى بشئ من الإيجاز. وبالنسبة لرأس المال الخاص بالمشروع فإنه سوف يأتى من ممبرين دون أن تتحمل الحكومة الأعباء - رسوم التعليم (tuition) فى مرحلة ما قبل المتخرج (كما

عصر العلم

أحمد زويل

القاهرة، دار الشروق ٢٠٠٥

قبل خمس سنوات. وفى أجواء الاحتفال المصرى، بفوز الدكتور أحمد زويل بجائزة نوبل فى الكيمياء، وتحت لافتة «على طريق المصريين إلى مزيد من نوبل، تقدم العالم: الأمريكى/ المصرى الأصل بمبادرة لإنشاء جامعة «بعثية» - لا تبنى الروح - للعلوم والتكنولوجيا فى مصر، وأياً ما كانت الأسباب فالحقائق اليوم على أرض الواقع وبعد خمس سنوات كاملة تقول إن حلم الجامعة «النوبلية» التى لا تبنى الروح انتهى - كما كثير من الأحلام والمشروعات فى مصر - إلى لافتة عريضة، ومناشآت الصحف، وكثير من الجامعات التى «لا تبنى إلا الروح»، قبل أن يهاجر الحلم - كما هاجر صاحبه من قبل - هذه المرة إلى دولة خليجية «قطر» التى احتضنت الفكرة وترجمت خطوطها العريضة - تحت إشراف مباشر من صاحبها - إلى الواقع.

مشروع المبادرة التى كان قد تقدم بها د. زويل إلى المسؤولين المصريين فى يناير ٢٠٠٠، والتى تعد وثيقة فى ذاتها ضمنها الحائز على جائزة نوبل آخر كتبه، «عصر العلم» والذى يصدر هذا الشهر فى بيروت عن دار الشروق. وهنا نص المبادرة/ الوثيقة:

مشروع مبادرة

من أجل العلوم والتكنولوجيا فى مصر



أحمد زويل

هو متبوع فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة). ويعد الموقف المظم بصورة خاصة لأجل البحوث العلمية المتقدمة والدراسات المتعلقة بالتكنولوجيا الفائقة والتي تقوم بها جامعة العلوم والتكنولوجيا وادى التكنولوجيا الملحق بها.

كما تم تخصيص مساحة ٣٠٠ فدان لشرح جامعة العلوم والتكنولوجيا وادى التكنولوجيا فى مدينة السادس من أكتوبر (وتم وضع حجر الأساس فى أول يناير سنة ٢٠٠٠). ويمكن أن تبدأ حملة جمع تبرعات لهذا المشروع بعد صدور قانون خاص بذلك. وقد أبدى بعض القادرين، من مصريين وغير مصريين، رغبتهم واستعدادهم للمشاركة فى دعم هذا المشروع. كما قدم علماء بارزون من كل أنحاء العالم مساعدتهم فى هذه المبادرة الجديدة. ورعاية الرئيس مبارك لهذا المشروع عامل أساسى فى إجاحته، لذلك المشروع الذى سوف يندفع بمصر والعالم المصرى إلى نهضة فى العلوم والتكنولوجيا.

المبادرة من منظور تاريخى

من المعروف تاريخياً أن مصر والعالم العربى قد ساهما فى إنجازات كبرى أدت إلى رفقى وتقدم الفكر الإنسانى والحضارى، فبعد آلاف السنين توصلت مصر، مهد الحضارة والتفكير العلمى، إلى اكتشافات علمية واخترعات فى العلوم والهندسة والطب ومجالات أخرى عديدة، ومنذ نحو ألف عام انتشرت الحضارة العربية الإسلامية وإنجازاتها العلمية فى أوروبا وآسيا، وبما لا شك فيه أن هذا الاتصال كان له دور مهم فى ميلاد النهضة الأوروبية، ومع ذلك فإن إضافات مصر والعالم العربى إلى العلوم العالمية فى الوقت الحالى إضافات متواضعة، وقد أفضى ذلك إلى ظاهرة استنزاف العقول، أى انتقال كثير من العلماء البارزين إلى دول الغرب ثم حاجة مصر والدول العربية لاستيراد التكنولوجيا من دول الغرب. ويفسر اقتران ظاهرة استنزاف العقول غياب قاعدة علمية محلية ذات وضع تكنولوجى قوى لمصر والعالم العربى. ومن ثم تأثيرهم المحدود فى السوق العالمى. إن العالم العربى مازال غنيا بالموارد البشرية، وبالوادر المالية (كما هو الحال فى كثير من الدول العربية) ومن ثم يجب ألا تكون هناك عوائق أساسية تحول دون بناء قاعدة علمية

قوية، تلك القاعدة العلمية التي تعد امرا حاسما لمستقبل العالم العربي وبقائه في الوجود المناسب وفي الوصول إلى السلام في الشرق الأوسط.

وقد شهد القرن العشرين ثورات في العلوم والتكنولوجيا اهتضت إلى اختراع الليزر والكمبيوتر، والترانزسترون، وتكنولوجيا جديدة غيرت مجتمعاتنا تغييرا كبيرا. وقد اتسعت الاكتشافات في كل المجالات، من العالم الباليغ الصغير (عالم الذرات) إلى العالم الباليغ الكبير والتعميق، فبنظرية الكم Quantum theory، والنظرية النسبية، والأبعاد الجديدة في الزمان والمكان (الزموتو والنانو femto and nano)، والشعوب السوداء، وتعدد الكون، ثم حل الشفرة الوراثية... هي أمثلة للاكتشافات التي غيرت الفكر الإنساني وتعد أساسا للأهداف المنشودة في الحقوق والمجالات الجديدة، وسوف يتوصل العلماء بكل تأكيد لاكتشافات جديدة في القرن الحادي والعشرين وسوف يكون لها أثر بالغ في حياة المجتمع في مجالات شتى من الصحة والمعلوماتية (الانترنت) وغيره، والبيئة وغيرها. وتهدف الموعة لشكامل الموارد البشرية وأساس المال والتكنولوجيا، الأمر الذي يجعل من المستحيل على أمة من الأمم أن تؤثر في الاقتصاد العالمي تأثيرا فعالا من غير قاعدة علمية قوية.

وقد صممت جامعة العلوم والتكنولوجيا وادامى التكنولوجيا المحق بها فكرة جديدة لإحداث مشاركة عالمية في علوم القرن الحادي والعشرين وتحسين وترقية تكنولوجيات محلية إلى المستوى العالمي، وأول جائزة تروية في العلوم لمصر والعالم العربي ومنهج الحكومات والشعوب للوصول إلى هذا المستوى من الإنجاز، فإن التفوق يصبح هدفا مشهودا يمكن إحرازه في وقت قصير نسبيا، ويحتاج ذلك لرعاية وتعمد للتميز من خلال نظام جديد قادر على توفير الفرض المناسبة للجيال الحالي والمستقبلي لبناء قاعدة علمية وتكنولوجية على المستوى العالمي، والهدف النهائي هو تحسين وترقية الوسائل لتحسين صحة الإنسان وحمايته واكتساب معارف جديدة، بدءا من الذرات وحتى الفضاء الخارجي، فالقاعدة العلمية هي الأساس لجلالات علمية واسعة، وجامعة العلوم والتكنولوجيا ليست ترها ورفاهية، ولكنها مطلب حيوي للأمة والمنطقة بأسرها.

أهداف جامعة العلوم

والتكنولوجيا وتزدها

إن الفكرة الأساسية التي وراء جامعة العلوم والتكنولوجيا ورفيقها وادى التكنولوجيا في بوضوح تكوين نظام جديد لباحثين وطلاب والذين يتم انتقاؤهم بعناية بالغة، ول يزيد عدد الطلاب وأعضاء هيئة التدريس عن خمسة آلاف كحد أقصى، وأن تعد الجامعة بأحدث الوسائل والمختبرات وأكثرها تطوراً، وسوف يتمتع حرم الجامعة باقتناء ذاتى مع بيئة علمية حقيقية لتثنية ورعاية الأفكار الجديدة وابتداء إضافات علمية جديدة مع التركيز على الأفكار العلمية والتكنولوجية على مستوى الدول المتقدمة (الولايات المتحدة وأوروبا واليابان... الخ) مع الحفاظ على الثقافة المحلية والقيم والأخلاق الفاضلة بنسب الدرجة من الاهتمام والتركيز، وسوف تكون جامعة العلوم والتكنولوجيا منفردة لأسباب التالية:

أولا، سوف تعد الجامعة جيلا جديدا من الطلاب المتميزين ومتعددي الإبداعات ويكفاهات عصرية في العلوم والتكنولوجيا، فنظام التعليم الحالي اقل اقتدارا وكفاءة من أن يوفى مثل هذا الإعداد الحاسم للطلاب على المستوى التنافسي العالمي.

ثانيا، سوف تضع الجامعة مصر والعالم العربي على الخريطة العالمية في البحث العلمي والتطور، وتتبع مشاركة فعالة في العلوم والتكنولوجيا العالمية، والتبادل الثقافي مع الثقافات العالمية،

والنظام الجامعي الحالي أقل قدرة وكفاءة من أن يقوم بهذا الدور بطريقة فعالة.

ثالثا، سوف يكون للجامعة أثر هائل على المجتمع المحلي والعالمي، وتضع نواة المجتمع العلمي، في المستقبل وسوف تكون بمثابة مركز تنويري للتميز وتولد افتخارا خاصا لدى المواطنين، وتساعد الجامعات الأخرى لإحراز التميز من خلال التفاعلات المتبادلة، وتنتقل التقدم في المجالات العلمية والتكنولوجية الجديدة إلى كل قطاعات المجتمع بما في ذلك القطاع الصناعي والاقتصادي والزراعي، كما تشكل وابطع جديدة بين العلماء والأشخاص العاديين، وتدمج القيم العلمية بالقيم الاجتماعية، وسوف تشكل هذه الإضافات أهمية بالغة على المستويين المحلي والعالمي، ذلك أنها سوف تقيم الجسور والحوارات العقلانية في كل الحالات.

بنيية جامعة

العلوم والتكنولوجيا

تتألف البنية الأساسية لجامعة العلوم والتكنولوجيا مما يلي:

• بالنسبة لبرنامج طلاب الجامعة، يتم التركيز في هذا البرنامج في البداية على أساسيات العلوم (الرياضيات، الفيزياء، الكيمياء، الهندسة، علم الاقتصاد... الخ) على أعلى مستوى، بالإضافة إلى منهج دراسي متكامل يركز على التداخل في العلوم الحديثة multidisciplinary. وفي حالة الطلاب المتأخرين، طلاب الصف الأول من

الجامعة. سوف يدرس الطلاب بعض المقررات في العلوم الإنسانية واللغويات مع اهتمام بالاجواب الثقافية والتاريخية والعلمية، وبهذا المنهج الدراسي يكون قد تم الإعداد الأولي للطلاب والذين سوف يترشحهم للقبول في برنامج الجامعة المتقدم والذي يعد الطلاب للتخصص في المجالات العلمية المختلفة والهندسة والطب والمجالات ذات الصلة.

• بالنسبة للدراسات العليا تقوم الجامعة بإنشاء معاهد بحثية على أعلى مستوى، مماثلة في مكانتها ومضمونها لمعاهد ماكس بلانك في ألمانيا، وتكرس هذه المعاهد للمجالات العلمية والتكنولوجية الجديدة لضمان الأمانة والإبداع والتشجيع الأفكار الخلاقة، وهذا يعنى الاندماج بقوة شطر حقول بحثية جديدة تشجع مجالا لنشاط الرواد والمستكشفين، على أن تكون ذات صلة وثيقة باشتكالات في مصر والمنطقة مثل الثقافة والمعلومات وعلوم الطب الجينية وما شابه.

• في البداية يجب ألا يزيد عدد المعاهد البحثية التي تنشأ في الجامعة على خمسة إلى سبعة معاهد شريطة أن تكون كلها على تخوم القرن الحادي والعشرين وعلومه، مثل الطب الجزيئي، والهندسة الوراثية، والمعلوماتية، وعلوم المواد، والليزات، ومصادر الليك، والتكنولوجيا العالمية، واستكشاف وارتقاء الفضاء وغيرها. ويجب أن تنشأ الجامعة ترمز دولة لتشجيع الطلاب وميعة للتدريس للتبادل العلمى والثقافى مع الجامعات والمعاهد المماثلة في العالم وبنفس المستوى.

نظام ودعم جامعة

العلوم والتكنولوجيا

إن جامعة العلوم والتكنولوجيا مؤسسة لا تهدف للربح وتديرها مؤسسة العلوم والتكنولوجيا. ويجب أن تعمل الجامعة والمؤسسة التي تديرها تحت مظلة قانون جديد يوقعه الرئيس مبارك ويصدق عليه من مجلس الشعب، والذي يمنحهما الاستقلال كمؤسسة غير حكومية لا تهدف للربح. ويجب أن تحرر الإجراءات الخاصة بسير العمل في جامعة العلوم والتكنولوجيا من المعوقات

مشروعة مبادرة

وبهذه الطريقة تكون الاستفادة للطرفين للجامعة وللشباب والدولة، وعلى نفس القدر من الأهمية سوف يهيئ وادى التكنولوجيا الفرصة لتعاون بحثي يهتم القطاعات المختلفة لصناعات متقدمة تكنولوجيا، ويؤدي تفهم وإدراك أهداف جامعة العلوم والتكنولوجيا وادى التكنولوجيا لتقوية الرابطة المجتمعية من خلال إبقاء الشباب المناسب في الوطن وتطوير تكنولوجيات جديدة، وعلى المدى البعيد، فإنهما سوف يجلبان مصادر دخل قيمة من خلال الاتفاقيات المشتركة.

البنية الإدارية

سوف تشكل هيئة أمعاء متميزة للإشراف على المؤسسة، وتضم الهيئة شخصيات بارزة منهم حاصلون على جائزة نوبل من كل أنحاء العالم، وعلماء عرب ورجال أعمال وصناعة من المنطقة والعالم، وسوف يكون ضمن رعاة المؤسسة رؤساء دول ورؤساء وزارات ووزراء، وقد تقبل الرئيس مبارك بالموافقة على رئاسة مجلس الرعاة، وسوف تعين المؤسسة رئيس الجامعة ورئيس وادى التكنولوجيا، وتصدق على قرارات هيئة المديرين في كل منهما.

الموقع

لقد خصصت الحكومة المصرية مساحة قدرها ٣٠٠ فدان في مدينة السادس من أكتوبر لجامعة العلوم والتكنولوجيا، وأقيم احتفال بوضع حجر الأساس للجامعة في أول يناير ٢٠٠٠ تحت رعاية الرئيس مبارك وبحضور رئيس الوزراء ووزراء التعليم العالي والإسكان واستصلاح الأراضي وصاحب هذه المبادرة وغيرهم من أصحاب المقام الرفيع. وقد تم تخصيص مبنى للمؤسسة وبعد فترة قصيرة ألقى التخصيص.

كتاب الزاوية



المروءة الوثقى

أيها النوم.. هبوا

تسعى حكومة بريطانيا بكل ما في وسعها لوقف دفع الاستهلاك وتقيص فائدة الدين المصرى ويمترضها في ذلك سائر الدول الأوروبية العظيمة.

هل الدولة الإنجليزية أشد الدول رحمة على المالمين عموماً وعلى المصريين خصوصاً فدعتها الرحمة للقيام على هذا العمل قصداً لراحة المصريين وتخفيفاً لثقل الدين على الخزينة المصرية وتوصلاً لرفاهية الأهالي وتوسيع دائرة ثروتهم؟ أو أن هذه الدولة لم تبالغ في الشفقة وهى على حد الاعتدال في الحكم، ولكن الدول تجاوزت القسط في القسوة خشونة وغشمة أو لعداوة خصوصية بينهم وبين المصريين، لهذا لا يريدون تخفيف شيء من أثقاليهم، أو أنها اطلمت على أحوال المصريين وكشفت حقيقة ما هم عليه، وعلمت عجزهم عن الوفاء مما عليهم وخفيت هذه الحقيقة على سائر الدول فترأت حكومة بريطانيا أن تحبب الدول بما وفقت عليه قياماً بخدمة الصدق وإنما يعارضها من سواها جهلاً بواقع الأمر... لا.. لا.. تريد حكومة بريطانيا أن تسود على مصر وتستبد أهلها وترى أن بقاء الحالة المالية على أصولها السابقة يرجع بالمنفعة على الدائنين من الأمم المختلفة فلا يكون حظ الخزينة الإنجليزية الخاصة من ثروة مصر وإفرا. ولهذا بادرت قبل إعلان الحماية أو السيادة أو الاستملاك بالسعى في تخفيض فائدة الدين لتستأثر فيما بعد بما تزعم التفضل به الآن على المصريين، فهي تسعى لفائدتها الخاصة ليس إلا. هذا قصدها لم يخف على الدول، فقامت بمعارضتها وأصررت حرصاً على مصالحها لا تهدر فداء لحظوظ الإنجليزي وقضاء لشهواتهم. يهيم الدول جلاء الإنجليزي عن مصر عاجلاً أم آجلاً، لهذا تهتم بسد أبواب الحيل عليهم وإقامة العقوبات الصعبة في كل خطوة يخولونها إلى مآزيمهم.

وادى التكنولوجيا

سوف يشكل وادى التكنولوجيا السطح البيئى أو الحد المشترك بين جامعة العلوم والتكنولوجيا والمجتمع، وسوف يزود الشباب المتميز بالفرصة لتطوير تكنولوجيات وصناعات جديدة، وسوف تقدم الجامعة بعض الدعم المالى والمكان المناسب، على أساس تعاقدى، لدفع فرص صناعات جديدة لشباب جديد معد على أحدث الوسائل العلمية،

أحدث إصدارات دار الشروق



أعمال توفيق الحكيم



تطلب من مكتبات الشروق

مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة
مكتبة الشروق - شارع النيل - القاهرة

www.shorouk.com - mail: bookstore@shorouk.com

٩٩ تهتم وجهات نظر، بتعريف قرائها بجديد المكتبة العربية والعالمية، وتشكر الناشئين والكُتاب والمؤلفين الذين يساعدونها في ذلك، وتدعو قراءها لإرسال مراجعاتهم النقدية لما يرونه من إصدارات. ٦٦

قُبله على الأرض - أناب حكام

سليمن في روم مقدسية
اسامة الميمية
سوريا: دار فهدس، ٢٠٠٤، ٣٢٢ صفحة



من أحب القدس ومن كرهها.. من الركب المجازي في المساجد والكنايس.. من المام فيها ومن مر بها عابراً.. من عدم ميمانها ومن وضع لبنة فيها.. كل هؤلاء حاولوا نقش أسماهم على صفحات هذه المدينة المقدسة.

وما يقى من تلك النقوش قليل، ولكنها كانت كافية لتحمل شغل القاب وأوصاف أولئك الفاتحين والمغامرين والعاشقين والناشئين والصالحين والكاذابين.. من بين هذه الألقاب: أطل الله بقائه، ذو الصمليش، منصب الظالمين، أدام القشمار، سيف الدين والدنيا، وغيرها الكثير.

يؤكد الكاتب أن هذه الألقاب تتلاقى وتتقاطع وتتضافر لتعدها أهدافها الوظيفية المحددة التي لم تغير فيها قوة الإسلام شيئاً معتبراً، فهي تصاد إلى تثبيت الصورة للحاكم خليفة الله في الأرض، وتقوم بدور المد الأول والرئيسي لتثبيت الاستبداد باسم الدين، الذي يكون موعظاً للاستبداد السياسي، وتجد تعبيراً لها في النوع الثاني من الألقاب التي يمكن تسميتها ألقاباً دينوية، وتقوم الألقاب هنا بدور وسائل الإعلام في دول العالم الثالث، حيث يعتمد الحاكم عليها وعلى أجهزة المخابرات ليس فقط لتثبيت صورة التسمية ولكن سياساته أيضاً. ولهذا، فعلى الألقاب التي يمكن أن نسميها ألقاباً شعبية والتي يمكن أن يطلقها الناس أو طبقات الحاكم تكون تنويعاً على ألقاب الاستبداد الديني والسياسي مثل: أبو الفتوحات، أو أبو العزائم.

ومع ذلك يمكن القول إن أصحاب هذه الألقاب متخربعون ومنهجياً ومقترعياً من مثقفين مسلمين لم ينجحوا في خداع الجماهير بها، فلم تخضع هذه الجماهير لهم، ولم تتوقف عن التمرد والنظم وشبه النظم والعنف من خلال ثورات وثورات وفراوات، فهذه المجتمعات لم تكن راكدة بل في حركة دائية في مواجهة حكام مستبطين.. لأن ذلك قصة أخرى، لم تسجلها مع ألسن الرقوع الأثرية.

اليسار في الثقافة المصرية

تحرير وتقديم: د. ميسر لبيب
القاهرة: مركز البحوث العربية والأفريقية، ٢٠٠٥، ٢٢٤ صفحة



قام اليسار المصري وخاصة الفصيل الشيوعي منه بدور فاعل في النضال الوطني والميسر في طوال أكثر من ثمانين عاماً قاد خلالها الكثير من نضالات الطبقة العاملة المصرية، كما كانت له أيضاً إسهاماته الأصيلة والمتجددة في تجليات الثقافة المصرية في الأدب والفن والشعر.

ولم يقتصر دور اليسار على إيجاب مبدعين ومفكرين، بل إنه أثر في مبدعين ومفكرين لم يكونوا يوماً في صفوف مناضليه أو قريبيهم من قريبا مباشراً، وكان لليسار منذ بداية الأربعينيات من القرن العشرين مراكز دراسات وأبحاث وقد نشر واختلج إليها الكثيرون من غير أبناء اليسار، كما كان له زخم السرية التي فرضت على صحافته العقلانية وشبه العقلية فأثير كبير على حركة الأحداث وأجرت العديد من الممارك الثقافية. كما خلق اليسار تياراً ثقافياً مغايراً ومخالفاً للثقافة السائدة، وقد تيار الثقافة النقدية التي ينطلق من الواقع مع انحياء كامل للكادحين، ويحتوي وطني وإنساني ماعاً اشتراكية.

ويضم هذا الكتاب دراسات تحاول أن تبين دور اليسار وإسهاماته في المجالات الثقافية المختلفة، وقد مالت بعض الدراسات (إلى التركيز على إبداع أبناء اليسار الذين كانوا منظمين في صفوفه أو قريبيهم منه قريبا حصيماً، ومالت بعضها إلى التعامل مع فضاء اليسار الأرحب، فكشفت عن المدى الذي وصل إليه إبداع فكر اليسار وأصداءه، ويضع هذه الدراسات يقلب عليها الطابع الوصفي وذلك بذكر المبدعين وإبداعهم، وبعضها يميل إلى التقييم، إلا أن كل هذه الدراسات لا يمكن - في النهاية - إلا أن تكون إسهامات أو إشارات إلى دور اليسار في الثقافة المصرية، لأنه لا يمكن لكتاب واحد أن يظم بفتية توثيقاً كاملاً لدور اليسار في الثقافة المصرية.

الخطاب السياسي في الشعر القاطمي

عبد الرحمن حجازي
القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥، ٢٦٦ صفحة



يتناول هذا الكتاب مفهوم الإمامة الخطابية، في الإسلام، واختلاف هذا المفهوم من عصر إلى عصر آخر، وإهمية الخطاب السياسي الإسلامي وتنوعه في ظل تنوع هذا المفهوم، وارتباط الأفكار السياسية بأفكاره، والعقل الذي يؤمن بها الأفراد أو تهض على أساسها المجتمعات.

وفي المقابل، بنى الشيعة بصفة عامة والباطنيين بصفة خاصة أديهم على الاحتجاج لأديهم، وحافظوا على عقيدتهم، فلا يكد أحد منهم يعدل عنها أو يزيد عليها، بل إهم يردون أصولها وتعاليمها في أساليب شتى وفنون مختلفة، فأصبح الشعر الفاطمي يمثل خطاباً سياسياً خاصاً بهم.

يؤكد الكتاب أن الأفكار السياسية والمبادئ العقلانية التي لفاطميين عند الشاعرين شيم بن الحز والزيد في الدين الشيعي، أكلها يمدح الأئمة، ويتناول المصطلحات الفاطمية وتاويلاتها العقلانية في شعره بشكل جلي، مما يؤكد التأثير الشديد بتلك المبادئ التي كانت الأساس الذي استند إليه كلاًهما في الخطاب السياسي في شعره.

كذيات بوش الخمس الكبير

تأليف: كريستوفر شير - ورويت شير -
لكنسي شاوزي
ترجمة: محمود علي هوس - د. مومن كتمان
دمشق - القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٢٠، ٢٠٤ صفحة



يؤكد مؤلف هذا الكتاب أن السياسة الأمريكية تجاه العراق صيغت من قبل مجموعة من الراديكاليين الذين

يسيطرون على مراكز صنع القرار الخارجي لإدارة بوش، والذين استثمروا أحداث ٩/١١ لدفع مشروعهم السياسي أدماً للام. وقد ثبت أن فهمم تكيفية ببناء عراق جديد وإقرار السلام في العراق والمنطقة كان قاصراً ومتعطلاً إلى حد كبير، وكانت النتيجة أن هؤلاء الراديكاليين كملوا أمريكا الآلاف من الجنود ومئات الملايين من الدولارات، كما ثبت أيضاً أن أكاديمي بوش ومجلس وزائه التي أخبروا بها حول العراق لم تكن مراوفاً دكية في مناقشة برلمانها أو أخطاء إهمال من سكرتير تحرير ذكي.. فالكذب حول قضايا الدولة والحب هو سوء استعمال لسلطة يكتدر تبريره ببساطة.

أهم الرديسي لهذا الكتاب هو التأكيد على أن الكتب كان جوهر الطريقة المعتمدة للرديسي بوش ومستشاريه لتسويق حرب كان عليهم أن تأسس الشعب الأمريكي كان سويديهم أو أنهم أخبروه الحقيقة، ولماذا قد يفقدون ذلك؟ الإجابة ببساطة، إهم اعتقدوا أن تأسيس نظام حكم من في قلب الدولة العربية الفنية بالانطس سوف يكون مثلاً لتوسع السلطة الأمريكية، كذلك سيقدم للحزب الجمهوري أسباباً للفخر السياسي ورفضاً مفيداً لتحقيق مصالحهم.

ولذا كانت الولايات المتحدة قد أخطأت بالتورط في فيتنام خلال حكم ثلاثة رؤساء، فهي أخطأت أيضاً عندما عنت الحرب على العراق، بالبيت الأبيض، كما يقول الكاتب. جرب الشعب الأمريكي من أظه ولم يترك له خياراً في الطريق إلى بغداد الذي كان مفيداً بالأكاذيب.

حكايات برلمانية

شريف العبد
القاهرة: دار الفكر للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ٢١٨ صفحة



يرصد هذا الكتاب حكايات برلمانية خلف الكواليس وإهماع، كما يسرد مفارقات ومشائير ومصادمات وشاغبات كان موقعها هامة في مجلس الشعب، كما يتناول الكتاب لغويات برلمانية وأغراضاً اقترنت ببعض الشخصيات السياسية، ويبحث عن إجابات لأسئلة فرضت نفسها من خلال

الأحداث والحوارات والمواجهات السياسية والحربية.

ويوجه المؤلف في كتابه الفريد هذا التوجه إلى الزوّار والمتفرّجين يتسرحون فيها لتسرحيات متنايئة ضاقت طريقها إلى أرض الواقع.

والكتاب يحصد صراعات بين أقطاب وجوده احتلت مقاعدتها الفخرانية على مدار عشرات مئات وأعوام، ويقدم توصيفاً للقاء النهائي لمجلس الشعب الذي يستعد للرحيل، ليأتى مكانه مجلس جديد ونواب جدد.

ومؤلف الكتاب هو المحرر الجرائد لجريدة الأهرام، بدأ مشواره الصحفي كمحرر في الأهرام الاقتصادي، ثم انتقل للعمل بالصحافة الجرائد، وتولى رئاسة القسم الجرائد بالأهرام لمدة تسع سنوات خسر خلالها عديداً من المؤتمرات الجرائد في دول العالم.

حروب القرن الحادي والعشرين مخاوف وأفكار جديدة

إيناسيو وماريو
ترجمة: خليل كلفت
القاهرة: كتاب العالم الثالث، ١٩٢٠٠٠
صفحة



أصبح شبح الكوارث يلاحق العالم من جديد على جهتيه، الأول على طريق أزمات جغرافية، سياسية يفرها الإرهاب والتزعة القومية المفرطة والأصوليات، والثاني من خلال التحدى على النظام الاقتصادي لتكوك الأرض.

يتسرحون الأزمات بالتفصيل هذه الكوارث ويحلل سبب تفاقمها إلى العوالة التي تنهت السياسة الأمريكية، فهذه والثاني من تغيير على الشب الكوكبي، للأرض، والتي تقوم على تدمير البيئة بوسائل متعددة، لتجنى الأرباح بلا وارح من ضمير، ويقترن هذا بإجرام مالي يرتبط بأوساط المال والبنوك الكبرى، على هيول المثال ينتج كوكب الأرض من المواد الغذائية أكثر من ١١٠٪ من الاحتياجات الغذائية، في حين يواصل ٣٠ مليون شخص التوجع كل عام ويواصل أكثر من ٨٠ مليوناً من نقص الغذاء.

ويؤكد الكتاب أن المفاهيم السياسية التي كانت مستقرة من قبل قد تغيرت تماماً بل بعد ٢٠٠٠، والدولة، والسلطة، والسيادة، والاستقلال، وغيرها نقص الدلالة، وهو ما يلج على ضرورة العمل ضد العوالة الليبرالية.

يتسرحون الكتاب الأعطادات على

بيئة الأرض بشكل صارخ في نفس الوقت الذي وصلت فيه التكنولوجيا إلى مستويات لم يتخيلها أحد من قبل، كما يشير الكتاب إلى أزمة الفكر الشيوعي الاشتراكي الديمقراطي في أوروبا وعدم قدرة أحزابها على مواجهة التحديت التي تواجهها البشرية الآن.

وفي فصل مهم بعنوان، "الشرق الأوسط: حرب المائة عام الجديدة"، يؤكد المؤلف أن إسرائيل تمر على نوع كلاسيكي من النزاع القومي المنفصلة التي لا تجد أي صعوبة في أن تكرر على الغير نفس الحقوق الأولية التي تطالب بها نفسها. ويكشف المؤلف المذاهب التي ارتكبتها الصهيونية بهدف ترسيخ العنصر والعلمانيين بشكل خاص، وتثير دور الولايات المتحدة بدلاً من أن تصبح دور الوسيط في نزاع الشرق الأوسط، أهدت تقيزاً متواصلاً لصالح إسرائيل.

يتناول الكتاب أيضاً، سبل مناهضة العوالة، وحرب كوسوفو والنظام العالمي الجديد، بالإضافة إلى ملحق خاص لطبيعة العربية بعنوان، "الإمبراطورية ضد العراق".

في الرواية العربية المعاصرة

هاروق عبد القادر
القاهرة: كتاب الهلال، ٢٨٨ صفحة



نشأت من عصر نجيب محفوظ، استهل المؤلف كتابه مؤكداً أنه كان محفوظاً لأن "محمود، كان ولا يزال موجوداً في عقله، بل إن ألبداً بشروته في السقوط عند منتصف الخمسينيات من القرن الماضي، حتى أصبح بعد أن تجاوز التسعين من عمره، شامخاً ومتألقاً على قمة خمسين عملاً إبداعياً: خمس وثلاثين رواية، وخمس عشرة مجموعة من القصص القصيرة.

يؤكد المؤلف الكبير هاروق عبد القادر، أنه يفضل استخدام كلمة "مجموعات"، بدلاً من كلمة "مراجع"، حينما يتحدث عن تاريخ نجيب محفوظ الإبداعي، لأنه لا توجد هناك اختلافات في أعماله لكن إبداعه يجري متدفقاً منذ شهر تحدد الشغل الجهاد. قد تمتاز به موجه أو موجات، لكنها تبقى متصلة بما سبقها.

مفصلاً لها، ولذا، وقد افترض هذا الجري عقبات موضوعية يثقف رزماً، أو يتخذ مبادئ أخرى.

وهذه الرؤية الإبداعية لأعمال أدينا الكبير، يؤكد هاروق عبد القادر أنه يستطيع تحديد منظومة تبدأ بروايته

الأولى "عيت الأقدار"، ١٩٢٩، وتسعى إلى بين العصور، ١٩٥٢، والتأنيب تبدأ مع الشعر والكتاب، ١٩٦١، وتسعى إلى "عصرنا"، ١٩٦٧، وبين هاتين المنظومتين تقع أولاد حارتنا، ١٩٦٩. أما المنظومة الثالثة فتبدأ برواية "حب تحت المطر"، ١٩٧٢، وتتسعى إلى "قشعر"، ١٩٨٨، وبينهما تقع رواية "المرايا"، ١٩٧٢. أما المنظومة الرابعة والأخيرة فتشمل أعمال عقد التسعينات.

يتناول المؤلف أيضاً رواية "عمارة يعقوبيان"، لعلاء الأسواني باعتبارها تعكس وجهاً من وجوه تغير النخب المصرية في ثلاثينيات القرن الماضي في نهايتها تقريباً. كما يتناول قصة، كحل حجر لخالد إسماعيل التي تدور أحداثها في إحدى قرى سفوح جبال غربها في الأعمال الأدبية التي صدرت في بدايتها هذا القرن.

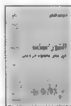
وفي فصل ثالث، يبحث المؤلف عن رؤية جديدة لمهم أدب جمال الغيطاني، ويشير إلى بعض المآخذ في روايته، وكتابات المؤسسة، وكتابات الخبيثة، منها تعثر الغيطاني بين الكاشفة والتخصي، وانعكاس ذلك على ضعف المعلمين.

يتناول المؤلف كذلك كتاب عملين للأديب الأردني مؤسس الرزاز، وهما: "مكتبات الإغراب في ناطحات السحاب"، و"اعترافات كاتم صوت"، ويلقي المؤلف على حياته الجديدة، والأدبية، مشيراً إلى أن أعماله عصية شاملاً على أي تلخيص أو اجترار، ثم هي ممتدة على الأشكال التقليدية للرواية.

كما يتناول المؤلف أيضاً أعمال الأديب الموي حجاج أنور، والأدبية الفلسطينية سحر خليفة.

التوراتيات في شعر محمود درويش

من القاهرة إلى التسوية
أحمد أشقر
قدس للشر والتوزيع، ٢٠٠٠-١٢
صفحة ٣ يورو



محمود درويش هو الشاعر الفلسطيني الوحيد، القادر على خلق زحان حوله في أي أسبعية شرعية بقصدنا في من العواصم العربية، هناك من يظن أن هذا بسبب كونه "الشاعر الفلسطيني"، بينما يرى "أحمد أشقر"، كاتبه من الكتاب أن محمود درويش ذات شاعر ذاتة، يتعالى على المثقفي، ذاته، سواء أكان قارئاً لدواوينه، أو مزاحاً على أبواب أصمياته.

تناول محمود درويش العديد من الإحيات والدراسات والكتابات القديمة وهذا الكتاب هو أحد تلك الكتابات القديمة التي تبرز موقف محمود درويش السياسي من الصراع الفلسطيني العربي الإسرائيلي.

تهدف هذه الدراسة إلى تبين العلاقة بين المؤلف الفلسطيني والشعر والرمز الهيمسليسي (اليهودية والمسيحية والإسلامية)، وأسباب استعمالها، وتاريخ تعويلها في شعر محمود درويش عامة، وفي قصيدته القران خاصة، ودور هذه الرموز في العمل الوطني، ومدى رقى وعمق اللوحات والصور الفنية فيها، ومدى تأثيرها في معركة الوحدة والتشوير العربية، وكذلك تمليك العديد من الرموز في شعره، وكذلك تبين لقرية درويش السياسية.

إطلالة على الفكر في مصر القديمة

د رشدي غار عريس
القاهرة: المعهد القومي للبحوث الملكية والجيوفيزيائية، ٢٠٠٤-١١٤
صفحة



علم الفكر هو أقدم العلوم منذ فجر الحضارات جميعاً، وفي وادي النيل منذ أكثر من ستة آلاف سنة. كانت العقيدة الدينية في مصر قد نشأت أساساً وبشكل أولي من حصان ما شاهده في السماء، وتكونت آنذاك من خلال الأساطير التي تدور حول أن البهائم الرئيسية في أجرام سماوية، بظهره وسلم الفلك التي اعتمدت بشكل أساسي على الملاحظة والرصد.

ومن خلال المشاهدات والأرصاد والأفكار التي استمرت لمدة آلاف من السنين، ظهر نموذج للكون في عام ١٢٥ ق. م في مدرسة الإسكندرية القديمة، وهو نموذج يطمح إلى لمجموعة التسمية التي استمرت إلى ما يقرب من ١٥٠٠ عام حتى ظهور الأفكار الحديثة النموذج كوبرنيكوس في القرن السادس عشر الميلادي.

ويؤكد الكتاب أن بناء الأهرام هو أحد البراهين الاستدلالات على قسامة المصريين ووقتهم في الملاحظة واخذ الأرصاد الفكرية فقد تبين أن الأهرامات الثلاثة تم بناؤها في مواقع بالبحيرة على عرض ٢٠ درجة شمالاً بحدود خمسينه عالية، ولقد أنجز كل هذه تقاليد الجهات الأصلية الأربع والتي تم تحديدها شكل دقة بواسطة الأرصاد العلمية.

التي تضمنها المؤلف ويأتي تحت عنوان: المكتبات الوطنية والعامة في العالم. وفي الكتاب السادس، يقوم المؤلف بشرح النظام القانوني لأمانة مكتبة الإسكندرية. وفي الكتاب السابع، يعرض المؤلف أحد الاتفاقيات المنظمة للقوانين المكتبات وهي اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية. والكتاب الثامن يعرض الترجمة الإنجليزية للنصوص التشريعية لقرار وزير الثقافة رقم ٨٢ لسنة ١٩٩٣ في شأن تنفيذ قانون حماية حق المؤلف. وفي الكتاب التاسع، يقدم المؤلف تأكيداً لأهمية المكتبات فقد عرض لنصوص مواد سيقا الكتاب والذي اعتمد في بروكسل عام ١٩٧١ وصدر عن اليونسكو في عام ١٩٧٢ بمناسبة العام الدولي للكتاب في نفس السنة. وفي الكتاب العاشر، وفظراً لأهميته فقد عرض في أربعة أبواب حيث قدم المؤلف أهم المواقع العربية والأجنبية على شبكة الإنترنت المتعلقة بالمكتبات والكتبات في كل باب على حدة.

الكتاب التمهيدي، وهو بعنوان: التصنيفات الشاملة في المكتبات ونشأتها وتطورها، يتضمن خمسة أبواب يقوم المؤلف من خلالها بعرض تصنيف التصنيف والمعيته وخواصه وكيفية التصنيف المكتبي وتطوره التاريخي وكيفية ترتيب الموضوعات موضوعياً وزمناً. أما بالتصنيف للكتاب الأول، فقد تضمن الأصول والرتب العشرة الرئيسية لتصنيف ديوي العشري. وفي الكتاب الثاني، قام المؤلف بعرض الأقسام الخاصة بتصنيف ديوي العشري وذلك من حيث الحاسوب والإنترنت والفلسفة وعلم النفس والدين والعلوم والاجتماعية واللغة والعلوم والتكنولوجيا والفنون والترفيه والأدب والتاريخ والجغرافيا. ويتناول الكتاب الثالث، الفروع الألف لتصنيف ديوي العشري الطبعة العاشرة والعشرين. وفي الكتاب الرابع، قام المؤلف بشرح وعرض تطبيقات تصنيف ديوي العشري في الوطن العربي وتعديلاته والمقترحات المطبوع إدخالها عليه. ويعتبر الكتاب الخامس، من أهم الكتب

شرح نظم التصنيف بالمكتبات
المستشار الدكتور: عبد الفتاح مراد
القاهرة، ٢٠٠٥، ٥٨٠ صفحة

ترجع أهمية هذا الكتاب إلى اهتمامه بالبحث العلمي وكيفية وطرق إعداد بحث علمي وطريقة الكتابة وانتقاء المواضيع واهتمامه أيضاً بتصنيف وتقسيم أقسام الأبحاث وإعداد بحث يفيد القارئ ويعمل على إشباع رغبته الفكرية والبحثية، وهو إصدار شامل متكامل لهذا الموضوع، وهو ليس كتاباً واحداً، بل أحد عشر كتاباً من كتاب تمهيدي ما يعتبر معه مرجعاً لا غنى عنه للمتخصصين والهتمين بمجال البحث العلمي.

كما لجيل القدماء المصريون أشكالاً مختلفة ما لوفه لمعرفة المجموعات النجمية في السماء لكي تمكنهم من تحديد مواعيد ظهورها، واتخاذها كعلامات لقياس مواعيد الليل. كما وضعوا البليات الأولى التي كانت أساس الانطلاقة التي اتخذها الحضارات التالية في تطوير علم الفلك. ومن ملاحظتهم الدقيقة والثاقبة أيضاً على مدى أزمنة طويلة لحركة الشمس ما بين الشتاء والصيف، توصلوا إلى وحدة الزمن المقدسة، وهي الفترة التي تستغرق من وقت ميلاد الإله رع (وهو الشمس) وحتى الرجوع إلى مكان ولادته ثانية (بداية فصل الشتاء) والتي تعرف بالسنة الألى. يؤكد الكتاب أيضاً بالأدلة والبراهين أن اليهود لم يكن لهم أي دور في الحضارة الفرعونية، فقد عاشوا بعيداً في مصر، وأن كثراً بناء الأهرامات مثلاً لم يكن اليهود متواجدين في مصر أصلاً.



دوريات

عن شخصية رسام الكاريكاتير الراحل
الكسندر صاريخان.

وفي باب ذاكرة، يتناول دراستين، الأولى: «مسألة خارج العزلة»، والثانية، «ليبية في بلاد الإيجليز». ويأخذ أيضاً لموضوع أدبية وخمس قصائد شعرية.

ويأخذ موضوع مثير بعنوان: «طوبى الإبداع تحت في الشارقة»، ومقال لحناء مينة يتناول فيه من: أين تعرفت على الفلسفة.. والتبحر؟ أما الملحق المخصص للمند فيحتوى على العديد من الموضوعات المهمة منها: «سر الوعى في مخ ذبابة»، وعالم عريس يزرع البحر، ويتنقل بلا قمر صناعي، وغيرها.

الكويت، وزارة الإعلام، يوليو ٢٠٠٥



مختارات إيرانية
القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد ٥٩



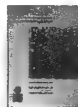
يعرض هذا العدد أهمية كبرى للانتخابات الرئاسية في إيران والتي جرت نهاية الشهر الماضي، حيث جاءت الافتتاحية للدكتور محمد السعيد إدريس حول «رحيل الخاتمية ومستقبل الجمهورية الإسلامية»، كما تناول العدد من الدراسات ملف الانتخابات من خلال العديد من المحاور. يشهد العدد أيضاً موضوعات مختلفة حول الملف النووي الإيراني وتحديات الجمهورية الخاريجية في الحكومة القادمة، وترشيح رافستنجاني كخمس من أربعة التيار الإسلامي، وغيرها.

أحوال مصرية
القاهرة: مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ربيع ٢٠٠٥



يخبر ملف هذا العدد حول قضايا التعليم من خلال ٤ محاور هي: مقرورات التاريخ المدرسي والهوية الوطنية، وإغراءات وأوهام الحداثة، والآسة والفلسفة والإصلاح، والأنشطة الرياضية والفنية والتحصين الدراسي. وفي باب قضايا هناك دراسة عن «الثرات القبطي في حياة المسلمين»، وأخرى عن «الاقتصاد المصري: تسعة أشهر من عصر الإصلاح». ويأخذ جورج حـ. ريف عيسى الذي يقول فيه إن مصر مقبلة على مرحلة تحول اجتماعي مشوق. وهناك أيضاً دراسة

عراجلين - أوراق في الثقافة الليبية
القاهرة: دار سما للنشر والتوزيع، العدد الثالث ٢٠٠٥



يقدم هذا العدد ٣ دراسات مهمة الأولى بعنوان: الوعى الفلسفي ومستقبل الفلسفة، والثانية: الشريعة وحقوق الإنسان، والثالثة: جماليات الرواية الليبية. أما ملف هذا العدد فيجوز حول السير الذاتية والتكرار، ويتناول وثائق أول حزب سياسي في ليبيا وغيرها.

د. سليمان العسكري رئيس التحرير سؤالاً مهماً يشغل بال الجماهير العربية الآن وهو: الإصلاح.. من أين تبدأ؟ يؤكد من خلاله أهمية الإصلاح الاجتماعي بجانب الإصلاح السياسي. ويؤمن ملف العدد حول الأدب السوداني الطيب صالح، الذي تعتبره المجلة من أجمل الهدايا التي قدمها السودان للشقافة العربية. الدكتور أحمد أبو زيد استحالة تحديد المستقبل، خاصة أن العالم الآن يتميز بتفسيكه، النظريات والاتجاهات الفكرية الكبرى في كثير من مجالات المعرفة. وفي باب «دأب»، يتناول د. صلاح فضل من حقيرة وجود نظرية نقد عربية، كما يعرض الباب لعدد من القصائد والقصص القصيرة.

حوار انتهى إلى الإخفاق



مسيحية ضد الإسلام ، حوار انتهى إلى الإخفاق
لاودج هاجمان
دمشق، دار قدس للنشر والتوزيع
٢٠٠٤ ٢١٢ صفحة

Christentum contra Islam
(المسيحية ضد الإسلام)

Ludwig Hagemann
Birlin, 1983

في هذا الكتاب يتعرض الكاتب لاودج هاجمان، للمحاولات المسيحية لفهم الإسلام والحوار المسيحي الإسلامي الذي بدأ في القرن الثاني عشر ميلادية ولا يزال مستمر حتى الآن. جاء في صفحات الكتاب وصفا له على لسان مؤلفه قائلا (المسيحية في مواجهة الإسلام، هذا التاريخ لمحاولات بين المسيحيين والمسلمين انتهت إلى الإخفاق ويانات نشأت إلى الماضي وهذا الماضي يجب أن لا يتكرر لكن يجب عدم تنسيبه بل جاء إصلاحه وتجديده. يجوز أن يريده أن يتحكم في المستقبل أن يخل الماض فالتحكم في المستقبل لا يزال مستحكما جانيا أو شوهيه أي من خلال أن نترك التاريخ وراء ظهورنا ليس بإتطريق الممكن ليهنا مستقبل مشترك وهذا هو موضوعنا). بهذا الكتاب في تقديم للإسلاميين متضرعا للمحاولات الإسلامية المسيحية في المنظور الإسلامي، مستخدرا إلى مفهوم أهل الذمة في الإسلام وحقوقهم وواجباتهم، موضعا الحدود الفاصلة التي رسمها الإسلام للتمييز بين المسيحيين واليهود من خلال رسم سمات دقيقة لهم. منتقلا بعد هذا إلى تقديم الدولة الإسلامية في ثاني فصول كتابه الذي عنوانه من جملة (إفريقيا إلى إسبانيا، الإسلام في رخده).

ينتقل المؤلف بعد هذا إلى التعرض لردود الفعل الأولى على ما أسماه بالافتقار الإسلام للحرب، فقد رأى الأوروبيون أن الإسلام يشهد عوده وتبقى شوكة نبرته، والأساس خاصة بعد سقوط صليبية والأندلس مما أدى إلى بدء محاولات مختلفة لتحديد هذا الزحف الإسلامي المستمر تجاه أوروبا المسيحية. وكانت أول ردود الفعل تلك محاولة إنفاذ أسيا الصعبري من قبضة التتريك التي انتهت بالفشل في موقف (ميتاركو ١٠٧١ ميلادية). ثم أعقبها بداية الحروب الصليبية بهدف السيطرة على القدس، التي شهدت مدينة كبريولت الفرنسية انتفاها بعد خليفه حسانية لنجبار أوربان في السابع والخمسين من نوفمبر عام ١٠٩٥، التي دعا فيها إلى القيام بحملة إلى الشرق والاستيلاء على بيت المقدس من المسلمين.

أدى الظهور الإسلامي القوي في الحياة المسيحية إلى ظهور محاولات

إلى تبادل البعثات بين الأوروبيين والمسلمين ولكن المغول هزموا وقراجهوا، ومعهم قرايج الأمل الأوروبي بالقضاء على الإسلام.

في القرن الرابع عشر، انتقل الأوروبيون بصراعاتهم الداخلية الدينية والسياسية، وفي نفس الوقت كان العثمانيون يزعجون على البلقان، هازمين الصرب ومسيحيين على القسطنطينية، يرى ريتشارد سورنر أن القرن الرابع عشر هو قرن التراجع والبدء من الفهم الصحيح للإسلام، إلا أن هاجمان، يرى عكس ذلك في كتابه، في الفصل الخامس من كتابه ينصرف إلى دراسة عدة محاولات أخرى لفهم الإسلام في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، بدءا من محاولات فرانسيس الأسيزي التبشيرية - التي ذهب إلى الملك الكامل في مصر بالبريحية - ثم كتابي، ثوما الكويني، (منطق الإيمان) والخلصة ضد الأتراك، الذي كان يحاج المسلمين فيهم مستخدما علم الكلام الذي برع فيه المسلمون - في أمر مثل الوفيه المسيح والثاوث، والقضاء والإفترار، والإيمان والكفر، والرعد أعراضات المسلمين في المسائل العقائدية، وفي إطار تعرض هاجمان لكتابات، ثوما الكويني، أسرد عدة حقائق بشأن الحقبة التي جرى فيها تأليف كتاب، منطق الإيمان، كما تحدث عما أحدثه الكتاب من تأثير. شهد أيضا القرن الرابع عشر محاولات مثل (مذكرة عن محمد) التي كتبها ريموند نيفاروس الدينكا، وهو الذي عاش منتقلا من المدن الصليبية الساحلية المتخفية (و شد شرعية المسلمين) لـ (كل من دي مونتني كرونشي).

بحلول القرنين الخامس عشر والسادس عشر ظهرت محاولات أخرى لفهم الإسلام منها مجلد، ثيودور كوس، الضخم (نظرة في القرآن)، الذي أراه فيه التداويل على وجوب اتباع المسلمين للمسيحية، متخذنا القرآن

نفسه حجة، وقد اهتم، سيمولايوس الكويني، في كتابه بما ذكر من المسيح في القرآن، ولعل فصوله عن المسيح في القرآن ظلت الأكثر تفصيلا حتى القرن التاسع عشر.

كانت هناك محاولة أخرى لـ مارتن لوتر، الذي حاول إثبات زيف القرآن، ليس من أجل تبشير المسلمين بالمسيحية وإنما من أجل محاكاة الأتراك في الإسلام. فقد كان يرى أنهم أكثر ما يهدد أوروبا، مصرا هذا بعقاب من الرب بسبب ممارسات البيايا والكنيسة الخاطئة والفساد الذي انتشر بالكنيسة. فقد كان يرى أن هذا الفساد هو ما يقوى شوكة الأتراك ويقوضه. كان لوتر يشبه البيايا بالمسيح بالزمن، والدولة الإسلامية بدولة آخر الزمان، وكان رافضا أيضا لسياسة الحروب الصليبية.

ينتقل هاجمان، لاستعراض محاولات فهم الإسلام في عصر التنوير الذي شهد القرن الثامن عشر. مستشهدا بكتابات (الكلوتيه الحمدي) لـ هانريان لاند، وبمصرية (خانان الحكيم) لكتابه، غنكلد (فرايم لسغ). جاء عرض هاجمان، لعصر التنوير وما تلاه موجرا، بعكس عرصة لفترة ما في القرن الثامن عشر وأصدر في في صبع صفحات يستعرض بها هاجمان، القرن التاسع عشر الذي أطلق عليه اسم (القرن التبشيري في ظل الاستعمار)، ثم انتقل المؤلف إلى سرد سبيط عن وضع الإسلام في أوروبا اليوم، وفي أخايله، تحديدا، والمشكلات التي يواجهها.

الكتاب جاء عن دار قدس للنشر في دمشق، بعنوان، مسيحية ضد الإسلام ، حوار انتهى إلى الإخفاق. ترجمه من الألمانية، محمد جعيد، وراجعه الباحث الدكتور رباب عني. كما كتب مقدمة الطبعة العربية الدكتور روضاوي السيد، المترجمة جاءت ذات محتوى جيد، مذبلة بخواص وهي مفهومة واضحة. الدكتور روضاوي السيد، في نهاية مقدمته للكاتب أن الإخفاق في هذا القرن الرابع عشر هو الذي بدأ في هذا التناهي في الصور الواسط أن سببه، الانفصال المسيحي، وهو أن الاستعمار، فهو يرى أن سببه، وهو الإخفاق كالحروب الصليبية أولا، ثم الانفصامات المسيحية الداخلية، وأخير افتتاح الأوروبيين بأن عرق العالم الجديد أجدي لهم في تقديم المواءمة، فضلا عن التصرف معه على المسألة، وصولا لاستعمار وإسادة فيه، مع وجود البحث التاريخي السيد، قال الدكتور روضاوي السيد، أيضا (وأن أوافق المؤلف على أن عواقب جميع العنكبات الخاطئة على أن عواقب جميع أن مواقف الأخير والكيسية والتأويلية في العقد الأخير من القرنين، لتؤسس لحلاقات جديدة وجديدة بين

بوضع يده على جميع وثائق إرثهم، مما
جعل بنجاحه الانتهاء من مهمته.
عاش كورابي وسعد راكبي الدرجات
لكثير من عامين، صانعهما أحبوا، وفي
حين كانوا يموتون طاعنا من بيلي، ولكنهم
بالتأكيد كان من الممكن أن يقتلوا
إذا ما كشفوا هويته.

الكتاب وفي صورة سينمائية، يضعك
في الشارع، مع أكثر حارب أمريكا خطورة،
ويصور لك بشاعة حرب عصابات
الدرجات الأمريكية، ومدى خطورتها.

The Darkest Time is Just Before the Dawn

(أكثر الأوقات إظلاماً هو ما قبل
الفجر مباشرة)

John Smith, Anna Smith, David
Smith, Sarah Smith
Word Assn Pub. 198PP, \$19.95
2005



رواية من تأليف الإخوة سميت:
الرياسة (سارة، فديفة، أنا، جون)،
أعادتوا كتابة القصص القصيرة والروايات،
فلكل منهم يقدم حائل من القصص
والروايات وتلكهم يستمدون أكبر لكتابة
منه إبيهم وهو الحقيقية.
الرواية تأمل أحاسنها هي «كنتي»،
ويروي «الزوجين الصغيرين» اللذين أرسل
إلى أفريقيا عام ١٩٣٢ في إطار مهمة
تشهيرية كانت قد بدأت في ١٩٢٧،
التي مكنت وموآها العديد من الصغار
والكبات العديدة التي وجهتها في
إطار مهمتها التشهيرية كما يتتبع من
إلى إرسال كتي إلى أمها، ولكن على
الخبر من هذه الصغار، التي أرسلت
مادون في مهمتها، فكثير التي كانت
صغيرها وطولها الأكبر كان عليها
أن تتعاضد على عدم وجود مدبر لصغار
التي أنظر، مع الرحمة الطينية والأوكاش
التي أعطى يصعبون بها، كما يتتبع
عليه الحق العهد الجسدي الذي يذله في
إلى وسائل وبناء الجسور، والمجانى بدون
إلى وسائل مساعدة إلى بعض الأدوات
البيسية.
همة الزوجين التشهيرية انتهت
بأخول عام ١٩٥٨، وكان قد وضعوا طفلين
يصل عدد أطفالهم إلى أربعة
م طفل - مع كاتيو الذي كان منهم له
تجربة الأفريقية الخالصة التي يورثها
من والدته.

تبدأ الرحلة بتوضيح أصول نشأة
العرق في أواخر الاستعميات في لندن،
تستمر خلال تاريخهم كله ورواية
بفلسفهم العاطل (The Wall)
وعرضهم الأسطورية لكل مكان، الكتاب
يذكر قصة كل من سامع في صنع تاريخ
والفرقة وجميع أبطالها مقدما رؤية من
داخل العرق نفسها، هذه سبيل المثال،
تضحت الكتابات عن توماس ريجيل (سيد
باريت)، عضو الفريق السابق، وما تبعه من
تدهور كما يتحدث عن النجاح الساحق
التي حققه اليوم الجانب الظلم من
الفرقة (The Dark Side of the Moon)،
وما تبعه من نزاعات داخل
الفرقة.

الكتاب يحتوى على صور نادرة، ورسوم مختلفة للفريق من الأرشيف الشخصى

Under and Alone: The True Story of the undercover agent who infiltrated america's most violent outlaw motorcycle gang
 (متخفي وحيد: القصة الحقيقية لعميل سري اخترق أكثر عصابات الدراجات البخارية الأمريكية عنفا)
 William Queen
 Random House, 288PP., \$24.95, 2005



عاش مشربون الماء في أماكن بعيدة عن مصادر المياه الجوفية، خاصة في المناطق الجبلية، حيث كانوا يجمعون المياه من الينابيع والشلالات، ويستخدمونها في حياتهم اليومية. كما كانوا يجمعون المياه من الينابيع والشلالات، ويستخدمونها في حياتهم اليومية. كما كانوا يجمعون المياه من الينابيع والشلالات، ويستخدمونها في حياتهم اليومية.

مل وكانوا يعرفون الكثير مما يعرضه العلم الحديث عن أسباب الأمراض وكيفية الوقاية منها.

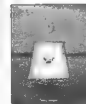
Photoshop CS2 For Dummies
 (لڤوتوشوب سي إس ٢ لدميتدين)
 Peter Bauer
 For Dummies, 416PP, \$24 99,
 2005



الكتاب المؤلف، بيتر باير، محترف الفوتوشوب والذي له عدة كتب في الفوتوشوب، إصدارات افوتوشوب السابعة، اعدت كتابته هذا الكتاب باكمل، فهو له يقم بالتصديق على ان كتبه السابعة التعليم احدثت أخرى من افوتوشوب الكتاب يأتي ملونا في بيئة فاعرة، كما يأتي شامل في موضوعاته، فغلبا لخاصا التشغيل ماكنتوش ووندوز، في سورة كنهية وبمبسطة يشرح الكتاب كيفية التعامل مع أدوات افوتوشوب، وكيفية إصدار أدوات الرسم والطول والخلفه، وأدوات تنظيم الصور، كما يشرح كيفية التعامل مع التحويلات والخاصة وتحويلات وأدوات السحب، وكيفية إنشاء عناصر الصور: على شكل الألوان، كما يشرح أيضا:

**Inside Out: A Personal History
Of Pink Floyd**
(من الداخل للخارج: التاريخ
الشخصي لفريق بينك فلويد)

Nick Mason
Chronicle Books, 358pp., \$29.95
2005



«بينك فلويد، Pink Floyd، من أكثر فرق الروك شهرة في العالم أجمع، يقع ٢٥ عاما ومبيعات تصل إلى ١١٦ مليون ألبوم على مستوى العالم، لانزال قصتهم سببهم وغير واضحة للجمهور، العضو الوحيد المستمر في الفرقة خلال عمرها لقرن بأربعين عاما، (نيك ميسون، كان ناديا على كل تاريخهم من وراء طبلته لاسطوانة (drum).

Marketing for Architects and Designers
(التسويق للمهندسين المعماريين والمصممين)

Harold Linton, Laura Clary,
Steven Rose
W W Norton & Company,
144PP, \$45 00, 2005



الكتاب عبارة عن مجموعة من الأفكار التسويقية المتخصصة في تسويق المنتجات المعمارية التي تساعد إلى حد كبير في عملية الترويج لشركات العاملة في مجال التصميمات الخارجية والداخلية.

الكتاب يفوق غير العديد من وسائل وطرق الإعلان والعرض، كما أنه قيمة للمراجع التي تستطيع إيجادها بسهولة على شبكة الإنترنت، كما يشير إلى العديد من مواقع الأنترنت ذات العلاقة بالخدمات التسويقية أو بخدمات التصميم المعماري.

Medicine in the Days of the Pharaohs

(الطب عند الفراعنة)
Bruno Halioua, Bernard Ziskind,
M. B. DeBevoise
(Translator)
Belknap Press, 288 PP., \$ 24.95,
2005



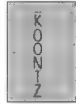
في ميد كوزم اعيو، جنوب أسوان، نجد لوحة جدارية تصور المرمعون المختبئ معهم خارجاً من الخطورة. على يمينه بعضها إلى حد كبير الأدوات الجراحية الحديثة على يد مهندس. لم تكن هذه الصورة الجراحية الأولى التي تعود إلى ممارسة الزراعة للطبيب، وإنما ظهرت الأولى في بوليفيا، ومنهمم الحثاثة. وفي أوصام الحيوانات المحطة الموجودة حتى الآن

في المرموعة - التي قد تطور قبل ظهور اسطرط (Hippocrates) وخمسة وعشرين قرناً - وصل إلى تعاليم من التقديس، مداس الزراعة لعديد من فروع الطب بحرفية ومهارة

Velocity

(السرعة)

Dean Koontz
Bantam, 416PP, \$17.82, 2005



قصة رعب للكاتب المتميز «دين كوونتز»، القصة تدور حول «بيل، الإنسان الهادئ الذي يعيش حياة عادية جدا وهادئة جدا، يعمل في أحد بارات مدينةته الصغيرة ولكن في إحدى الأيام تبدأ الهائلة تسيطر ملامح حياته تماما.

بعد انتهاء ودية عمله، وبينما يهيم بالانصراف لمسيرته، ادا به يجد ورقة ملقوة تحت ماسحة الزواج الامامية كان فحواها «إلا لم تأخذ تلك الورقة للشرطة، وتذهبهم للمشاركة، فسأقتل للشرطة المدرسة الشفراء، وإن أخذتها للشرطة فسأقتل تلك المرأة المسنة ذات الشاهد الخيري. القرار لك وحدك، أمامك أربع ساعات.

ظن بيل، انها مزحة سخيفة ووافقه الرأي صديقه الشرطي، الذي نصحه بنسيان هذه الرسالة وطرحها جانبا من تكبره.

أربع وعشرون ساعة فقط كانت تعصمهم عن العثور على جثة معلمة المدرسة الشفراء ومظهر رسالة أخرى لبيل. وتقلب حياة بيل في كل يوم ضحية وكل يوم رسالة وكل يوم يخبر بين الضحايا. وكل يوم نزاد مسئولية، فهو وحده من لديه قوة الاختيار، كما تقول الرسالة دوما «القرار لك وحدك.

Tutankhamun and the Golden Age of the Pharaohs : Official Companion Book to the Exhibition sponsored by National Geographic

(توت عنخ آمون والعصر الفرعوني الذهبى)

Zahi Hawass
National Geographic, 256PP., \$23.10, 2005



زاهي حواس عالم الآثار المصري وأمين عام المجلس الأعلى المصري للآثار،

صاحب الرصيد الكبير من الاكتشافات الأثرية، وصاحب الجهود المحنونة في المحافظة على الآثار المصرية. يكتب لنا أن توت عنخ آمون يعد الرحلة المكوكية التي قامت بها موسيما، الملك الشاب لتصوير أسباب وفاته المبكرة، وتحديد ملامحه الرئيسية.

كان اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون دوى قوى لدى هو مهمم قبل الآثار المصرية. فقد كانت مقبرة الملك الشاب مليئة بالكثور التي تعوق كل ما وجد بغبار آخرى. الكتاب يتعصر لاكتشاف المقبرة وكثورها، كما انه مضمع بصور لكثور المقبرة الرائعة، وصور الأدوات التي كان يستعملها أهل مصر كالأواني الذهبية وغيرها، مما يدل على مدى الإزهار الذي وصلت إليه الحضارة المصرية. ويعطي لمحة عن عظمتها.

يلقى أيضا زاهي حواس الضوء على الأسرة الثامنة عشرة. الذي يتمنى إليها الملك الشاب، حيث يستعرض زاهي حواس - بالإضافة إلى كنوز توت عنخ آمون - بعضا من آثار أسلافه من نفس الأسرة مثل (منحوتب) الثاني وتوتعنخسن الرابع (المحاربين العظام. كما يتعرض إلى المعادن والظفوس التي كانت سائدة حينها.

يستعرض أيضا زاهي حواس نتائج البحوث التي تمت على موسيما الملك الشاب التي وصلت باستخدام أحدث التقنيات إلى عدة نماذج قد تمثل صورة الملك الشاب، والتي وباستخدام تقنيات الطب الشرعي - قد توصلت لاستبعاد شبهة موت الملك مغتولا.

Truth: A Guide

(دليل إلى الحقيقة)

Simon Blackburn
Oxford University Press, 238PP.
\$25.00, 2005



أستاذ الفلسفة بجامعة كمبريدج، يعوص في أعماق الحقيقة، لمطمئنا تصميرا فلسفيا لمفهوم الحقيقة التي يصفا بأنها «القضية الأكثر إثارة لكل العصور الفلسفية، لأكبر يعصى في كتابه متعرضا لكلا الجانبين من الفسرين للحقيقة من التقليديين التمسكين بالمبدأ الواقعي، والحديث التمسكين بالنسبية والمثالية. التقليديين يؤمنون بالمعنى المطلق للحقيقة، فلابد من وجود سبيل لكل شيء ولابد من الموضوعية في تصمير

الحقائق. على الجانب الآخر يرى المثاليون بأنه لا حقيقة مطلقة وإنما هي مجرد تصبير.

فهوم مثل اللغة والثقافة والجنس والعديد والعوامل الأيدولوجية المختلفة. حتما تؤثر هي الفهم الصحيح للحقيقة. الكاتب بلاكبيرن بدأ كتابه بمحاولات سقراطية لمواجهة المسائل. واستقبل المؤلف إلى فحوص عدة معارك فلسفية أخرى كان من أطرافها أفلاطون - وبرتاجوراس - ووليام جيمس، وديفيد هيوم، وهانز جورج غادامير، وجاك دريدا، وميتشل فوكوتو، وريتشارد رورتى، والعديد من كبار اللاسعة.

شكل عام يصور لنا بلاكبيرن الرؤية الفلسفية الحقيقية عبر العصور، مؤكدا انه لا مجال لحصر مفهوم الحقيقة، لانه يرى انه من الصعب أن نهم دوما بنفس الحنى.

The Survivor: Bill Clinton in the White House

(البقاء حيا، بيل كلينتون في البيت الأبيض)

JOHN F. HARRIS
Random House, 544PP., \$29.95, 2005



جون هاريس المراسل السياسي المحصور لوانشوتون دوست الذي قام بتغطية ٦ أعوام من الفترة الرئاسية لكلينتون من عام ١٩٩٥ إلى ٢٠٠١. يكتب عن المترقبن الرئاسيتين لبيل كلينتون (١٩٩٣-٢٠٠١).

بيل كلينتون كان جزءا من الجيل الجديد الديموقراطى، الذين أرادوا دفع الحرب إلى الوسطية في الاهتمام بالتجربات السياسية.

وصف هاريس، بيل وهارلى كلينتون بأنهم شخصيات أنيقة وطموحة ولكن تنقصهم الفلسفة السياسية. التي أدت إلى قرارات خاطئة كؤشرات الأحداث. لا شك أن فترة وجود كلينتون في البيت الأبيض كانت من أكثر الفترات إثارة للجدل في الولايات المتحدة والعالم كله، فكم من الجدل نشأ في تلك الفترة ولا يزل من رثيته يدوى حتى الآن. ففي تلك الفترة لم يكن قد مضى الكثير على نهاية الحرب الباردة، ولم تكن ملاعها وتناجها قد انصهت تماما بعد، مما دفع كلينتون إلى الحذر في العلاقات الدولية الخارجية، وأيضا إلى

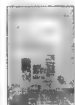
محاولة إشراك قوى دولية، جرى فعالة على الساحة الدولية.

يستكشف هاريس في كتابه أسلوب كلينتون في الرئاسة وكيف كان يبلى لاديا حسنا في بعض الأوقات، وكيف كان يعمل في البعض الآخر معارضة من الحزب الجمهورى. والمواجهات التشكيكية من رملاته في الحزب الديموقراطى التي كانت لا تحفل حدة لهجته من الجمهوريين محاولاته الإصلاحية الشاملة للرعاية الصحية، وأحباطاته في الحرب على الإرهاب.

كتاب تاريخى سياسى هام يتعرض للعديد من المواضيع الهامة. لشخصيات وأحداث مرت في سنوات حكم كلينتون.

The Serendipity Machine: A Voyage of Discovery Through the Unexpected World of Computers

(ماكينة الاكتشاف، رحلة لاكتشاف خلال العالم غير المتوقع للحاسبات)
David Green
Allen & Unwin, 216PP., \$16.95, 2005



للحاسبات في العصر الحديث دور كبير مكامنية لاكتشاف، فهو محمض لاكتشافات جديدة والمفاجئة.

كما ان له نتائج اجتماعية رهيبة ظهرت وشدة في تلك العلاقة بين سرية المعلومات الشخصية والامتلاك الجديدة منذ ظهور الإنترنت.

هذه الكتاب يسرد أخطار التكنولوجيا الحديثة للحاسبات على الحياة الاجتماعية، وبخاصة الإنترنت.

الحاسبات من السهل استخدامها لتوايما سيرة. فهي تستخدم في العمليات الإرهابية بكثرة. ولكن أيضا لها الكثير من العوائد التطبيقية في بعض المجالات مثل الفحنيات التكنولوجية والإيرادية والتجارة الإلكترونية. فمسلا من استخدامات الحاسب الانسية في التقبيل عن الميادات وظيفيات المجتمع التحليلي.

في النهاية يرى الكاتب جيميد جرين استاذ تكنولوجيا المعلومات بحامها مؤشرا إلى لحاسبات منفعه الكثيرة التي تقوى أضرارها وإن كان هذا لا يمنع من محاربة أضرار بقوة وشراسة

العدد ٢٠٠٥
الطبعة ٢٠٠٥
العدد ٢٠٠٥

«صداة الأرض، دولة إسرائيل
والفلسطينيين ١٩٦٧-٢٠٠٤»

عليا، د. عبد رطل
ناشر دير تل أبيب ٢٠٠٥ ٢٨٧
صفحة



يتعرض هذا الكتاب بالتفصيل للتأثيرات الواسعة للاستيطان اليهودي على الدولة العبرية من الناحية السياسية والأيدولوجية والاجتماعية والثقافية. يتوسع هذا الكتاب في حصر مظاهر هذا التأثير على جميع مناحي الحياة يصل الكتاب إلى استنتاج مفاده أن الاستيطان «سهم» المجتمع الإسرائيلي، وعمل على تأكل المنظمة الصهيونية التي كان من المفترض أن يواصل هذا المجتمع الاحتكام إليها. ناهيك على دور الاستيطان اليهودي في المس بانهيوقراطية الإسرائيلي بشكل لم يسبق له مثيل. يشير الكتاب إلى مفارقة هامة، وهي أنه على الرغم من أنه عدد المستوطنين صغير جداً مقارنة مع عدد سكان الدولة، إلا أن تأثيرهم ظل طامياً على الحياة السياسية، فالمستوطنات كان لها الدور الأبرز في صعود أعراب للحكم وسقوط آخرين، وتأثير الاستيطان كانت أول حادثة اغتيال يتعرض لها رئيس وزراء في إسرائيل. مؤلفا الكتاب يشيران إلى دور الاستيطان في تجنيد الصاعد داخل المجتمع الإسرائيلي وقطاعاته المختلفة، وسيداء أجواء الكراهية بين هؤلاء الذين يؤولون الاستيطان والذين يحتفظون عليه أو يمارضونه. الكتاب يلمح بذكر الظرف الذي أنه بعيد ما يصفه المؤلفان: التصالح المدني، في حرب الأيام الستة، فقد ظهرت الدولة والمجتمع الإسرائيلي، للاستيطان كمهمة «قومية مقدسة»، وذلك بفضل هيجال المد المسحاني الخلاص الذي عصفت بالجميع. فخصعت له الدولة، يتطرق الكتاب إلى مظاهر خصوم الدولة ومؤسساتها لها اند وممارستها للنفوق معاً واسترضاء التيار المسحاني الذي وجد في الانتصار، تحقيقاً لنموذج النبوة التي حورت بها الكتف المقدسة بنو الكتاب إلى اند الدولة عملت على تسجير كل مكائياتها لانطلاق المشروع الاستيطاني، وقررت على كل المستويات المؤامرات إلى اند ابتداء من رئيس محكمة العدل العليا وحتى الجندي

البسيط، كل من له علاقة بمؤسسات الدولة تواطع مع المشروع الاستيطاني وعمل على تعزيزه، دلال الكتاب على أن الجهاز التنفيذي الإسرائيلي لعب دوراً في التستر على ممارسات المستوطنين وجرأهم ضد الفلسطينيين، ونوه المؤلفان إلى أن الجهاز القضائي تناقض عن خلق المستوطنين للفنانين الإسرائيلي حتى أصبح خلق القانون هو القاعدة التي يحكم إليها المستوطنون في ظل تشجيع الدولة لهم. وتعاوضها عيم، فالنستوطن يتعمد قتل طفل فلسطيني، ومع ذلك يجد الجهاز القضائي الإسرائيلي كل المسوغات القانونية لتبرئته وإطلاق سراحه، الأمر الذي شجع المستوطنين على استهلال الاعتداء على الفلسطينيين وقتلهم ومصادرة أراضيهم وإحراق مزارعهم وتسميم مواشيهم. الكتاب يتطرق للعلاقة الخاصة التي تربط المستوطنين بقيادة جيش الاحتلال وحرص الجيش على «إدليل» المستوطنين بشكل شجعهم على التصدي في اعتداءاتهم على الفلسطينيين. يتطرق الكتاب إلى تواطؤ قيادة الجيش مع المستوطنين في معاصرة أراضي الفلسطينيين، والطريقة المثيرة في ذلك واضعة وبسيطة، حيث يعمل الجيش على مصادرة أراض فلسطينية لأغراض أمنية وعدم ذلك يتم تحويل هذه الأراضي لصالح الاستيطان، لإقامة مستوطنات جديدة أو لتوسيع تلك القائمة.

شكري، د. سلاوم
٢٠٠٤
٢٨٧
٢٠٠٥

«أكاذيب عن السلام، حرب باراك
وشاؤون ضد الفلسطينيين»

ألكند، د. رايهارت
أصدر منشورات «سمري تل أبيب»، تل
أبيب ٢٠٠٥



لآزالت إسرائيل وأنها العنصرية تزعج أن انتفاضة الأقصى التي اندلعت في تشرين من العام ٢٠٠٠ كانت بمثابة البرد المثلج على العروش السياسية، التي قدمتها إسرائيل في مؤتمر «كامب ديفيد»، الذي جمع كل من الرئيس الفلسطيني، الزعيم ورئيس عرفات وأريئيل الورا الإسرائيلي في ذلك الوقت ابتهوا

براك، وبذلك قبيل اندلاع الانتفاضة، في كتابها، أكاذيب عن السلام، تدحض البرسورة قائلاً بإظهارات هذه المزاعم، تؤكد أن إسرائيل أعدت خطتها القضاء على السلطة الفلسطينية وتدمير المجتمع الفلسطيني، قبل اندلاع الانتفاضة بوقت طويل. تؤكد رايهارت أن انتفاضة الأقصى لم تندلع إلا بعد أن أدرك الفلسطينيون أن إسرائيل غير جادة في التوصل إلى مقاومة مدنية، بل أنه لم يتم منح أية فرصة لتحويل نضالهم المسلح إلى مقاومة مدنية، بل تؤكد رايهارت أن إسرائيل أحبطت كل توجه لنضال مدني ضد الاحتلال، يتعرض الكتاب بكثير من التفصيل للثورات الرئيسية التي لعبه باراك وسياسة تجاه الفلسطينيين في النبع وتجاه اندلاع انتفاضة الأقصى، وهي تقدم الكثير من الأدلة المؤكدة على أن باراك توجه لفقة «كامب ديفيد»، بقصد إفشالها وتحميل الفلسطينيين المسؤولية عن هذا الفشل، وتشير المؤلف إلى العبرة التي يمكن باراك على تريديها دائماً، أنها التي لحقت في إساءة الشمام عن الوجه الحقيقي لعرفات، يعتقد الكاتب الحجابات العرفات التي حاول باراك إعلامها على عرقات أثناء المؤتمر، والذي لم تدع أمام عرفات أي مفر إلا رفضها، وتدل كتير من الوثائق على أن باراك لم يقدم أي عرض، سخي، خلال المؤتمر. ينسب الكتاب إلى باراك قيامه بعملية السيطرة اليهودية على المسجد الأقصى مسلياً مركزياً للدولة العبرية، وهو ما لم يكن معروفاً قبل تولي الحكم، وهو بذلك يتنازع مع القصص اليمين الإسرائيلي المتطرف، تستهجن الكاذبة عدم الالتئام إلى سوابق اعتماد باراك على الخداع كأداة هامة في التعامل مع العرب، وهي تؤكد أن باراك هو اندلقت مبرراتها البرسورة لها رايهارت

أصدر منشورات «سمري تل أبيب»، تل
أبيب ٢٠٠٥
٢٨٧
٢٠٠٥

لآزالت إسرائيل وأنها العنصرية تزعج أن انتفاضة الأقصى التي اندلعت في تشرين من العام ٢٠٠٠ كانت بمثابة البرد المثلج على العروش السياسية، التي قدمتها إسرائيل في مؤتمر «كامب ديفيد»، الذي جمع كل من الرئيس الفلسطيني، الزعيم ورئيس عرفات وأريئيل الورا الإسرائيلي في ذلك الوقت ابتهوا

قائماً، الكتاب يتطرق للثور الذي يطعن به جنرالات الجيش في رسم سياسات الدولة العبرية، سيما في مواجهة الشعب الفلسطيني

١٩٩٨-٢٠٠٥
٢٨٧
٢٠٠٥

الكتاب، النضال الشرقي في إسرائيل
سامي شطروت

الناشر: «عام عوفيد»، تل أبيب، ٢٠٠٤
٢٨٨ صفحة



يتطرق الكتاب للنضال الذي يخوضه اليهود الشرقيين من أصول شرقية ضد سياسة التمييز المتبعة ضدهم من قبل مؤسسات الحكم في إسرائيل. يحاول المؤلف وهو من اليهود الشرقيين صياغة رواية اليهود الشرقيين لتاريخ الدولة، وهي رواية يتم تعييبها. يتطرق الكتاب للصراع الحضاري بين اليهود الشرقيين من جهة، وقيادة الحركة الصهيونية وبين مؤسسات الدولة العبرية من جهة أخرى، ويتوسع على الإشارة إلى أبعاد وتأثيرات ذلك الصراع على كل المستويات، يشير المؤلف إلى أن هناك حالة من الجهل داخل أوساط اليهود الغربيين، الاشتكالي، آراء تاريخ ومراحل الصراع بين اليهود الشرقيين والدولة الإسرائيلية، حاول الكتاب تحليل ردود فعل اليهود الشرقيين تجاه ما يعتبره سياسة «الاحتلال» التي تمارسها الدولة ضدهم منذ هجرهم لأرض فلسطين، ويتطرق الكتاب بشيء من التفصيل لتسبيل الصراع الفلسطيني بين الجماعات التي مثلت اليهود الشرقيين وتولت النضال ضد مؤسسات الدولة باسمهم، سواء كانت هذه الجماعات مستقلة أو كانت منضوية تحت لواء الأحزاب التي يقودها الاشتكالي، يقرن الكاتب بين نضال اليهود الشرقيين في إسرائيل والنضال الذي شنه السود في أمريكا ضد الممارسات العنصرية ضدهم، لا يفوت المؤلف أن يقسم النضال الشرقي ضد الدولة إلى قسمين، القسم الأول، يتخذ منحى توقيفياً وتمثلاً وتعاون مع الهيمنة الاشتكالية على إدارة صنع القرار في الدولة، الثاني، وهو مدافع، ويقود نضالاً لدفع الشرقيين إلى مواقع القرار والعمل والمواجهة غير القابلة للتوافق

التي تعثرى الدولة العبرية ومؤسساتها
المخلصة وبشير الى التأثير المتصاعد
لعصابات العالم السفلي على الحياة
السياسية في الدولة العبرية
ويؤكد الكتاب ان عصابات الاجرام
المنظم التي تزرع العنف في شوارع الدولة
تتسلل في مؤسسات الحكم وتهدد
ديموقراطية الدولة.

ويؤيد الى مطهر آخر من مطاهر
الساداء في ظاهرة مقابولي الاضواء في
الحزب والذين يستخدمون الساسة في
اجل تعجيد المؤيدين لهم في الانتخابات
الشهيدية التي تجري في الاحزاب
اختيار مرشحين للمكثبات والحكومة.
ومقابل خدماتهم هذه يحصل مقابولي
الاضواء في الكثير من الخدمات من
الساسة. فيتم استيعابهم وبإساءة علاقتهم
في وزارة الدولة وفي اسراء العطاءات على
الاشراكات التي يملكونها.

يؤكد الكتاب أن لوائح المرحسین للكنیسة یتیم بیعها جہاراً نہاداً من اوان شیعا احد بالجلد. او حتی یعتقد انه الترفک خطأ. ویشر المؤلف موسیة منسی الخیریر القانوسی والمجاسیر فی الجامعة العبریة فی القدس المحملة الی المضاربة المتعلقة فی ان أعضاء الكنيسة الفاسدین الذین یصلون لقواعد البرکات بالطررق الموسیة من ذاتهم الذین یتولون التشریع الی قوانین الذی تسیر علیها الدولة.

ويقول المؤلف أنه في الوقت الذي يرحب الكثير من الاسرائيليين بالعاديين البسطاء في السجون على أمور بسيطة وأحياناً بدون جرم، فإن المجرمين الحقيقيين يواجهون اندفاعهم نحو قمة الحكم في الدولة

يتطرق الكتاب بالتفصيل الى دور الجهاز القضائي في استئراء الفساد والعنف داخل مؤسسات المجتمع. ويضيف أن القضاء العسكري يتساهل مثلاً مع الفداة الديين اهدروا باعمالهم حياة الكثير من الجنود، ويستغلون جنسياً المعتنقات اللاتي يملكن تحت امرتهم، ناهيك عن التتكيل بالفلسطينيين.

وفي الوقت الذي تبذل فيه إسرائيل حراسية إزاء ما تعتبره تحريضاً على اليهود والنصارى في وسائل الإعلام العربية والفلسطينية، فإن تنصيعي يؤكد على مؤسسات القضاء في الدولة العبرية لا تحرك مكاناً نحواً لمواجهة التحريض العنصري الذي يقوم به الحاخامات وقادة المنظمات اليهودية المتطرفة ليس فقط ضد الفلسطينيين، بل ضد خصوصهم المسلمين.

يوجه الكتاب نقداً لادعاء تستر
الاعلام الاسرائيلي على مظاهر الفساد
ونطويعه للسكوت عن هذه المظاهر بالذات
عندما يتعلق الأمر بالمؤسسة الامنيه

العدل حول صراع الهوييات داخل
إسرائيل في العلاقة بين التديس
والعلمانية، قد أدى إلى دفع الكثير من
الجموعات السكانية إلى هاشم المجتمع
الإسرائيلي، وهو ما عكس الصدع في
المجتمع. ويشير الكتاب إلى أنه ما لم يتم
الانفراج الخطا الكامن في التركيز فقط
على الاستقطاب بين التديسنيين
والعلمانيين، فإن الصدع المجتمعي
مرشح للتأمام والتجذر. والحد من
إلى طبيعة النظام السياسي
الإسرائيلي هو الذي سيج تهاطل
موازين الاستقطاب التي المؤثرة على
سلامة المجتمع. الأحزاب العلمانية
التي توكيديتها والعنصرية هي التي
صممت الجدل حول العلاقة بين التدين
والعلمانية، من منطلقات مصالحها.
مستقلة قدرتها على إبتزاز الأحزاب
الكبيرة، سيتم إخماد السياسي
في ذلك. الكتاب يتهم النخب العلمانية
في حكمت الدولة منذ تأسيسها وحتى
الآن بالفصع إلى سياسات الأحزاب
الدعوية التي ساهم في قمع
الحركة السكانية التي لم يتعرف
وتطورها بفعل حصر الجدل العام داخل
الدولة إلى القضايا العلمانية، الأمر
الذي أدى إلى إصالح مشاكلها
لفصل الكتاب يتناول أزمة الهوية
فلسطينية عام ١٩٨٠. التي يحل
لجسية الإسرائيلية، في الفصل الذي
يطلق عليه، "الحركة الإسلامية في
إسرائيل، بين الدين والقومية، والعدالة،
إلى تجربة قيام الحركة الإسلامية
أخيل إسرائيل"، كأحد أهم مظاهر
هرس فلسطيني عام ١٩٨٠ التي القل على
تدس الهوية التي أوجدتها وأقام
الاحتلال. لجدل يوصي بالعلم على
تدس أسس لجدل إسرائيلي داخلي
يقوم على الاعتراف بموازين
الاستقطاب في المجتمع، والتعاطي معها
(٢٠٠٠).

ספרים הירש
הוצאה לאור

ممثل سدوم كنا: الانحدار من دولة
لقانون الى جمهورية موز.
وشيه شغبي
ناشر: كيت، نل ايب، ٢٧٤ صفحة، ٢٠٠٤

هذا الكتاب يتعرض لظواهر الضمائر

الاحتلال للضمة والقطاع إلى يهود المؤلف الإشارة بتفصيل إلى أن القسم الذي كُتبت له في الدولة والجميع من خلال تراجع قيم الديمقراطية بشكل حاد بسبب الاحتلال. يقسم الكتاب الاحتلال الإسرائيلي للضمة والقطاع إلى مرحلتين: المرحلة الأولى: الممتدة من العام سبعة وستين وحتى اندلاع الانتفاضة الأولى في أواخر العام سبعة وأمانين. وفي المرحلة الثانية اعتمد صناع القرار في الدولة العبرية نهجاً لـ"تجديدها" ترويض الشعب الفلسطيني في الضمة والقطاع لتعاضد مع بقية الاحتلال والتسليم به كجزء من حياته.

المرحلة الثانية، منذ اندلاع الانتفاضة الأولى وحتى الآن والتي تبين للحكومات الإسرائيلية فيها أن الدولة العبرية ليس أمامها إلا الخسارة جراء مواصلة الاحتلال للأراضي الفلسطينية. يشدد الكتاب على أن اندلاع الانتفاضة الأولى والثانية أثر على الوعي الجمعي للإسرائيليين وأوقع طعاعات واسعة منهم أنه لا يمكن مواصلة الاحتلال إلا بعدة مناهج.

«خليط هويات.....عن العلمانية
والتدين في إسرائيل، معالجة
نقدية»

يوسى يونا، يهودا حوتمان
معهد هانير للدراسات الاجتماعية،
٢٠٠٤ - ٢٨٥ صيغة

عامة ما يتم حصر الجدل حول طابع الدولة العنصرية المتعلق بالعلاقة بين الدين والدولة، وإلزام الاستقطاب بين التمييز والعنصرية على اعتبار أنه أهم عامل يؤثر في نشأة الدولة الإسرائيلية، لذلك يأتي لشرح هذه المسألة، فالتكاتب الذي يقع في تصرف هسول يرى وصوب التركيز على مظاهر أخرى للاستقطاب في المجتمع الإسرائيلي على اعتبار أن هذه الظواهر أكثر خطورة غير محتاجين من الهويات، يقدم الكتاب لمعطيات بحثية لا مدخل لها للشك حول تعدد الهويات بين المجتمع الإسرائيلي، واستناداً لهذه المعطيات فإنه يتوجب رصد الجدل العنصري في إسرائيل حول التدين والعلمانية وحوال خصامية، خلافاً، خصوصاً، فورية، طيفية، حيثية إن حصر

يتعرض الكتاب إلى محالولة المؤسسة الاسكندرية الحاكمة للبروزة اليهود الشرقية، مقابل سعيهم إلى البروزة هوية ثقافية مستقلة. يتلخص الكتاب في تاريخ نضال اليهود الشرقيين ضد المؤسسة الحاكمة الاسكندرية، والذات المتعددة الأوجه، الطبقية، في الخمسينيات من القرن الماضي، والشخصيات التي قادته وتأثيرها هذا التمرد على تعامل الدولة لاحقاً مع قضايا اليهود الشرقيين. وبعد ذلك، يتطرق إلى الحركات التي انطلقت للتمسك بالهوية اليهود الشرقية، وللضغط على الحكومة السودانية، وخاصة حركة الجهود السود، وحركة الخيام، وغيرها.

الكتاب يحاول أن يقدم آراء صائبة مختلفة لنحوي في وجهات النظر للشرقيين السياسية. فبعدما كانوا مؤيدين لبرنامج الحرب الصليبي، تحولوا في عام ١٩٧٧، تقريبا، لتأييد الجيوش، وهذا التحول هو على قافة الدولة للحكم لأول مرة في عام ١٩٧٧. وبعد ذلك يتحدث عن الأحزاب السياسية التي أصبحت تحت قيادة الشرقيين، حركة قاسي، التي أصبحت بالكيكوك، حركة عباس، الدينية الشيوعية التي تجمع جمهورها لنضالهم من الشرقيين. يطرح الكتاب العديد من الأسئلة حول توجهات لتحرير الكتلانصاري في وقت الدولة. تأكيذا لتعود بالاشهاد لديهم سياسيا، فحاشا لاجتماعات على الصراع الشرقيين.

מחיר ההירהר
מדינת ישראל מציגה
מוציא לאור משה ילי אביב 2005
ضمن الفطرسية
ملو مو سبيروسي
أو النشر مياه. تل أبيب، عدد الصفحات
٢٠٠٥

يتطرق الكتاب الى الثمن الفادح الذي دفعته وتغته إسرائيل لقاء مواصلة احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة. يركز المؤلف المذكور شلومو عيسى عيسى على الخسائر الاقتصادية التي لحقت بالاقتصاد الإسرائيلي جراء مواصلة احتلال الضفة والقطاع ودان أن يكون لهذا احتلال مردود ايجابي على القدرات المالية للدولة. يعتمد الكتاب على عشرات الوثائق التي تحصر بالارقام الخسائر التي لحقت بالدولة جراء مواصلة

~~protected and unclassified~~ V4

العدد الثامن والسبعون - يولية ٢٠٠٥ م

ترحب، وجهات نظر، بما يصلها من آراء، وما يرد لها من رسائل أو تعقيبات، ونحرص على نشرها. مع التأكيد على أن ما تتضمنه من آراء، مثلها مثل المقالات ذاتها، لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

الإصلاح في العالم العربي

في مقال رائع تتبع الأستاذ سلامة أحمد سلامة في العدد (٧٧) مسار الإصلاح في عالمنا العربي، وخلص إلى أن عملية الإصلاح في كثير من الأحيان تسير خطوة إلى الأمام وخطوتين إلى الوراء، وأنه يصعب التمويل على دور إيجابى للنخب السياسية الحاكمة التي شرقت في السلطة والفساد عقوداً طويلة. ثم تساؤل في نهاية مقاله عن البديل للولادة المتسرة للديمقراطية في العالم العربي.. هل يكون في حركة الشارع السياسي أو في الجماهير أو في منظمات المجتمع المدني؟

وأستطيع أن أقول: إن من يلقى نظرة على المشهد العربي لا يفوته أن يلاحظ ذلك التشابه الكبير في الرؤى والأهداف للأنظمة العربية وإن اختلفت الوسائل. وكنا نود أن يكون هذا التشابه لصالح الوطن والمواطن، ولكنه - للأسف - اتفاق على واد الأصوات المطالبة بالتغيير، وعزز على ترتيب الحقائق حول الالتفاف حول المعانى الإنسانية وتفريغها من مضمونها، لتصبح الشعارات الإصلاحية، التي ترفعها الأنظمة العربية من حين لآخر، استهفاً لكل محاولات التغيير، وإجهاضاً لمشروعات النهضة!

يشتمل المشهد العربي في سلطة تدعى لتمسها العصمة المطلقة، بما مناسية لم ذلك التنازل الدئني المتشد هو وحده الذي يدعى العصمة.. ومتقشبي يبررون لهذه السلطة أطماعها، ويفلسفونها.. ومعارضة تفق حائله بين الاتهامات بالتخوين والعمالة، واشغال المواطنين في دوام الحياة.. وأحزاب متناحرة، غاية أمرها أن نثبت لنفسها موقعاً في الملعب السياسي.. وجدال مستمر، مفتعل في كثير من الأحيان - حول الهوية الإسلامية والقومية العربية، والأصالة والمعاصرة، والحفاظة والتجديد، والخصوصية الحضارية والتراث الإنساني المشترك.. وقوى أجنبية، في مقدمتها أمريكا - ترقب المشهد.

وتتحرك بعض أطرافه. وتنتظر اللحظة المناسبة للدخول مباشرة في حلبة الصراع.

هذا المشهد يكاد لا تتغير مفرداته من قطر عربي إلى آخر، ولذلك حين تابعت برنامجاً في إذاعة BBC العربية يتحدث عن التغيير في سوريا بمناسبة انعقاد المؤتمر القطري العاشر لحزب البعث، وجدته يصلح للتعبير عن المشهد السياسي في بلد عربي، ولا يحتاج الأمر إلا إلى تغيير الأسماء فقط. نفس الحجج التي يتدرج بها كل نظام في الدفاع عن تباطئه في الإصلاح.. نفس الاتهامات الموجهة إلى المعارضة.. نفس التعقيب الكامل للتحقق.. وتضليل الجماهير، ومحاولة صرف انتباهها عن حقيقة المخاطر المحدقة بها، وإقامة المصير المحلية عليه..

والذي يستدعي الانتباه، أن هذه الأنظمة العربية تمارس نفس الحيل والألاعيب في تثبيت سلطانها، وممارسة سطوتها.. ولا يرى هل يتبادلون الخبرات في ذلك كما الحال في الشأن الأمني؟ الجدير بالذكر أن وزراء الداخلية العرب هم الأكثر انتظاماً في عقد اجتماعهم الدورية دون الوزراء الآخرين؛ ويأتي في مقدمة هذه الحيل امران..

١ - إصدار مجموعة من القوانين والتشريعات لتنظيم العمل السياسي، والعمل في الوقت ذاته على تفريغ هذه القوانين من مضمونها، وبذلك يتحقق للأطراف العربية "تقنين"، ممارساتها التعمسية، واستباق الحركات الإصلاحية، وإسقاط حجج الماينين بالإصلاح. خذ مثلاً الرقابة القضائية على انتخابات مجلس الشعب في مصر، لا شك أنها خطوة مهمة لضمان نزاهة الانتخابات، لكن ما العمل إذا لم يكن للقاضي سلطان خارج الحجرة التي يتم فيها الانتخاب، وإذا سمح لبعض الرشحين بعقد لقاءات مع الجمهور وحرم بعض المرشحين من ذلك؟ وما العمل إذا منع الناخبون من الذهاب أصلاً لاصندوق الاقتراع؟ النتيجة إذن واحدة وإن

زادت القوانين المنظمة للانتخاب، وهذا هو ما تم مع تعديل المادة ٧٦ من الدستور.

٢ - زيادة هامش الحرية للمعارضة، والسماح بارتضاع درجة النقد، ولكن بحيث لا يمثل هذا في مجمله أي تهديد للنظام الحاكم، لئيم تسويق هذا الهامش، خارجاً في الخارج، باعتباره دليلاً على مدى الحرية المتاحة للنقد والتعبير، مع أن الأمر في حقيقته لا يعدو كونه استثناء يثبت قاعدة القمع وتكميم الأفواه.

أمام ذلك كله، فإننا مطالبون بالتفكير الجدي في الخروج من هذا المازق، وفي تمهيد دور التخابية المثقفة في عملية التحول الديمقراطي، وذلك بتقليل الفجوة بين النظرية والممارسة، والاشغال بقضايا الأمة، والعودة بها إلى أصولها وتراثها، وتوعية الجماهير ونشر مفاهيم الحرية والمسؤولية، والتصحية، وتكوين رأى عام ينفذ من هذا محاولات الهيمية في الداخل والخارج، وإيضاً في كيشية استدعاء الشعوب العربية إلى اللبب السياسي، وإشراكها في تقرير مصيرها، بعدما قُيِّت وتأخت في زحمة المواصلات والسعي وراء لقمة العيش!!

السنوسي محمد السنوسي

ليسانس الدعوة الإسلامية
سيون، افريقية



إمامة المرأة

الأستاذ المحرر: تابعت بجزع من الفضول والقلق مقالكم، عن عولة الأديان وإمامة المرأة، وما تابعه من تعليقات دفعتمني إلى كتابة هذه الدخلة.

لقد أرتدتم المكان لتشرأب غاضب لغرائز ذلك اثنان إمامة مجردة من المحت، ولم تصرح - بما تصوره أحياناً - ملك لإمامة المرأة، أو محاولة لهز الثوابت.

اغضبني أن يتواجد تيار بهذه القوة، يجبر على فكر ورأى من يعرض أي قضية، مهما كانت حساسيتها، للنقاش. وروى من استثنائي أن القارئ لم يتطرق في خطابه أبداً إلى لب القضية، وهو موضوع إمامة المرأة، وإنما ردد في الموضوع فقهي، وما على المتعرض إلا قراءه ما ورد بكتب الفقه، أو الاستماع إلى فتوى الأزهر، وهو ما يفلق ضاماً باب الاجتهاد، ويصمم من يعرض رأياً مختلفاً، أو يناقش بالتمرد والعبص، وما دخلتني تعلقاً بنقطتين في موضوع إمامة المرأة:

أولاهما تعلق بالثوابت، وهو تعبير قوي بقدر ما بيعت على التماندية لوجود قواعد وأسس وحدود يحتمل لها البشر ولا تتغير، إلا أنه من ناحية أخرى يدل على الجسود والتفيس، وهو ما يخالف طبيعة الكون والبشر، وحتى الدين.

فمن الثوابت في الدين مثلاً حد الزنى بالرجم وحد السرقة بقطع اليد. ومن النادر أن يطالب أحد الآن بتطبيق هذه الحدود كما شأت بحدايفها، لأسباب هامة منها قسوة الأفراد، وإحداث عاهة مستندة في مصعب إصلاحها إذا ثبتت براءة المتهم، وتاريخ طويل يحمل مسألة تدل على أن تطبيق هذه الحدود الصاروة في الغالب من نصيب الضعيف، فرجم المرأة يتكرر أكثر من رجم الرجل بالرجم من طبيعة جريمة الزنى التي تستلزم التساوي، وقطع اليد من نصيب المانق الضعيف، واليس الفئى القوى. لذلك تطورت هذه الحدود لتكون رادعة وليست وسيلة إلى الوصم بالعار إلى آخر العمر.

أما الثانية فتتعلق بـ"الثوابت" التي تطبق على طائفة دون أخرى، وليست عامة شاملة تطبق على الجميع. هذه الأحكام بطبيعتها تحمل قدر كبيراً من التمييز يفلق نوعاً من الانضباط لئلا قد تكون أخلية أو ضمنية وأمثال ذلك أحكام النساء وأحكام الأقليات وأحكام العبيد، وهذه الأخيرة تحمل قدر كبيراً من التشابه في أحكام المرأة. وكلاهما تجب عليه

الترجمة المستباحة

قيد زمني، بترخيص يصدر من وزارة الثقافة، إن أثبت المساعي إلى الترجمة عدم توقيفه في الوصول إلى المؤلف أو الناشر الأجنيبي أو أثبت تعسفها بطلب مبلغ مغالي فيه، ولا يكون لأيهما سوى الحق في مقابل عادل جرى العرف على تحديد حده الأقصى بـ ١٥٪ فقط من سعر الغلاف المزمع طرح المصنف بها باللغة العربية.

وهذا النص الحجابي لمصر وغيرها من الدول الجدي، ضمن استفاها من أي مصنف جديد، فور صدوره، فنقله إلى اللغة العربية في إطار من الشرعية الدولية، ولا يكون عليها سوى أن تسد نسبة مئوية لا تتجاوز ١٥٪ من سعر الغلاف إلى المؤلف العربي، على أن يحافظ وزارة الخارجية على تحديد تمسك مصر بهذا النظام الاستثنائي المقرر لصالح العالم النامي، وليس ثلثي ممن هو غير على سمعة مصر الدولية في إطار نظام تجاري على جدي، لا يبيح يتجاهل الشرعية ويجيز اتخاذ إجراءات عقابية - تجارية الطابع - ضد أي دولة تخرج على النظام الدولي، إلا أن يبيع يصانع القرار أن يعجل بالغة المادة ١٤٨ من القانون ٨٢ لسنة ٢٠٠٢، لا سيما ما

موجهة إلى كل من يكتب بلغة أجنبية، وهو نص يطبق على المصريين من يؤلفون عادة باللغة الإنجليزية، في مجالات الطب والهندسة والزراعة والصيدلة، ومن يحصلون على رسائل للدكتوراه من خارج مصر وداخلها بلغة أجنبية. حتى ليس من الصالح العام أن نجرده هؤلاء جميعاً من الحماية القانونية بالخاصة للاتفاقيات الدولية، تلبية لدعوة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، فقلبي دعوة الداعين إلى إاحة الثقافة الأجنبية بلغة العربية، وتجاهل حقوق المؤلفين على مصنفاتهم.

فلماذا الإبقاء على هذا النص في قانون وضع أساساً لحماية حقوق الملكية الفكرية وليس لإهدارها؟

د. حسام لطفي
استاذ القانون المدني
ووكيل كليات حقوق بنى سويف
لشئون الدراسات العليا والبحوث

تستعد مصر مؤتمر موسع للترجمة في إطار احتفالاتها بترجمة الألف كتاب، وهو عرس كبير تستحق مصر أن تستضيفه، لا سيما أن دورها الرائد التوعوي التعليمي الريادي ليس بخاف على متابعي للحركة الثقافية العربية.

وإذا كانت الترجمة إلى العربية هي المحتفى بها، فإن الترجمة من العربية أيضاً يجب أن تكون محل اهتمام كل المسؤولين عن الثقافة في الوطن العربي في إطار خطة عربية للترجمة، لمنع تكرار ترجمة الكتاب نفسه.

ولعل الملاحظات للنظر والاستدعى إلى تدخل عاجل هو نص شاذ عرف طريقه إلى قانون ٨٢ لسنة ٢٠٠٢ في شأن حماية حقوق الملكية الفكرية، حيث أجاز ترجمة ما يكتب بلغة أجنبية إذا كان مقتضيات سنوات على النشر دون ترجمته إلى اللغة العربية، وهو نص يخاطب المصري والأجنبي من يكتب بلغة أجنبية. ولا شك أن هذا النص شاذة المثقفين والناشرين في مصر وخارجها، وكان الرد الحاضر لدى البعض أن مصر في حاجة إلى الاستفادة مما يكتب بلغة أجنبية، فكان لزاماً السماح بالترجمة إلى اللغة العربية إذا لم يقم المؤلف بهذه الترجمة بنفسه أو بواسطة غيره بعد مضي ثلاث سنوات كاملة، لا سيما أن القانون المصري السابق رقم ٣٤٤ لسنة ١٩٤٤ كان يتضمن نفس النص وإن كانت المادة التي نص عليها خمس سنوات وليس ثلاثاً.

ولا يسع رجل القانون إلا أن يستبعد هذا الرأي وينادي بحذف النص حفاظاً على تاريخ مصر الحضاري، لا سيما أن ما كان مقبولا قبل انضمام مصر إلى اتفاقية برن الدولية، عام ١٩٧٢، لم يعد مقبولا بعد أن أصبحت مصر عضواً ليس فقط في اتفاقية برن وإنما أيضاً في اتفاقية إنشاء منظمة التجارة العالمية وإلحاحها المصروف بالاختصاص الإلزامي ترسيم، وهو ما تم في يناير عام ١٩٩٥. فضلاً عن ذلك فإن مصر استأجرت طبقاً لثاين الاتفاقية نفسها ونص القانون المصري الحالي نفسه من الحق في الترجمة والنسخ، بدون

يركزوا إلا على نقطة واحدة وهي ٢٥ ألف مقفل في مصر وأهمها جوانب عديدة في التقرير. إلا أنني ويكل صدق لم أكن التخيّل أن يأتي أحد ويتجاسر ويكشف لنا ويحلل هذا التقرير الذي عرى أوضاعنا وجعلنا نحن بعمد المأساة الإنسانية التي نعيشها ويجعلنا نتساءل ما هذا الواقع الراهن الذي يقص بالجوانب المظلمة وأبرزها الظلم والاستبداد والقسوة وهو ما انعكس على مجمل أدلنا الاجتماعي في زوايا مختلفة سياسية واقتصادية وثقافية وآتاع المجال للفساد والخلل والسلبية أن ينخر في قاع المجتمع.

إن هذا التقرير الصدمة يجعلنا نتساءل لماذا وصلنا إلى ما نحن فيه؟ إن مقال الدكتور العوا شائق ومثير ومحرز في نفس الوقت وجدير بأن يقرأه كل مسئول في مصر ليتبنا فعلاً بأن هذا التقرير الذي يصدر من المجلس القومي لحقوق الإنسان بمثابة جرس إنذار وتذير عريان كما سماه الكاتيب لثيها بما هو أ.

ثم بالله عليكم ما مظهرنا أمام العالم عندما يسمعون ويقرأون أمثال هذه التقارير التي تصدر في عالمنا العربي وما أكرها ولكن لا ترى النور بل يحمى ويحسب لأهل الحكم في مصر أن سموها بنشر هذا التقرير ثم بعد ذلك تعيب على صيريرة ميكروبيزيا التي أحترقنا ونصوت دائماً ضداً في الأمم المتحدة ونصوت لصالح إسرائيل.

إن وضعنا الحالي أصبح أشبه بغيلم قديد من نوعه يجمع إلى الكوميديا عناصر الإيديولوجيا وأطرافاً من التراجيديا الإفريقية يصعب على أمة المخرجين أن يضع مثيلاً لها لو أراد.

وأخيراً شكراً للدكتور العوا وشكراً للناقلين على تحرير المجلة وأرد مع القائل:

بذلت لكم نصحي بمنعرج اللوى
فلم تستبينوا التصح إلا ضحى
الفد

صاير محمد عبد الواحد
مدرس بمدرسة ابو القاسم
أخيم. سوحاج

فروض الطاعة والولاء لسيده، وإلا أصابه عقاب يحوّز أن يتشكك فيه السيد وكلهما جسده مباح لسيده بالأمر، وليس العكس، فكلهما لا يصلح حرية التصرف خارج حدود العلاقة بالسيد في حدود ورثا الدين والمجتمع. فالسيد يملك حق إقامة الجارية، ولا تنسك مع العديد من الحقي، والزوج يملك حق إقامة علاقة جنسية مع العديد من الزوجات، ولا تملك الزوجة نفس الحق.

والأثنان - الحالتان - حالة النساء والعديد كانوا من الثوابت، ولم يحرم القضاء الحق أبداً بل حدوا له القواعد التي تذكّره، لكن العديد ثاروا... فقط في الحالات سنة الأخيرة من تاريخ البشر وتغيرت الثوابت.

ثم ير العديد سبياً لأن يصنفوا كطائفة أقل، ماداموا يملكون العقل ويؤدون دورهم في المجتمع، فلم التمييز ضدهم؟ وبقيت أن نفس المنطق يطبق على المرأة.

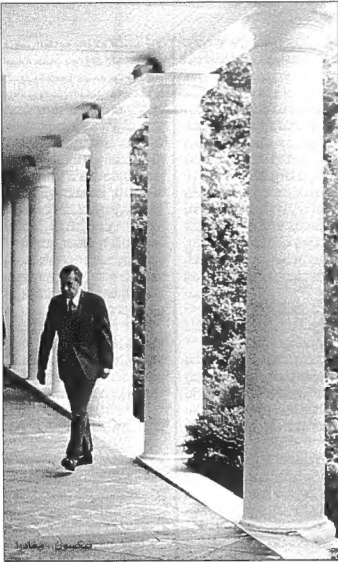
مادامت تملك العقل وتؤدي دورها في المجتمع، فلم التمييز ضدها؟ إمامة المرأة ما هي إلا نوع من أنواع القيادة، والتدور الإيجابي في الحياة المدنية، وهو ما رفضه الأفكار المتسلطة والمتبسية، والتي ترى في قيادات المرأة نوعاً من التهديد لقوة وسلطة وسيطرة الرجل على المجتمع، وقد كان، ومازال صراع القوى هذا هو الأصل في جميع أنواع التمييز.

كوثر سالم العسيلي
باحثة



السذير العريان

اشتد عجبى واعتراى الذلول وأنا
أقرأ مقال الدكتور محمد سليم العوا
والهتون بالنزير العريان مسالة في
حقوق الإنسان عدد يونيو ٢٠٠٥
ولقد سمعت من قبل وقرات كلاماً
كثيراً عن تقرير المجلس القومي
لحقوق الإنسان الذي صدر مؤخراً
ولكن كل الذين تكلموا أو كتبوا لم



نيكسون، فيفاديا

■ قبل ثلاثين عاماً كاملة جرت وقائع هذه القصة، في بلد آخر.. وثقافة مختلفة. نرفض سياساته.. نعم. وبعضاً من ثقافته.. نعم. ولكننا نحترق قطعاً لشيء في هذه الثقافة يبرزه هذه القصة.. حرية الصحافة.. أو بالأحرى المعنى الحقيقي لحرية الصحافة والذي إن كان يفترض ألا يوجد بحدٍّ دموياً من الحقيقة.. وهذا واجب الصحفيين.. (صحافيا) الواسطن بوست اضيها في تحقيقاتها عامين كاملين، فإنه يتطلب ثانياً.. احترام الكلمة.. والتي إن كنا نعرف أن استقلال القلم شرط لها، فلا بد أن نعترف أن الاستجابة لما فيها من حق يظل شرطاً آخر.. ولا صارت كالصراخ في البرية، ليس له من تأثير أو اثر غير رجع اصدقاء.. نضم الألمان.. ونسأل الضعفاء.. ولكننا لا نحرث الأرض.

في عام ١٩٦٩ كان ريتشارد نيكسون «الجمهوري» قد وصل إلى الغرفة البيضاء البيت الأبيض بعد أن نجح في استغلال مخاوف الناخبين (من الشيوعية إلى العنصرية) وكان شعار أمن الدولة أو «الأمن القومي» بالتعبير الأمريكي هو التعبير المفضل عند رئيس الدولة العظيم العائنة بخسارتها من فينتام.

لم يرض وقت طويل.. حتى كان الرجل.. مفتوناً بشعاره ربما.. قد تورط.. أو بالأحرى تورطت إدارته مع حزبه في التستر على عملية تجسس على مقر الحزب الديموقراطي في فندق «ووترجيت»، وهو الأمر الذي انتهى بفضيحة أخذت اسم الفئق. وأدت إلى الإطاحة بالرئيس الذي اضطر للاستقالة في التاسع من أغسطس ١٩٧٤. بعد أن نجح صحافيون في الواشنطن بوست (بوب وودوارد ومايكل برنشتاين) في كشف تفاصيل القصة بعد عامين كاملين من التحري والتحقيق في سرايب السلطة الفاعضة الجفرة (وهي قصة تستحق بذاتها أن تروى ليتعلم منها صحافيو المكاتب المكيفة) ويصرف كل من تابع القصة الثمينة أن الصحافيين اعتمدوا في تحقيقاتها على مصدر.. احتراماً لشرف المهنة.. لم يفضوا سر اسمه أبداً، رغم كل الضغوط الهائلة التي تعرضوا لها. مكتفين بأن يرمزوا إليه بما أسماه «Deep Throat».

لماذا تشترك هذه القصة الآن؟

لأنه قبل أيام فقط، وبعد ثلاثة عقود كاملة.. وبعد أن تجاوز الرجل التسعين من عمره خرج صاحب «الحجرة العميقة» ليكشف عن نفسه.. وليرفع الجميع بأنه أيام «ووترجيت»، كان الرجل الثاني في مكتب التحقيقات الفيدرالي «مارك فيلت» وأنه تلميذ على يد مديره «ادجار هوفر» الذي حافظ على استقلالية المكتب (أمام البيت الأبيض) لأربعة عقود كاملة قبل أن يموت في مكتبه في مايو ١٩٧٢.

وكانت المارقة.. بالنسبة لنا لا لهم.. أنه في الأسبوع ذاته الذي استادت فيه الصحافة «الحرّة» ذكريات استقلالها (حيث رفضت الواشنطن بوست أن تكشف عن مصدرها لمدة ثلاثة عقود كاملة) وتاريخها (حيث نجح وودوارد وزميله في الإطاحة بالرئيس).. أصاحت فتيلة غادرة يصحفي لبناني جرب أن يمارس حريته «سمير قصير» وعاطلت الحكومة في مصر.. رغم وعود رسمية.. في أن تصدر قانوناً يحظر حبس الصحافيين في قضايا النشر.. وبدا.. رغم كل الصخب والمناشآت الزاعقة في الصحافة المصرية.. أن أحد.. هناك.. لأنه.. ببساطة.. لا أثر حقيقي على الأرض.. كاذم.. كاذم.. كاذم.. ولا شيء غير الكلام، كما يقول شكسبير على لسان هاملت.



من يقرأ الصحف المصرية هذه الأيام.. حتى القومية شبه الرسمية منها.. يستوقفه قطعاً ما يبدو «مساءة» شاسعة من الحرية.. ولكن من يرفع رأسه بعيداً عن المناشآت المتزامنة.. يحاول أن ينظر إلى الواقع «الحقيقي».. ستذهله «المسافة» بين ما يقرأ وما يرى من أثر على الأرض.

كان في مصر الآن.. ربما يفرض التفتيش.. حرية للصراخ.. ووقف.. ودلوني من فضلكم على ردود فعل «مخفية».. لا ينشر بروسيا في الصحف.. يبدو أن للسلطة في بلدنا «أذن».. كما قال لي سائق التاكسي فيل.. فوضعت دعوتهم بالطلان.. (دع عنكم ما جرى أخيراً لتوجيهات الرئيس.. لا استجابة لدعوات مفكرين أو كتاب أو صحافة؟)

كم مرة تحدثت الصحف مستندة إلى شهادات وأدلة وتقارير.. منها ما هو رسمي (آخرها تقرير المجلس القومي لحقوق الإنسان) عن اعتقالات واحتجاز مواطنين دون سند من القانون.. وحالات مؤكدة للتعتيد.. وعدم احترام لأحكام القضاء.. بل وحالات انتقام لثوي نفوذ يسقط ضحيتهما حتى رجال أعمال كبار.. إلى آخر قائمة طويلة من تجاوزات وانهاكات.. وبعد.. «محض جبر على ورق».. لم نسمع.. غير ما ندر.. عن حالة أي من المسؤولين عن هذه الانتهاكات.. وكثيرها ثابت بالأدلة.. إلى التحقيق.. كما لم نسمع من تحقيق على أي مستوى جرى.. أو حتى يمتد إجزاؤه في الواقع التي أشار إليها المجلس.. الرسمي.. لحقوق الإنسان..

كم مرة تحدثت الصحافة.. التي يدّعي علناً البعض بحريتها.. مستندة إلى شهادات وإثباتات عما نعرفه جميعاً من وقائع محددة لاستغلال للتفوذ.. وبما أصبح وكأنه «مقتن» للواسطة والمحسوبية؟ ولم مرة نبيه من كتب إلى أن الأمر وصل بالبعض إلى «الانتحار

يأساً.. من حصوله على حقه المشروع.. محذراً من نتائج «الإحباط المكبوت» على تماسك النسيج الاجتماعي لهذا البلد؟ هل تحرك أحدهم لتحقيق في تلك الوقائع؟ لم نسمع غير أن شاعراً رقيقاً «فائق حويده».. غير محسوب بحال على فصائل المعارضة.. عولب على إطلاقه جرس الإنذار ضارص مع بعض ذوي السلطة مايلام شيئا من العسف في استخدامهم.. فصلا الأمر.. وكأنه يحاسب على ما كتب.. وانتهى به الحال.. غير مصدق.. إلى فراش المرض.

كم مرة تحدثت الصحف عن «استقلال القضاء».. فوضع قانونه بعيداً على الرف.. هل تذكرون محاضرة هيكل الشهيرة في الجامعة الأمريكية.. استقبل الآن.. والتي نهيت ميكر (قبل سنوات ثلاث) لخطر ما أصبحت فيه الآن؟ كان لا أحد يسمع أو يقرأ.. (نص المحاضرة نشرته وبجها نظر، في العدد الماضي).



على هامش قسّمهم.. وقصصنا.. يتداعى إلى الذهن سؤال.. كم مرة يتحدث الحزب الحاكم في بلادنا العربية.. لا استثنى أحداً.. على معارضيته؟ أو بالأحرى هل يستخدم الحزب الحاكم الجهاز الأمني «للدولة» التي هي بحكم التعريف دولة كل المواطنين.. في مواجهة معارضيته؟

تبدو الأسئلة.. في الواقع العربي.. افتراضية.. وربما ميتافيزيقية.. ولكننا لا نبريد أن يعرف معنى الديمقراطية «الحقة».. وجوهر الصحافة «الحرّة».. أسئلة ووترجيت..

أيمن الصياد

لأننا أصل الاتصالات في مصر

٩٠

قرشاً فقط

لن تجد أرخص هنا في دقيقة الدولي



المصرية للاتصالات
Telecom Egypt

اتكلم دولي من ١١ مساءً إلى ٧ صباحاً
بسعر مخفض للغاية:

كندا و أمريكا ٩٠ قرش (تليفون ثابت و محمول)

أوروبا ٩٠ قرش (تليفون ثابت فقط)

فقط اتصل بـ ١٠١ + كود الدولة + الرقم المطلوب

لهزيد من المعلومات اتصل بـ ١١١

* هذه الخدمة متاحة لمستخدمي الدولي

بطاقة ائتمان ... البنك العربي



تضيف لحياتك اليومية مميزات غير عادية

- أطول فترة سماح
- أقل نسبة سداد شهري
- الاستعلام وسداد مستحقات البطاقة
عن طريق الانترنت



إتصل الآن على ١٩١٠٠

من أي محمول/مكاتب بالقاهرة والمحافظات
بوميكن صبا حتى مساء
(بسرعة المكالمات العانية)

البنك العربي

